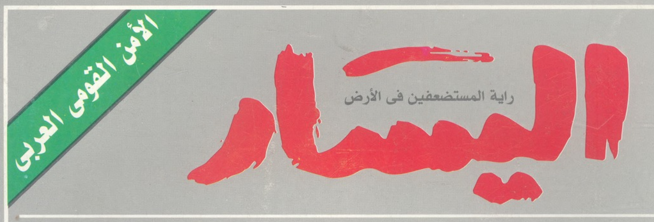


اليسار / العدد ١٠٨ / فبراير ١٩٩٩ / شوال ١٤١٩ هـ / الثمن ٣ جنيهات

العراق ..هزيمة عربية أخرى

هل تخصخص الحكومة التأمينات الإجتماعية؟!

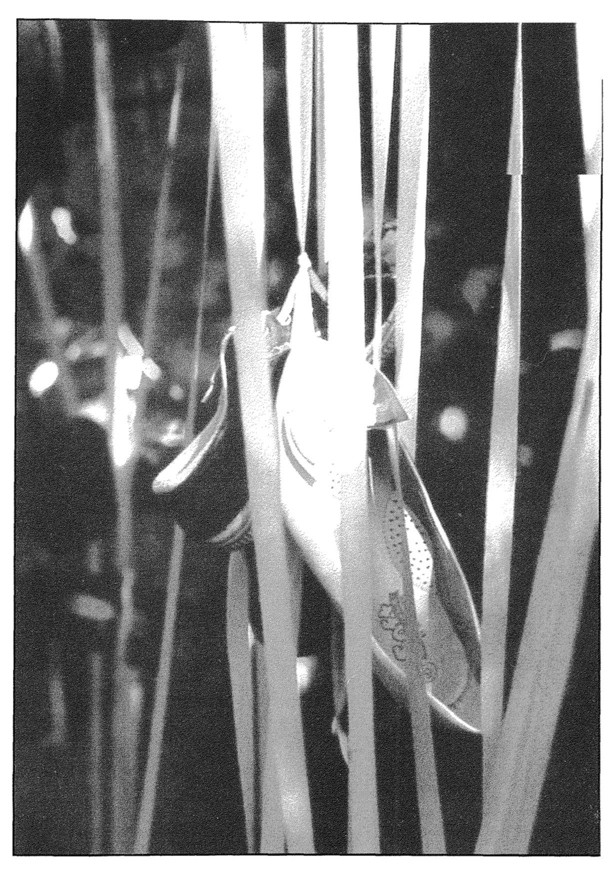
المرأة بين تطليق نفسها والنشوز

لا تفاجأوا ..إذا انتخب نتنياهو مرة أخرى

سينما تدعو لتحطيم الأغلال

الولاية الرابعة لمبارك..الملكية الجديدة والأحزاب الكرتونية

مليار دولار لتمويل حروب أمريكا فى العالم الثالث



عمل للفنان (الاسترماكلينين) - اسكتلندا - بينالى القاهرة الدولى السابع *

فى هذا العـــدد

اليسار : منبر ديمقراطى يصدر عن حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى فى اليوم الأول من كل شهر.

ALYASSAR 1 KARIM EL DAWLA ST,TALAAT HARB SQ, CAIRO / EGYPT

الاشتراكات : لمدة سنة واحدة
مصر: ٣٦ جنيها للأفراد و ٦٠ جنيها للهيئات
الوطن العربى : ٥٠ دولارا أمريكيا أو مايعادلها.
العالم : ١٠٠ دولار أمريكى أو مايعادلها.
ترسل القيمة بشيك مصرفى أو حوالة بريدية إلى إدارة المجلة.
الادارة والتحرير:١ شارع كريم الدولة ميدان طلعت حرب - القاهرة
ت : ٥٧٥٩١٥٢ - ٥٧٥٩٠١١ - ٥٧٥٩٢٨١ - فاكس: ٥٧٨٦٢٩٨
FAX : 5786298

لليسار در

غياب قصري

لأول مرة تخلو «**اليسار**» من رسائل العالم الخارجي عدا رسالة واشنطون للزميل «**سمير كرم**» الذي يحرص دائما على مشاركتنا وأن لا يخذلنا ويخذل القراء. فرسالة فرنسا توقفت منذ فترة لإنشغال الزميلة «**نجلاء العمرى**» عنا بمحاولة الاستقرار في عمل ثابت في باريس لتواصل الحياة وأسرتها في هذا المجتمع الصعب ، ولكننا لم نفقد الأمل في تنفيذ وعدها بالعودة لمراسلتنا بمجرد استقرار الحال الذي ندعو أن يكون قريبا جدا. ولاسباب لا نعلمها ونرجو أن تكون خيرا، لم تصلنا رسالة الزميل «**نبيل يعقوب**» من المانيا. نأتي إلى رسالة «موسكو» .فقد فاجأنا الزميل «**أحمد الخميسى**» بالاختفاء في موسكو وفشلت جميع محاولتنا للاتصال به . وبعد أن انتابنا القلق وصل الخميسي إلى القاهرة ليبلغنا بقراره العودة للقاهرة والاستقرار فيها بعد غياب جاوز العشرين عاما . وبالطبع لم يستطع في ظروف الانتقال والعودة أن يكتب رسالته لليسار.ومع فرحنا بعودته إلى أحضان الوطن، فرحنا أكثر عندما أكد لنا أن رسالة موسكو ستصلنا كل شهر اعتبارا من الشهر القادم ، وأنه سيكتب لنا بابا جديدا هو «**ورقة وقلم**» اعتبارا من هذا العدد.

ومع هذه الضربة استطاعت «**اليسار**» تعويض هذا النقص بالتوسع في قضايا مصر والوطن العربي.

واصل «**خالد البلشى**» تحقيقاته القوية المدروسة بعمق وشجاعة بتحقيق عن المواقف المختلفة من ولاية رابعة للرئيس مبارك.

وعادت «**حنان حماد**» من أمريكا إلى متابعة مجلس الشعب لتكتب لنا عن دوره الرقابي المفقود. وواصل **عريان نصيف ومحمد جمال إمام وسمير مرقس** متابعاتهم الدقيقة وتحليلاتهم المتميزة لقضايا الفلاحين والعمال وحقوق المواطنة.

على الساحة العربية فرض الهم العراقي نفسه علينا . فكتب افتتاحية العدد رئيس التحرير عن نتائج اجتماع وزراء الخارجية .ونشرنا نداء رؤساء الأحزاب والقوى السياسية المصرية الموجه لهذا الاجتماع ، ونداء القاهرة الذي أصدره عدد من المفكرين والساسة المصريين . ومشاغبات **صلاح عيسى**.

ومن الهم العراقي إلى الهم الفلسطيني في ثلاثة رسائل من القدس وحيفا ومن الاستاذ **اسحاق الخطيب** ، الذي فهم خطأ التعريف الذي نشر مع مقاله في العدد الماضي قطن أننا نعرض به وهو أبعد ما يكون عن تصورنا ، فقد نشرنا هذا التعريف بناء على رسائل من عدد من القراء في مصر سألوا عنه بعد مقاله الأول في اليسار.

ثم كتب ثلاثة من كبار المتخصصين في مصر «**حلمي شعراوي- محمود عزمي- نبيل زكي**» عن الأمن القومي العربي وما تحيط به من أخطار . وسنواصل نشر مقالات أخرى في العدد القادم حول نفس الموضوع.

بالاضافة إلى رسالة دمشق ورسالة عمان.

كل ذلك مع أبوابنا الثابتة الأخرى.

تبقى كلمة أخيرة . منذ مدة ونحن ننشر مقالات فكرية للاستاذ **فؤاد النمرى** تصلنا عبر البريد أو الفاكس دون معرفة سابقة به. ورغم أن أفكاره وآرائه تختلف كثيرا مع الاتجاه العام ، وذلك ايمانا منا بأن الحقيقة لها أكثر من جانب ، وأن تعدد الآراء والأفكار والاجتهادات هي الطريق الوحيد لازدهار الاشتراكية .. وأيضا لأننا منبر ديمقراطي مفتوح لكل الآراء. ومع ذلك لا تتوقف رسائله التي تهاجمنا اذا تأخر مقاله أو نشر رأى لا يوافق عليه ، وتنذرنا بالويل والثبور وعظائم الأمور!

في فاكس أخير وجهه الى الزميل **خالد البلشى** (وليس لرئيس التحرير كالمعتاد) قال « اسمحوا لي أن أشجب بشدة وغضب التحقير المزرى الذي عبرت عنه السيدة **فريدة النقاش** في « **يمين × شمال** » / يناير) لتاريخ الثورة الاشتراكية .. » وهذا حقه على أي حال . ثم يختم رسالته قائلا .. « وآخيراً كنت أو أدرجت على جدول أعمال الهيئة الادارية لمنتدى الفكر الاشتراكي في عمان اقتراحا يطلب تقديم تبرع مناسب لمجلة « **اليسار** » يساعدها في عبور أزمتها ، خلافا لنصيحة أحد أعضاء الهيئة الادارية الذي زعم أن « اليسار » علاقات مالية مع منظمات مشبوهة - مازلت جازما ببطلان ذلك - لكن بعد الذي قالته النقاش لن أستطع إسناد اقتراحي »

ونقوله له ولمن تجرأ على هذا الاتهام المشبوه .. شكرا ،

وستظل اليسار راية المستضعفين (الحقيقيين) في الارض ومنبراً ديمقراطيا ، مهما تعرضتُ من الاصدقاء والاعداء.

اليسار

موقفنا

هزيمة عربية أخرى

حسين عبد الرازق

لم يفاجئ البيان الصادر عن الاجتماع التشاورى لوزراء الخارجية العرب الذى استمر ليوم واحد(٢٤ يناير ١٩٩٩) أحدا. فالتطورات والمواقف التى سبقت عقد الاجتماع كانت تشير بوضوح إلى استحالة التوصل إلى موقف عربى موحد – فى حده الأدنى – بالنسبة للمسألة العراقية " والعدوان الأمريكى الأخير عليها ، ومن باب أولى من الاخطار التى تهدد الأمن القومى العربى.

لقد شاركت بعض البلدان العربية فى العدوان الأمريكى البريطانى بصور شتى . البعض كالكويت وقطر والسعودية وغيرهم من دول الخليج قدم المساندة والدعم للقوات الأمريكية والبريطانية المعتدية ، بالسماح لطائراتها وصواريخها بالانطلاق من أراضيها أو مياهها الاقليمية أو عبر أجوائها . البعض الآخر كمصر وسوريا تواطأ من خلال المشاركة فى بيان دول إعلان دمشق الذى صدر فى الدوحة قبل العدوان وحمل العراق المسئولية عن أى تصاعد فى الموقف . ودول آخر تواطأت بالصمت أو مجرد إبداء الأسف بعد وقوع العدوان.

وعندما حاصرت الشعوب العربية حكامها وطالبتهم بموقف واضح ضد العدوان العسكرى الأمريكى البريطانى ، وكسر الحصار المفروض على العراق والغاء العقوبات من جانب الحكومات العربية إذ لم تنجح فى الغائها عن طريق مجلس الأمن ، وعقد قمة عربية لوضع استراتيجية عربية جديدة لمواجهة الأخطار التى تهدد الأمن القومى العربى وتمتد من العراق إلى فلسطين ولبنان وسوريا وليبيا والجزائر والمغرب والسودان ومن أخطار العدوان العسكرى والأحلاف إلى الأخطار الاقتصادية وخطر التبعية والإلحاق والسيطرة الإسرائيلية الأمريكية.

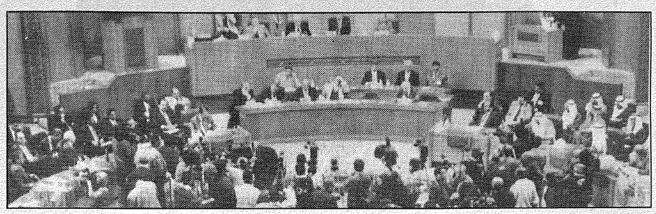
.. بادرت الحكومات العربية إلى الدعوة لعقد **مؤتمر لوزراء الخارجية العرب يوم ٣٠ ديسمبر ١٩٩٨** (أى بعد توقف العدوان بعشرة أيام) لاتخاذ موقف من العدوان على العراق والبحث فى عقد قمة عربية بناء على طلب اليمن . وفجأة وصل وزير الخارجية السعودى – سرا – إلى القاهرة يوم ٢٧ ديسمبر ، وأعلن بعد ذلك تأجيل الاجتماع إلى ٢٤ يناير ١٩٩٩ بناء على طلب من دول الخليج.

وكان هذا التأجيل بمثابة إشارة البدء لتدهور الموقف العربى . على الجانب العراقى شن العراق هجوما عنيفا على الأردن والسعودية والكويت ومصر والجامعة العربية ، ودعا الشعوب العربية للثورة على حكامها . وكتب **طارق عزيز** نائب رئيس الوزراء (أى نائب **صدام حسين**) سلسلة مقالات هاجم فيها الحكام العرب وطالب **صدام حسين** الشعوب العربية بالثورة على الحكام العرب(!!) . وأصدر المجلس الوسنى العراقى قرارا يطالب صدام حسين "عدم الاعتراف بالقرارات الجائرة التى صدرت ضد العراق" وإعادة النظر فى القرارات الدولية المتعلقة بترسيم الحدود بين العراق والكويت . وكتب طارق عزيز مقالا جديدا قال فيه " إن الكويت أنشئت ككيان من قبل بريطانيا من أجل محاصرة العراق وحرمانه من شواطئه التاريخية التى كانت جزءا منه منذ عهد السومريين ، وكانت كذلك فى ظل الدولة العثمانية التى كانت آخر دولة تهيمن على العراق والمنطقة قبل أن ينشأ كيان العراق الحديث العام ١٩٢١". **وعشية اجتماع وزراء الخارجية عاد وزير الخارجية العراقية " محمد سعيد الصحاف" ليعلن فى القاهرة إذا كف حكام الكويت عن مثل هذه الأمور فاننا متمسكون بترسيم الحدود. لكن استمرار الكويت فى مواقفها ودعم العدوان لن يؤدى إلى استمرار اعترافنا"!!**

قبل ذلك وفى مؤتمر صحفى قال **الصحاف** إن واشنطون سلمت الجامعة العربية وعددا من دولها رسالة تتضمن ٢٢ نقطة تحدد فيها مواقفها من العراق وتحذر هذه الدول من اتخاذ أى قرار فى اجتماع وزراء الخارجية العرب " المقرر غدا" فى شأن رفع العقوبات


حوار مصرى كويتى





جلسة افتتاح الاجتماع التشاورى لوزراء الخارجية العربية

من جانب واحد . وتحدث عن ضغوط أمريكية - لمنع الوزراء العرب من الموافقة على طلب العراق الدعوة إلى رفع الحظر وإلغاء منطقتى الحظر على الطيران شمال وجنوب العراق.

وتقطع هذه الممارسات العراقية ، أن الحكومة العراقية لم تكن تتوقع أى موقف إيجابى من اجتماع وزراء الخارجية فقررت مسبقا أن تهدم المعبد على رأس الجميع

على الجهة الأخرى توالت الممارسات العدائية ضد العراق ، والمصادرة على امكانية تحقيق أى اتفاق فى اجتماع وزراء الخارجية العرب.

فعقب اجتماع ضم وزراء خارجية عرب فى الغردقة هى " مصر والسعودية وسوريا واليمن وسلطنة عمان " واجتماعات متوالية لدول الخليج الست أصبح واضحا ، أن هذه الدول التى شاركت فى التحالف الدولى المعادى للعراق - باستثناء اليمن - عام ١٩٩٠ عقب الغزو العراقى للكويت ، ليست راغبة فى صدور قرارات من اجتماع وزراء الخارجية العرب يمكن أن يستفيد منها النظام الحاكم فى العراق ، ولاتملك رؤية لحل عربى وإنما تعمل فى النهاية فى نطاق الحل الأمريكى.

فالقمة العربية - وهى المستوى الوحيد القادر على اتخاذ قرارات استراتيجية ملزمة - مستبعد حاليا.

والاجتماع الوزارى " غير ملزم ولن تصدر عنه قرارات إلزامية" كما أعلن وزير الخارجية الاماراتى **راشد عبد الله النعيمى".**

واعتذار العراق عن غزو الكويت شرط مسبق لأى موقف عربى موحد مع العراق.

وإدانة صريحة للعدوان الأمريكى البريطانى أمر غير وارد وضرورة التزام العراق بكل قرارات مجلس الأمن والشرعية الدولية **والأخطر من هذا كله استمرار الصمت العربى والتواطؤ رغم استمرار الولايات المتحدة فى توجيه ضربات شبه يومية للعراق ولأهداف مدنية فيه بحجة خرق العراق لمنطقة الحظر الجوى فى الشمال والجنوب** ، وقد أعلنت هذه المنطقة بقرار أمريكى وبعيدا عن الأمم المتحدة ومجلس الأمن.

وصمت الحكومات العربية كلها على قرار الرئيس الأمريكى كلينتون وتقديم الدعم لما يسمى بالمعارضة العراقية **(٩٧ مليون دولار لسبع منظمات عراقية معارضة)** وإعلان مادلين أولبرايت أن الولايات المتحدة ستعجل خططها لإسقاط النظام فى العراق.

وكان واضحا أن تصعيد الضربات الجوية فى منطقتى الحظر شمال وجنوب العراق وتقديم الدعم العسكرى لمنظمات معارضة عراقية ، كلاهما وجهان لخطة أمريكية لاسقاط الحكم العراقى أو تفكيك العراق وإشعال نيران حرب أهلية فيه

ولم تكن دول الخليج العربية بعيدة عن هذا المخطط بجانبيه ، بل أن بعضها شريك أصيل فيها.

عمرو موسى



وإذا كان " **عمرو موسى**" وزير خارجية مصر قد وصف الوضع العربى قبل اجتماع وزراء الخارجية العرب بأنه " **ضعيف ومهترئ وغير سليم وغير صحى**" .. فان صورة الوضع العربى يعد أكثر سوءا ومأساوية.

فالبيان الصادر عن الاجتماع عجز عن مجرد إدانة العدوان الأمريكى البريطانى عن العراق . واكتفى بالتعبير عن" الانزعاج والقلق" بل واستخدم تعبيرا غريبا فى وصف العدوان وهو تعبير " الخيار العسكرى" ولم يلفت نظره أن العدوان متواصل يوميا ، وفى نفس لحظات اجتماعه.

ولم يتخذ القرار الذى طالبت به كل الشعوب العربية وقواها السياسية من الرفع الفورى للعقوبات من جانب واحد . وعندما تحدث عن بذل الجهود لرفع العقوبات الاقتصادية المفروضة على العراق ، لم يحدد أجلا تتخذ منه الحكومات العربية من جانبها مثل هذا القرار.

وبالطبع لم يتطرق الاجتماع أو البيان لأى رؤية شاملة للأخطار التى تحيط بالأمة العربية وأمنها القومى ووجودها ذاته ، والتى لاتقل أهمية عن المسألة العراقية وتفوقها خطورة فى بعض الأحيان باختصار **فالنظام الاقليمى العربى والحكومات العربية فى حالة عجز حقيقى عن حماية شعوبها ومصالحها وأمنها القومى ، وفى حالة استسلام للبيت الأبيض وإسرائيل.**

ومسئولية العراق والسعودية ودول الخليج ومصر وسوريا مشتركة فى هذا الأمر.

ومالم تدرك هذه الحكومات أن الأمر جد لاهزل وأن الخطر يهددها جميعا وأن مصلحتها تتطلب موقفاً عربياً موحداً واستراتيجية عربية شاملة لحماية الأمن القومى .. ستواجه الأمة العربية بكارثة حقيقية .. **إلا إذا قالت الشعوب كلمتها.**

نداء الاحزاب والقوى السياسية لوزراء الخارجية العرب


ابراهيم شكرى


خالد محيى الدين

السيد الاستاذ / فاروق الشرع
رئيس الدورة الحالية لمجلس الجامعة
السادة الاساتذه / وزراء خارجية الدول العربية.
السيد الاستاذ د. / عصمت عبد المجيد الامين العام للجامعه العربية
تحية طيبة وبعد ..

فقد وجدنا من واجبنا أن نتوجه اليكم بهذه الرسالة حرصا منا على الأمن القومي العربي وعلى حاضر ومستقبل الامة العربية ، آملين أن تحظى باهتمامكم فى اجتماعكم الهام الذى تعقدونه اليوم .

لقد وقفت الشعوب العربية جميعا ضد العدوان الامريكى البريطانى الوحشى على العراق الذى استمر من ١٧ الى ٢٠ ديسمبر ١٩٩٨ ، واستهدف تدمير بنية العراق الاساسية ومنشآته الصناعية والنفطية وقتل أطفاله ونسائه ورجاله وشيوخه ، واذلال الامة العربية واستمرار سيطرة الولايات المتحدة على ثروات الأمة العربية النفطية وأموالها وتأكيد انفراد الولايات المتحدة بالساحة الدولية على حساب القانون الدولى والمواثيق الدولية والامم المتحدة ومجلس الامن .

وطالبت شعوب الأمة العربية الحكومات العربية باتخاذ مواقف عملية تتجاوز الشجب والادانة والاسف ، وعقد قمة عربية عاجلة لوضع استراتيجية عربية لمواجهة الأخطار المحدقة بالأمة وحماية الأمن القومي العربى .

واستمراراً للمواقف التى عبرت عنها الشعوب العربية وقواها وأحزابها السياسية ، وما اتخذته أحزابنا فى مصر من مواقف ، فاننا نطرح على الاجتماع « التشاورى » لوزراء الخارجية العرب المقترحات التالية :

اولا : ادانة العدوان الامريكى البريطانى على العراق باعتباره انتهاكا صارخا للشرعية الدولية . ودعوة مجلس الأمن لاصدار قرار حاسم يمنع أى دولة من تكرار مثل هذا العدوان.

ومطالبة مجلس الأمن الالغاء الفورى للعقوبات المفروضة علي العراق والتى سقطت عمليا بعدوان الولايات المتحدة وبريطانيا علي العراق .. بالاضافة لما تسببه هذه العقوبات من مآسي وتدمير للحياة فى العراق .

ودعوة الولايات المتحدة وبريطانيا لالغاء الحظر الجوى فى شمال العراق وجنوبه ، وادانة تحليق طائراتها فى سماء العراق لما يمثله من انتهاك سافر لسيادة العراق.

ثانيا: دعوة الحكومة العراقية للازالة كل الآثار السلبية المترتبة على غزوها للكويت وتسوية كل المسائل العالقة بين الدولتين ، بما يحقق سيادة كل دولة على أراضيها وضمان أمنها وأمن مواطنيها وقيام علاقات جوار صحية ، تفتح الباب أمام مصالحة عربية حقيقية .

ثالثا: تقوم جامعة الدولة العربية ببحث كافة المسائل التى لازالت معلقة بين العراق وجيرانه، والعمل على سرعة تسوياتها طبقا لميثاق الجامعة وبما يحفظ لكل بلد حقوقه وأمنها .

رابعا: عدم السماح لاى دولة باستخدام اراضى واجواء ومياه اى بلد عربى للعدوان على بلد عربيا اخر .

خامسا: :اعلان الدول العربية عن عدم التزامها بالحصار المفروض علي العراق منذ مارس ١٩٩١ وعزمها على كسر هذا الحصار ودعوة الدول الاسلامية ودول العالم الثالث ، ودول العالم كافة للانتهاء الفورى لهذا الحصار .

سادسا: :اعلان عربى واضح برفض التدخل فى شئون أى بلد عربى واعتبار نظام الحكم فى أى بلد عربى هو شأن داخلى يخص شعبه وحده .

سابعا : ادانة أى محاولة لتقسيم العراق والتأكيد علي أن العراق الموحد ضمانة للأمن القومى العربي ولأمن كل بلد عربى على حدة.

ثامنا : العمل على احياء معاهدة الدفاع العربى المشترك

تاسعا: الدعوة لقمة عربية تخصص لوضع استراتيجية عربية لمواجهة الاخطار التى تهدد أمننا القومى

وكلنا أمل أن يستجيب لقاؤكم لمطالب ومواقف الشعوب العربية ويعبر عن تطلعاتها .

رئيس حزب التجمع
خالد محى الدين

رئيس حزب الوفد
محمد فؤاد سراج الدين
رئيس حزب العمل
ابراهيم شكرى
الأمين العام للحزب العربى الديمقراطى الناصرى
ضياء الدين داود
الامين العام لحزب الاحرار
حلمى سالم
المرشد العام للاخوان المسلمين
عنه مأمون الهضيبى
الشيوعيون المصريون
عنهم ابراهيم البدراوى

القاهرة فى ٢٤ يناير ١٩٩٩

نداء القاهرة.. حول الأزمة العراقية

فى يومى ٥ يناير (كانون ثان)، و٩ يناير ١٩٩٩، اجتمع فى مقر **جمعية النداء الجديد بالقاهرة** عدد من الشخصيات العامة، الواردة أسماؤهم فى نهاية هذا البيان، من مختلف التيارات الفكرية والسياسية فى الحياة المصرية، وذلك لتبادل الرأى فى الأزمة العراقية والموقف العربى الراهن وتعبيرا عن قلقهم العميق إزاء التطورات الحالية على الساحة العربية وقد اتفق المجتمعون على النتائج والتوصيات الآتية:

١- التضامن مع الشعب العراقى فى محنته ومناشدة كافة القيادات الفكرية والسياسية فى مصر والعالم العربى وكذا مؤسسات المجتمع المدنى فى العالم، للمطالبة بالالغاء الفورى للعقوبات المفروضة على العراق والتى تفتقر إلى أبسط المقومات الإنسانية لما ترتب عليها من آثار مدمرة على الأبرياء من الأطفال والنساء والشيوخ والعجزة، كذلك أثبتت التجربة خلال السنوات السبع الماضية أنها أدت إلى عكس المقصود منها حيث إنها لم تضعف النظام الصدامى بل إنها قوت قبضته على السلطة.

٢- إدانة الاعتداء الوحشى الذى ارتكبته الولايات المتحدة وبريطانيا ضد العراق خلال المدة من ١٧ إلى ٢٠ ديسمبر (كانون الأول) سنة ١٩٩٨، باعتباره انتهاكا صارخا للشرعية الدولية، ومناشدة مجلس الأمن أن يعمل على منع تكرار مثل هذا الاعتداء فى المستقبل لما ينطوى عليه من تخريب للنظام الدولى.

٣- إدانة النظام الاستبدادى الدموى الذى أقامه صدام حسين فى العراق والتنديد بالجريمة الشنعاء التى ارتكبها بغزوه الكويت، الأمر الذى أدى إلى تعميق ما يعانيه العالم العربى من تشرذم وعجز فى مواجهة التحديات التى تحيط به. بالاضافة إلى أن ممارساته الداخلية ومغامراته الاقليمية، اتخذت ذريعة للتدخل الأجنبى فى الشئون الداخلية للعراق والبلاد العربية.

٤- المطالبة بإلغاء الحظر الجوى فى شمال العراق وجنوبه، وإدانة التحليق الاستفزازى غير المبرر للطائرات الأمريكية والبريطانية فى سماء العراق باعتباره سابقة خطيرة فى العلاقات الدولية ومخالفة للشرعية الدولية، مع توفير الحماية اللازمة للشعب العراقى بواسطة الأمم المتحدة فى حدود ما يقضى به القانون الدولى.

٥- إدانة أية محاولة لتقسيم العراق والتأكيد على أن بقاء العراق موحدا أمر يتعلق بصميم الأمن القومى العربى والمصرى.

٦- رفض الكيل بمكيالين فى العلاقات الدولية والمطالبة بأن يطبق على إسرائيل ما يطبق على العراق بالنسبة إلى إنتهاك قرارات مجلس الأمن وامتلاك ترسانة من الأسلحة النووية والكيماوية والبيولوجية، والعمل على إنشاء منطقة خالية من أسلحة الدمار الشامل فى الشرق الأوسط، كما يقضى بذلك قرار مجلس الأمن٦٨٧ وتوصيات الجمعية العامة للأمم المتحدة.

٧- الدعوة إلى المصادقة على مشروع الميثاق المعدل لجامعة الدول العربية لدعم العمل العربى المشترك وضمان الفاعلية لجامعة الدول العربية، مع التأكيد على أهمية إنشاء محكمة عدل عربية ذات صلاحيات قوية وملزمة.

٨- العمل على إحياء معاهدة الدفاع العربى المشترك بحيث تزول الحاجة إلى ترتيبات دفاعية ثنائية مع دول أجنبية مما يسمح بإلغاء القواعد العسكرية الأجنبية الموجودة حاليا فى بعض الدول العربية.

٩- الدعوة إلى قمة ثلاثية من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية، يناط بها بحث كل المسائل العالقة بين الكويت والعراق بهدف الوصول إلى تسوية مقبولة من كل الأطراف المعنية، أخذا فى الاعتبار أن القمة الثلاثية ليست بديلا عن القمة العربية الشاملة.

١٠- التأكيد على الأهمية القصوى للتحول الديمقراطى فى العالم العربى انطلاقا من أن حكم الفرد قد انتهى عهده، وأننا لا نستطيع اللحاق بركب الحضارة إلا فى إطار من الديمقراطية الحقيقية والاحترام الكامل لحقوق الإنسان.

أسماء المشاركين فى الاجتماع حسب الحروف الابجدية

١-ابراهيم دسوقى أباظة
٢- أبو العلا الماضى
٣- أحمد أبو شادى
٤- أحمد نبيل الهلالى
٥- أسامة الغزالى
٦- اسماعيل صبرى عبد الله
٧- أمينة شفيق
٨- بهى الدين حسن
٩- تحسين بشير
١٠-جميل مطر
١١- حافظ أبو سعده
١٢- حسام عيسى
١٣- حسن نافعة
١٤- حلمى غر
١٥-سعد الدين ابراهيم
١٦- سعيد النجار
١٧- سعيد سنبل
١٨-صلاح الدين حافظ
١٩- صلاح منتصر
٢٠-عبد العزيز محمد
٢١-عبد المنعم سعيد
٢٢-على الدين هلال
٢٣- لطفى الخولى
٢٤-مأمون الهضيبى
٢٥-محمد السيد سعيد
٢٦-محمد سليم العوا
٢٧- محمد فايق
٢٨- محمود قاسم
٢٩- منير فخرى عبد النور
٣٠- نجاد البرعى
٣١- هشام صادق
٣٢-وحيد عبد المجيد





يا لئيم .. لسه عندك شوية بترول مخبيهم تحت الأرض

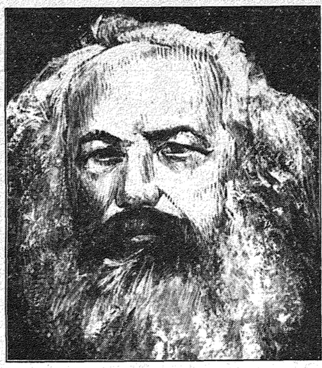
— آه تذكرت .. العراق ؟ .. كان هنا منذ قليل

مَدَدّ ياست مادلين.. مَدَدّ



هوامش على دفتر الحياة

ملاحظات حول البيان الشيوعى



كارل ماركس



انجلز

د. عبد العظيم أنيس

قررت أن أعود إلى قصة **«البيان الشيوعى» لماركس وانجلز** رغم أنه قد مضى فى فبراير الماضى مائة وخمسون عاما على صدور هذا البيان التاريخى. وسبب هذه العودة هو أنه قد وصلتنى مؤخرا الطبعة الانجليزية الحديثة للبيان مع مقدمة طويلة للكاتب البريطانى الشيوعى **أريك هوبسدوم** Eric Hobsdom وهو أستاذ التاريخ بجامعة لندن. ولأهمية هذه المقدمة وما تثيره من قضايا فكرية كان من الطبيعى أن أفكر فى العودة إلى هذا الموضوع . والمقال الحالى يعتمد كثيرا على هذه المقدمة.

وربما كان من المناسب أن أذكر أولا فى عجالة كلمة عن الظروف التاريخية التى أدت إلى صدور هذا البيان .ففى ربيع ١٨٤٧ وافق **ماركس وانجلز** على الانضمام إلى ما سمى آنذاك **«عصبة العدل»** التى كانت نبتة عن جمعية سرية ثورية تكونت فى باريس فى ثلاثينيات القرن الماضى وأغلب أعضائها ألمان رحل -معظمهم حرفيون ترزية ونجارون -تحت تأثير الثورة الفرنسية.

وقد اقترحت العصبة أن تصدر بيانا يصوغه ماركس وانجلز كوثيقة تعبر عن سياستها وأن تجدد تنظيمها وفقا لهذه السياسة ، وهذا البيان هو البيان الشيوعى.

وقد أعيد تنظيم العصبة فى ١٨٤٧ ، وتغير اسمها إلى **«عصبة الشيوعين»** والتزمت بهدف **«اسقاط البرجوازية ، وحكم البروليتاريا ، وإنهاء المجتمع القديم القائم على التناقضات الطبقية ، وإقامة مجتمع جديد بدون طبقات وبدون ملكية فردية».**

وفى نوفمبر -ديسمبر ١٨٤٧ ، انعقد مؤتمر العصبة فى لندن ووافق رسميا على الأهداف واللوائح الجديدة .وعلى الرغم من أن **ماركس وإنجلز** قد أعدا الصياغة الأولى للبيان- والوثيقة تمثل بشكل واضح وجهة نظرهما المشتركة.. **فإنه من شبه المؤكد أن النص النهائى هو من صياغة ماركس.**

وقد نشر البيان فى فبراير ١٨٤٨ وطبع فى مكاتب **«الاتحاد التعليمى للعمال»** ٤٦ شارع ليفربول- لندن.

***

يعتبر **البيان الشيوعى** أحد كلاسيكيات

السياسة العالمية ،حتى بعد انهيار الشيوعية السوفيتية ، وتدهور أحوال أحزاب ماركسية عديدة في أجزاء مختلفة من العالم .**ففى أى دولة ليس بها رقابة على المطبوعات تستطيع أن تجد نسخة من هذا البيان فى أى مكتبة عامة محترمة أو فى أى محل محترم لبيع الكتب** . وطبعا أن الهدف من إصدار طبعة جديدة منه ليس جعله فى متناول يد الناس ، ولا من باب أولى العودة إلى قرن من الجدل الايديولوجي حول التفسير «الصحيح» لهذه الوثيقة الاساسية ، وإنما لتذكير الناس بأن **لدى هذا البيان -رغم انقضاء الظروف التاريخية لبعض مقولاته- الكثير مما يفيد هذا العالم وهو على أبواب القرن الواحد والعشرين.**

ماذا يمكن أن يقوله البيان اليوم؟.

بالطبع لا ننكر أنه وثيقة كتبت في لحظة تاريخية معينة، وبعضها تجاوزته الظروف حتى بعد صدوره بوقت قريب. مثلا إن التكتيكات التى أوصى بها البيان للشيوعيين الالمان لم تكن بالفعل تلك التى طبقت فى ثورة ١٨٤٨، وبعض أجزاء الوثيقة أصبح عتيقا بمرور الزمن فجويزو مترنيخ قد انتقلا منذ زمن طويل إلى كتب التاريخ والقيصر لم يعد موجودا . **أما المناقشة الواردة عن «الكتابات الاشتراكية الشيوعية» فقد اعترف ماركس وإنجلز عام ١٨٧٢ بأن هذه المناقشة تجاوزتها الظروف.**

الأكثر أهمية أنه بمرور الزمن لم تعد لغة البيان هى لغة القارئ اليوم . فعلا لقد تكرر الحديث عن جملة فى البيان تقول « **إن تقدم المجتمع البرجوازى قد أنقذ جزءا معتبرا من السكان من «غباء» المجتمع الريفي.** ولكن بينما ليس لدينا شك فى أن **ماركس** كان يشارك سكان المدن احتقارهم للوسط الريفى وجهله فإن الجملة الالمانية فى البيان لا تشير إلى غباء أهل الريف وإنما **تشير إلى بعد «ضيق الأفق» والعزلة عن المجتمع الأكبر** والذى يحدث أنه بمرور الزمن منذ اربعينيات القرن الماضى .وفى الحركات السياسية التى لم يكن أعضاؤها مثقفين ثقافة كلاسيكية مثل **ماركس** ، تبخر المعنى الأصلى لكلمة **«الغباء»**.

بل إن هذا أكثر وضوحا فى اللغة السياسية للبيان متغيرات مثلEstate أوDemocracy أو Nation آنذاك لم تعد ملائمة كثيرا لسياسات أواخر القرن العشرين ، أو لم يعد لها نفس المعنى الذى كان لها فى الخطاب السياسى أو الفلسفى آنذاك.

وكمثال واضح على هذا فإن« **الحزب الشيوعى » الذى تحدث البيان باسمه ليس له أى صله بالحزب كما نعرفه اليوم فى السياسات الديمقراطية الحديثة ، أو فى أحزاب الطليعة اللينينية. إن الحزب بالمعنى الحديث لم يكن موجودا** . والحزب كان يعنى فى الأساس تيارا من الرأى أو السياسة على الرغم من أن ماركس وإنجلز كانا يدركان أنه عندما يتبلور هذا التيار فى حركة طبقية فمن المحتم أن يأخذ شكلا من أشكال التنظيم.

الأكثر من هذا أنه من الواضح أن البيان لم يكتب فقط فى ظروف تاريخية معينة ما بل إنه يمثل مرحلة- غير ناضجة نسبيا- من مراحل تطور الفكر الماركسى .وهذا أكثر وضوحا فى الجانب الاقتصادى .فعلى الرغم من أن ماركس قد بدأ دراسة الاقتصاد السياسى بشكل جدى ابتداء من ١٨٤٣ ، إلا أنه لم يكن قد بدأ فى تطوير التحليل الاقتصادى الوارد فى «رأس المال» إلى أن وصل إلى منفاه فى انجلترا بعد ثورة ١٨٤٨ ، وبعد أن توفرت أمامه كنوز المتحف البريطانى عام ١٨٥٠ ، ولذلك **فإن التفرقة بين بيع البروليتارى لعمله وبين بيعه لقوة عمله- وهى تفرقة ضرورية للنظرية الماركسية عن فائض القيمة والاستغلال -ليست واضحة فى البيان.**

ومع ذلك فرغم أن **ماركس وإنجلز** أوضحا للقارئ أن البيان هو وثيقة تاريخية تجاوزتها الاحداث من بعض النواحى -فإنهما ساعدا على نشر طبعة ١٨٤٨ مع تعديلات وتوضيحات طفيفة .فقد أدركا أنه يظل تقريراً أساسيا يميز شيوعيتهم عن كل المشروعات الأخرى لخلق مجتمع أفضل.

وفى الجوهر فإن هذا التحليل تاريخى ، وأساسه تبيان التطور التاريخى للمجتمعات ،وعلى وجه الخصوص المجتمع البرجوازى الذى حل محل المجتمع الاقطاعى وحقق ثورة عليه، ثم خلق بالضرورة الظروف الملائمة لانتهائه **وبهذا المعنى فإن البيان الشيوعى كان وثيقة تعريفية للماركسية مثلت رؤية تاريخية فى خطوطها العامة ، وإن احتاجت بعد ذلك إلى أن تمتلئ بتحليلات أوسع.**

ولكن كيف يبدو البيان الشيوعى لقارئ يقرأه اليوم لأول مرة.

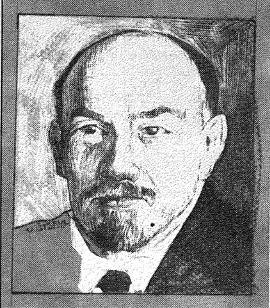
إن القارئ الجديد للبيان لابد أن يغمره هذا الشعور بهذا الاقتناع العارم ، وهذا الايجاز المركز ، وقوة الاسلوب والمعرفة فى هذا الكتيب المدهش ، يغمره هذا الشعور منذ البداية «**ثمة شبح يخيم على أوروبا- شبح الشيوعية**» إلى الخاتمة «**إن البروليتاريين لن يخسروا غير قيودهم**». أيضا من مميزات هذا الكتيب الاعتماد على الفقرات القصيرة -وهو ما لم يكن شائعا فى الكتابات الالمانية آنذاك.

وهو كخطاب سياسى يكاد أن يكون له قوة الانجيل .اختصار يستحيل إنكار قوته القاهرة كقطعة أدبية . ومع ذلك فالقارئ المعاصرسوف يؤثر فيه تشخيص البيان الفائق للطابع الثورى للمجتمع البرجوازى . وليست المسألة أن **ماركس** كان يدرك الانجازات غير العادية وديناميكية المجتمع الذى كان يكرهه ، وإنما الحقيقة أن العالم الذى حولته الرأسمالية والذى وصفه ماركس عام ١٨٤٨ هو نفس العالم الذى نعيش فيه اليوم بعد مائة وخمسين عاما .

والغريب أن **التفاؤل السياسى -غير الواقعى-** لثائرين أحدهما كان فى الثامنة والعشرين والآخر فى الثلاثين من العمر قد أثبتت أنه أكثر عناصر هذا البيان ديمومة وقوة .وعلى الرغم من أن شبح الشيوعية كان يطارد السياسيين الاوربيين حقا ،وعلى الرغم من أن أوروبا كانت تعيش مرحلة أساسية من الازمة الاجتماعية الاقتصادية ،وأنها كانت على وشك الانفجار فى أكبر ثورة فى تاريخها **إلا أنه من الواضح اليوم أنه لم يكن هناك أساس لاعتقاد البيان أن بداية انهيار النظام الرأسمالى تقترب ،بل على العكس فكما نعلم اليوم فإن الرأسمالية كانت مؤهلة لبدء تقدمها العالمى الظافر.**

ومع ذلك هناك شيئان يمنحان البيان قوته : الأول هو رؤيته بأنه حتى مع بداية التقدم الظافر للرأسمالية ، فإن هذا الشكل من الانتاج ليس دائما ،ليس مستقرا ، ليس «نهاية التاريخ» فى تاريخ الانسانية .والثانى هو إدراكه للنزعات التاريخية طويلة المدى للتطور الرأسمالى. ومنذ الثورة الفرنسية كان لبعض هذه النزعات التى لاحظها **ماركس وإنجلز** تأثيرها الهام . فمثلا ظاهرة تدهور الولايات المستقلة وإن كانت ذات صلات ضعيفة ، بمصالحها المنفصلة وقوانينها وحكوماتها ونظام ضرائبها ،واستبدالها بحكومة وطنية واحدة ذات قوانين واحدة ومصالح طبقية واحدة وحدود وتعريفة جمركية واحدة.

ومع ذلك فإن علينا أن نعترف أن ما حققته البرجوازية في أواخر الاربعينيات كان أقل بكثير مما نسبه البيان إليها. علينا ألا ننسى أنه فى عام ١٨٥٠ لم يكن العالم كله ينتج من الصلب أكثر من **٧١ ألف طن**



لينين

(٧٠٪ فقط لبريطانيا) وكل ما بناه هذا العالم من سكك حديدية لم يزد عن **٢٤ ألف ميل**(ثلثاها لبريطانيا والولايات المتحدة) ، ولم يكن لدى المؤرخين صعوبات في توضيح أنه حتى في بريطانيا ، فإن **الثورة الصناعية** (وهو التعبير الذي كان أول من صكه إنجلز عام ١٨٤٤) **لم تكن قد خلقت دولة صناعية أو حتى مجتمعا حضريا في الاساس قبل ١٨٥٠.**

إن ماركس وإنجلز لم يصنعا العالم كما حولته الرأسمالية عام ١٨٤٨ ،لقد تنبئا بالتحول الذي يحدث.. في الرأسمالية . وبشكل ما يمكن أن نرى اليوم قوة **البيان الشيوعي** أكثر من الاجيال التي جاءت بيننا وبين يوم صدوره . فإلى أن وقعت ثورة المواصلات والاتصالات منذ الحرب العالمية الثانية كانت هناك حدود لعولمة الانتاج ، حدود للطابع الكوزموبوليتاني للانتاج والاستهلاك . وإلى السبعينيات من القرن الحالي ظل التصنيع محصورا في مناطقه الأصلية ،لكن الأمر اختلف في عالم اليوم.

باختصار فإن ما يبدو في البيان عام ١٨٤٨ لقارئ غير ملتزم كمجرد خطاب ثوري، أو على الأكثر كتنبؤ قابل للتفكير ، يمكن الآن أن يقرأ كتخصيص محدد للرأسمالية في نهاية القرن العشرين وهو أمر لا تتميز به أي وثيقة أخرى صدرت في أربعينيات القرن الماضي.

..

مع ذلك فإن كان يدهشنا في نهاية القرن العشرين دقة رؤية البيان للمستقبل البعيد في عولمته ،فإن فشل البيان في تنبؤ آخر لابد أن يثير دهشتنا كذلك. فمن الواضح أن البرجوازية لم تصنع من البروليتاريا «**حفاري قبورها**» وسقوطها وانتصار البروليتاريا لم يثبت حتميته.**وهذا التباين بين نصفي تحليل البيان في الجزء الخاص من «البرجوازية والبروليتاريين» يدعو إلى البحث -بعد ١٥٠ سنة -عن تفسير أكثر مما كان يظن عند صدوره.**

إن المشكلة ليست في رؤية ماركس وإنجلز للرأسمالية التي حولت بالضرورة معظم الناس الذين يكسبون معاشهم في هذا الاقتصاد إلى أناس يعتمدون على تأجير أنفسهم من أجل أجور ورواتب -فالرأسمالية نزعت دون شك إلى هذا على الرغم من أن بعض المؤجرين براتب (مثل مديري الشركات) يصعب أن نسميهم اليوم بروليتاريا.

ولا هي تتمثل في قناعات **ماركس وإنجلز** بأن معظم القوى العاملة ، سوف تتكون من قوة عمل حقيقية. لقد تحقق هذا بالفعل طوال قرن بعد صدور البيان ، لكن لم يعد هذا هو الموقف اليوم في الرأسمالية الحديثة كثيفة رأس المال عالية التكنولوجيا ، وهو تطور لم يرد ذكره في البيان الشيوعي .وفي الحقيقة فإنه مع استثناءات قليلة .. مثل بريطانيا وبلجيكا والولايات المتحدة ظل العمال الصناعيون حتى عام ١٩٧٠ يمثلون النسبة الأكبر من مجموع السكان مقارنة بالماضي.

وعلى أي حال فإن سقوط الرأسمالية -كما صوره البيان- لم يكن معتمدا على التحول المسبق لغالبية السكان إلى بروليتاريا ،وإنما على فرض أن وضع البروليتاريا في الاقتصاد الرأسمالي هو من القوة بحيث إذا نظمت البروليتاريا كحركة طبقية سياسية فإنها يمكن أن تعبئ حولها سخط الطبقات الأخرى وأن تقودها وبالتالي تحصل على السلطة السياسية كحركة مستقلة لغالبية الشعب .وهكذا فإن البروليتاريا تنهض لتكون الطبقة القائدة للأمة.

وحيث أن الرأسمالية لم تسقط فإن من الطبيعي أن نستبعد هذا التنبؤ. ومع ذلك فإن سياسات معظم الدول الرأسمالية الأوروبية قد جرى التحول فيها بصعود الحركات السياسية المنظمة المؤسسة على الطبقة العاملة الواعية ،وهي ظاهرة لم تكن قد اتضحت عام ١٨٤٨ باستثناء بريطانيا .فالاحزاب العمالية والاشتراكية ظهرت بعد ذلك في معظم أجزاء العالم المتقدم في ثمانينات القرن الماضي وأصبحت احزابا جماهيرية في الدول التي أقرت النظام الانتخابي الديمقراطي.

وخلال الحرب العالمية الأولى وبعدها اتبع فرع من الاحزاب الاشتراكية طريق البولشفيك الثوري ، وشكل فرع آخر الدعامة القوية للرأسمالية الديمقراطية.

واليوم لم يعد الفرع البولشفيكي ذا مغزى يذكر .فحتى الاحزاب التي كانت من هذا النوع اختارت اليوم الاشتراكية الديمقراطية . لكن الاشتراكية الديمقراطية كما كانت مفهومة أيام بيبل Bebel **أو حتى أيام كليمنت** تحارب معركة تراجعية في التسعينات من القرن الحالي.**ومع ذلك فإن احفاد الاحزاب الاشتراكية للدولية الثانية هي أحزاب الحكومة في كل أوروبا باستثناء أسبانيا.**

باختصار فإن **خطأ البيان الشيوعي ليس في نبوءة الدور المركزي للحركات السياسية المؤسسية من الطبقة العاملة (وبعضها لا يزال يحافظ على الاسم العمالي كما هو الحال في بريطانيا وهولندا والنرويج واستراليا) وإنما هو في تقرير «أنه من بين كل الطبقات التي تقف وجها لوجه مع البرجوازية فإن البروليتاريا وحدها هي الطبقة الثورية حقا وهي الطبقة التي قدرها الواضح- المتضمن في طبيعة وتطور الرأسمالية -هو اسقاط البرجوازية.**

إن رؤية البيان للتطور التاريخي للمجتمع البرجوازي ، بما في ذلك الطبقة العاملة التي ولدت منه ،لم تكن تؤدي بالضرورة إلى الاستنتاج بأن البروليتاريا سوف تسقط الرأسمالية وبهذا تفتح الطريق لتطوير الشيوعية، فالرؤية والاستنتاج ليسا مشتقين من نفس التحليل. **فهدف الشيوعية -الذي تبناه ماركس قبل أن يصبح ماركسيا- لم يكن مشتقا من تحليل طبيعة وتطور الرأسمالية وإنما من حجة فلسفية عن الطبيعة البشرية والمصير.**

والفكرة الأساسية عند **ماركس** منذ البيان بأن البروليتاريا طبقة لا تستطيع تحرير نفسها دون تحرير المجتمع ككل قد ظهرت لأول مرة كاستنتاج فلسفي وليس نتاج الملاحظة.

وفي أربعينيات القرن التاسع عشر فإن

الاستنتاج بأن المجتمع على شفا الثورة لم يكن أمرا غير محتمل ، ولو كان الاستنتاج بأن الطبقة العاملة -مهما كانت غير ناضجة- سوف تقوده. **فبعد أسابيع من نشر البيان قامت حركة من عمال باريس بإسقاط الملكية الفرنسية وأعطت بذلك إشارة الثورة لنصف أوروبا.** ومع ذلك فإن نزعة التطور الرأسمالي لولادة بروليتاريا ثورية بالضرورة لا يمكن استنتاجها من تحليل طبيعة التطور الرأسمالي **إنها إحدى النتائج الممكنة لهذا التطور ، ولكن لم يكن من الممكن إثبات أنها النتيجة الوحيدة الممكنة.** ومن باب أولى لم يكن ممكنا إثبات أن نجاح البروليتاريا في إسقاط الرأسمالية سوف يؤدي بالضرورة إلى فتح الطريق للشيوعية.

إن رؤية ماركس للبروليتاريا كقوى جوهرها يحرر كل البشرية وينهي المجتمع الطبقي باسقاط الرأسمالية إنما مثلت أملا واردا في تحليله الاقتصادي وليس استنتاجا يفرضه هذا التحليل.

إن تحليل البيان الشيوعي للرأسمالية يمكن أن يؤدي إلى استنتاج أكثر عمومية وأقل تحديدا عن القوى المتضمنة في الرأسمالية ، فهي لابد أن تصل إلى نقطة حيث التناقضات المتضمنة في نظام السوق القائم على المصلحة الشخصية والاستغلال والتراكمات بلا نهاية لا يمكن التغلب عليها . وعند نقطة من سلسلة التحولات وإعادة التركيب يتطور النظام الاقتصادي إلى أوضاع ليس من الممكن وصفها بالرأسمالية.

وليس من المرجح أن يناظر مجتمع ما بعد الرأسمالية هذه النماذج التقليدية للاشتراكية ، ومن باب أولى اشتراكية المرحلة السوفيتية .أما أية أشكال سوف تأخذها وإلى أي حد سوف تتضمن القيم الانسانية لشيوعية ماركس وإنجلز فسوف تتوقف على الفعل السياسي الذي أدى إلى هذا التغيير.

في الماضي قرأ البيان الشيوعي كوثيقة ذات حتمية تاريخية ،والحقيقة أن قوته إلي حد كبير تأتي من هذه الثقة التي يمنحها للقارئ بحتمية دفن الرأسمالية .لكن المقابر لكي تحفر لابد من عمل بشري كبير لانجاز هذا الحفر.

إن قراءة حتمية للبيان شئ ممكن .ولقد قيل في الماضي أن إنجلز كان يميل إلى هذه القراءة أكثر من ماركس ،وعلى الرغم من صياغة البيان الاوفر لانجلز قد ذكرت كدليل على هذا ،إلا أنه لا يمكن ملاحظة هذا في النص الأخير الذي لدينا .وحتى قبل لينين فإن النظرية الماركسية لم تكن حول ما يشير التاريخ إلى أنه سيحدث بل هي عن «ما يجب عمله».

وبالطبع فإن التجربة السوفيتية علمتنا أنه قد يكون من الأفضل ألا نعمل «ما يجب عمله» في ظل ظروف تاريخية تجعل النجاح امرا مستحيلا.

لكن هذا الدرس كان يمكن استيعابه من التفكير في مضامين البيان الشيوعي. إن البيان وثيقة لم تستبعد الفشل من فكرها .لقد أملت أن تكون نتيجة التطور الرأسمالي «إعادة تكوين ثورية للمجتمع ككل» لكنها لم تستبعد البديل الآخر« الدمار المشترك».

الحرب العراقية الإيرانية

يحاول بعض كتاب الصحف الحكومية- ومنهم رؤساء تحرير- وصف الحرب العراقية الايرانية التي دامت ثماني سنوات بأنها **«الحرب المجنونة»** ويتخذون منه الدليل على حماقة **صدام** وجنونه . أما أنها حرب مجنونة فصحيح.

ولكن ما لا يقوله هؤلاء الكتاب هو أن دول الخليج . خصوصا **السعودية والكويت** هي التي مولت هذه الحرب المجنونة وأنفقت في سبيل ذلك **سبعين مليار دولار**، وأن الدول الاستعمارية الكبرى (أمريكا وبريطانيا) قد ساهمت في تسليح العراق في هذه الحرب المجنونة رغم أنه كانت هناك قرارات حظر لا تبيح لبريطانيا مثلاً أن ترسل أسلحة للعراق .**وكانت الدول الاستعمارية تريد القضاء على الثورة الايرانية أو على الأقل إنهاكها . وكان حكام السعودية والكويت يرتعدون من خطر تصدير الثورة الشعبية إلى حدودهم ، وتصور صدام أنه بهذا العمل المقيت يحمي البوابة الشرقية للعروبة مع أنه كان مرعوبا من تحركات الشيعة في الجنوب.**

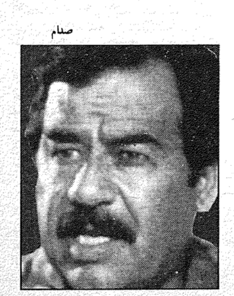
الأمر الأكثر أهمية بالنسبة لنا أن **مصر الرسمية كانت تدعم صدام في هذه الحرب «المجنونة»**رغم الخصومة التي كانت بين القاهرة وبغداد حول كامب ديفيد.**فالسادات- بنصيحة أمريكية -طبعا- كان يرسل للعراق قطع غيار الأسلحة السوفيتية التي تحتاجها بغداد في حربها مع الايران** -وكانت معظم الاسلحة العراقية في ذلك الوقت سوفيتية -و **استمر هذا التموين بعد ذلك في عهد مبارك وفي أثناء الحرب العراقية الايرانية «المجنونة» كانت نعوش العمال المصريين العاملين في الجبهة تصل إلى القاهرة بالمئات فيرفض رئيس وزراء مصر- د. عاطف صدقي- أن يفتح فمه بكلمة احتجاج ضد بغداد**.وفي تلك الظروف ضاعت حقوق العمال المصريين المالية فغضت الحكومة المصرية الطرف حرصا على مشاعر حكام الخليج وبغداد. وبعد ذلك شكلت مصر مع **نظام صدام** والاردن واليمن اتحادا رباعيا كانت أمانته في عمان ،وكاد **د. حلمي نمر أمينه العام.**

هل نسينا كل هذا في زحام الحملات الاعلامية المتبادلة بين بغداد والقاهرة؟ ولماذا نعاير بغداد اليوم بأشياء كانت مصر الرسمية ضالعة فيها؟.



السادات

صدام



القاهرة الجديدة

ورقة وقلم

أحمد الخميسى

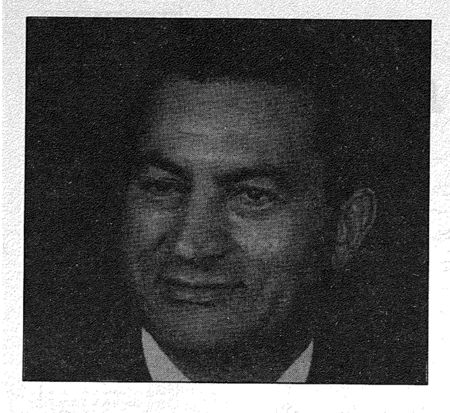
ذات يوم توقفت فى مدينة رفح وشاهدت أسلاك الحدود بين بلادى وإسرائيل . وأصابتنى دهشة من أن لمصر حدودا . **أيعقل أن تكون لتلك المشاعر والأغنيات والذكريات وصلات القرابة والصداقة حدود بأسلاك ؟** حدود لابد أن تتوقف عندها أمواج الذكريات والآمال التى ترتج بلا نهاية داخل النفس وتمنح الشعور باستحالة أن تكون لمصر نهاية . لكن السور والجنود والأسلاك تجعلك تدرك فجأة تلك الحقيقة البسيطة: **أن لكل شئ حدا حتى جريان هذا النهر بداخلك .**

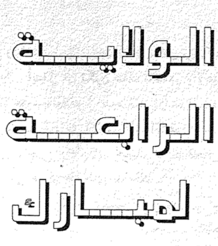
وقد توقف الزمن بداخلى خلال سنوات طويلة عشتها خارج مصر . توقف النهر الذى كان بحاجة لموج جديد من الذكريات والصور والأحاديث والأماكن لايحصل عليها . وأخذ الزمن يتدفق إلى الوراء فقط من الحاضر إلى الماضى . **وأكدت لى سنوات الغربة شيئا واحدا : أن الوطن ليس ماننتخيله للوطن ، وليس مانبذله من أجله ، لكنه حاجة لاتصلح لتبريرها أية نظريات أو قيم أو مثل ، حاجة غريزية للحياة فوق تلك الأرض بالذات ، حاجة ملحة مثل الجوع والعطش . ومامن أحد يبحث عن تبرير فكرى أو فلسفى لرغبته فى الارتواء .**

وقد أدهشتنى القاهرة التى أعود لأحضانها بحياتها التى تعاش خطفا : فالناس يلتقون خطفا ، ويتحدثون خطفا ، ويتحابون خطفا ، ويتصادقون خطفا ، ويكتبون خطفا . والشوارع التى كانت ثابتة أصبحت تجرى فى كل اتجاه . وأنت لاتدرى هدفا لحالة اللهاث المحمومة تلك ، ولاهدفا لسرعة السيارات المجنونة ، ولاهدفا لسرعة المكالمات الومضية . **فقد تحول اللهاث والجرى من وسيلة للبحث عن شئ إلى هدف بحد ذاته ونمط للحياة .**

لقد ولدت قاهرة جديدة غير تلك التى ركدت صورها فى زمنى الخاص . قاهرة أحاول أن أعثر فى خرائطها على تلك الخطوط المشتركة بينها وبين القاهرة التى عرفتها وأحاول أن أشم فى منعطفاتها العطر القديم الذى أعرفه ، وأحاول أن أنفض الغبار عن منازلها لتعود كما كانت .إنها " قاهرة جديدة" لايجعلها مألوفة سوى أسماء الأصدقاء القدامى : **حسام حبشى ، محمد عبد الرسول ، صلاح عيسى ، جمال الغيطانى** . ولايجعلها مألوفة سوى وجوه الخالات وأبناء العم، والذين تركتهم صغارا فعدت لتجدهم رجالا ونساء يجرون أطفالهم من ورائهم ويسلمون عليك بسرعة لينصرفوا بسرعة إلى أعمالهم ،**قاهرة تعيش حياتها خطفا من أجل الحصول على الخبز وسداد فواتير الكهرباء دون أن تجد متسعا من الوقت لكى تتعرف على ذاتها أو تقف أمام المرآة لحظة.**







الملكية الجديدة .. والأحزاب " الكرتونية "

في رواية الفلاحين " لبلزاك" ينصح فلاح فرنسي أبنائه ويقول لهم " ياأبنائي لاتقتحموا الأشياء مباشرة" ، أنتم ضعفاء جدا ، خذوها مني ، اقتحموها جانبياً . تظاهروا بأنكم أموات ، العبوا دور الكلب النائم ".

فاذا كان ذلك مقبولاً من فلاح ضعيف في مواجهة حياة قاسية فهل يكون هذا مقبولاً من حزب سياسي في مواجهة حزب سياسي آخر أو مرشح له في الانتخابات ؟! وماذا لو كان هذا الموقف هو موقف غالبية أحزاب المعارضة في مصر من ترشيح **مبارك** لفترة رئاسية رابعة ليستمر في الحكم لمدة ست سنوات جديدة وليصبح أطول من حكم مصر - ٢٤ عاماً - خلال العصر الحديث. **فهل يكون ذلك طبيعياً أم أننا نعيش أزمة سياسية كبيرة؟**

كانت البداية في يوم الثلاثاء ١٠ نوفمبر الماضي عندما بادرت **الهيئة البرلمانية للحزب الوطني الديمقراطي** في اجتماع لها برئاسة مبارك باعلان مبايعتها له رئيساً لمصر لفترة رئاسية رابعة تبدأ في أكتوبر القادم . هذا على الرغم من أن الإجراءات الرسمية لتسمية مرشح الرئاسة تبدأ - طبقاً للدستور - قبل ٦٠ يوماً من انتهاء فترة الرئاسة الحالية أي أن الهيئة البرلمانية للحزب الوطني كان أمامها فترة تسعة شهور كاملة لاعلان ذلك حيث تنتهي الفترة الحالية في أكتوبر ١٩٩٩.

وقد أعلن الرئيس مبارك قبوله للترشيح قائلاً " إننا نطلب من المولى عز وجل أن يعيننا على العمل وتحمل التبعات من أجل أن يتحقق المزيد من التقدم والارتقاء."

وعلى الرغم من أن المجتمعات الديمقراطية لاتعرف صيغة المبايعة والتأييد فقد قام رئيس مجلس الشعب - بعد موافقة المجلس - بارسال برقية تأييد ومبايعة إلى الرئيس في اليوم التالي لقبوله الترشيح.

وفي صباح الخميس ١٢ نوفمبر بعث **رئيس مجلس الشورى** باسم المجلس برقية مبايعة اليه بايعه فيها رئيساً وقائداً لمسيرة النهضة الحديثة لمصر وعزا المجلس ذلك إلى أن " مبارك تولى الرئاسة في أكتوبر ٨١ في ظروف مصيرية قاسية ، وتصدى لجوهر المشكلة وأنجز أعمالاً لمصلحة مصر" ولفت المجلس الأنظار إلى أن اعلان التأييد المبكر - لايسبق الزمن ولايتعجل الوقت وإنما يتصل بالتوقيت الملائم.

ولم يكد يمر شهر واحد إلا وكانت برقيات المبايعة والتأييد قد انهمرت من كافة أرجاء مصر ومن جميع المحافظات والجامعات ومختلف الهيئات السياسية والاجتماعية والمنظمات والجمعيات تعلن عن تأييدها المطلق لسياسات مبارك الحكيمة والتي حملت مصر للانطلاق إلى عالم المستقبل.

لم يكن هذا مستغرباً فلقد بدأت بعض الكتابات - منذ فترة طويلة - تنادي باستمرار رئاسة مبارك ليتم مابدأه ويكمل المشروعات -" العملاقة" - التي سيستغرق انشاؤها أكثر من عشرين عاماً كاملة . **بل إنه من المتوقع - لو مد الله في عمره حتى يتم ذلك - أن يخرج من يقول إن من حقه أن يبقى حتى يرى نتيجة ماقام به من مشروعات ان كانت هذه المشروعات قد نجحت أصلاً ، أو لم تخرج علينا الحكومة بمشروعات جديدة تحت دعوى أن المشروعات السابقة لم تكن عملاقة بالشكل الكافي الذي تريده هي لمصر .**

وبغض النظر عن كم المال العام الذي يتم اهداره في اعلانات مبايعة الرئيس لفترة قادمة . **والذي يتم اقتطاعه من أموال دافعي الضرائب وصناديق الخدمات بالمحافظات** ، والمتوقع أن يتم إهدار المزيد منه كلما اقترب موعد الترشيح الرسمي للرئيس ، فان موقف

خالد البلشي

غالبية الأحزاب المصرية المعارضة التى وقفت صامتة حتى الآن دون أن تعلن أى موقف رسمى من هوجة مبايعة الرئيس - والتى بدأت مبكرة هذه المرة- هو مايدعو للدهشة والاستغراب . وخصوصا أن هذا الصمت من جانب أحزاب المعارضة قد يفهم منه موافقتها على استمرار مبارك فى الرئاسة لفترة رابعة وهو مايتناقض مع ماكانت هذه الأحزاب ولازالت تبديه من اعتراضات كثيرة على السياسات الراهنة.

بل إن أحزاب المعارضة كانت قد قدمت وثيقة للاصلاح السياسى والديمقراطى فى عام ١٩٩٧ أعقبها اقتراح بمشروع دستور جديد لم يتم الموافقة على أى منهما حتى الآن.

وطبقا للدستور فان الرئيس مبارك يتحمل المسئولية الكاملة عن كل مايحدث الآن فى مصر بل أنه يعد صاحب القرار الوحيد فى مصر أيضا" راجع المواد :٧٣، ٧٤، ١٠٨، ١٠٩، ١١٢، ١٣٧، ١٣٨، ١٤١، ١٤٢، ١٤٣، ١٤٤، ١٤٥، ١٤٦، ١٤٧، ١٤٨، ١٤٩، ١٥٠، ١٥١، ١٥٢.. من الدستور" وهو ما أكدته التجربة فى مصر حيث توالى على رئاسة الحكومة فى مصر فى عهد مبارك خمسة رؤساء وزارة« فؤاد محيى الدين - كمال حسن على - على لطفى - عاطف صدقى - كمال الجنزورى» وأكثر من ٩٠ وزيراً نفذوا جميعاً نفس السياسات التى يريدها الرئيس ، وخصوصاً أنه الرئيس الوحيد الذى حكم مصر استناداً إلى قانون الطوارئ طوال فترة حكمه.

وفى ظل السياسات الحكيمة **للرئيس مبارك تم تصفية كل منجزات ثورة ٢٣ يوليو وتخلت الدولة عن دورها فى تحقيق التنمية وتوفير الخدمات الأساسية للمواطنين وارتفعت نسبة من يعيشون تحت خط الفقر - طبقا لتقرير التنمية البشرية الصادر عن معهد التخطيط القومى- إلى ٤٨٪ عام ١٩٩٦ بعد أن كانت ٣١٪ عام ١٩٨١ . وزادت أعداد العاطلين لتصل إلى ٣ر٥ مليون عاطل أغلبهم من حملة المؤهلات العليا والمتوسطة . وشاع الفساد فى المجتمع كله خاصة فى الشرائح العليا فى الدولة والذى عكسته كثير من القضايا التى تناولتها الصحافة المصرية فى السنوات الأخيرة.**

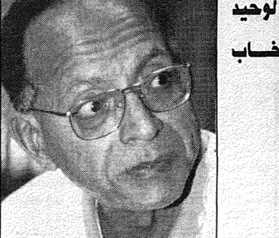
ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد بل إن عام ١٩٩٨ قد شهد مجموعة من الممارسات والإجراءات المعادية للديمقراطية والتى تنتهك حقوق الانسان وأصبح التعذيب سياسة منهجية للحكم فى التعامل مع المواطنين . هذا غير العديد من القوانين والقرارات بقوانين والتى تنتهك الحقوق الديمقراطية للمواطنين والتى من المنتظر أن يعرض مزيد منها على مجلس الشعب فى الفترة القادمة.

التجمع :. الحزب الوحيد الـذى رفـض انتخـاب مبـارك أعـوام

١٩٨١

١٩٨٧

١٩٩٣



د. رفعت السعيد

وفى هذا الإطار **يجب أن يكون الترشيح لرئاسة الجمهورية مناسبة هامة لاعلان هذه الحقائق ومحاسبة الرئيس على السياسات التى نفذت فى عهده والنتائج التى ترتبت عليها ومطالبته بتغييرها وخصوصاً أن ترشيحه سيأتى عبر مجلس شعب أكثر من نصف أعضائه مشكوك فى صحة عضويتهم طبقا للتقارير الصادرة عن محكمة النقض.**

وللتاريخ فان حزب التجمع - على الرغم من تراجع موقفه فى كل مرة عن المرة السابقة لها - كان هو الحزب الوحيد من بين أحزاب المعارضة الذى رفض ترشيح مبارك فى كل المرات السابقة.

ففى أول مرة طرح فيها اسم **حسنى مبارك** لرئاسة الجمهورية عقب اغتيال الرئيس السابق **أنور السادات** عام ١٩٨١ أيدت جميع الأحزاب القائمة (الوطنى - العمل - الأحرار) هذا الترشيح (وكان حزب الوفد قد اتخذ قراراً بحل نفسه) ولم يعترض على ذلك إلا حزب التجمع الوطنى التقدمى الوحدوى.

وسبب الحزب اعتراضه على ترشيح مبارك فى ١٩٨١ « بأن السيد المرشح محمد حسنى مبارك قد سارع باصدار تصريحات صحفية ، كما وجه رسالة إلى مجلس الشعب تبنى فيها كافة المواقف السابقة للرئيس الراحل محمد أنور السادات ، تلك المواقف التى عارضها حزبنا واعتبر معارضتنا لها محوراً لعمله السياسى الوطنى فى المرحلة السابقة"

وفى المرة التالية عام ١٩٨٧ كان الموقف الذى اتخذه حزب التجمع من ترشيح مبارك هو أقوى المواقف التى اتخذها الحزب على مدار تاريخه حيث انفرد الحزب - والذى لم يكن ممثلاً فى مجلس الشعب -" برفض ترشيح مبارك الذى احتفظ بجوهر سياسات السادات وحافظ عليها وضمن لها البقاء طوال ست سنوات مما أدى إلى تدهور مستوى معيشة الطبقات الشعبية والفئات الوسطى وتوالت الممارسات المعادية للديمقراطية وانتشر الفساد كالسرطان فى جسم الدولة والمجتمع ونما التعصب الدينى والفتنة الطائفية والارهاب".

وأعلن الحزب« أنه فى هذا الصدد فان **الرئيس مبارك يتحمل المسئولية فى سد كل الطرق التى يمكن أن تؤدى إلى انفراج الأزمة** .. ولن يفيد الحكم كثيرا أن يستند إلى نتائج الاستفتاء القادم فى تصوير اجماع شعبى على الرئيس لأن الكل يعرف كيف يجرى كل استفتاء فى مصر حيث لايتوجه المواطنون إلى صناديق الانتخاب وتتكفل الشرطة بالتصويت نيابة عنهم". **ثم دعا الحزب المواطنين إلى رفض ترشيح مبارك وقال « فمسئوليتك أيها المواطن أن ترفض ذلك بالتصويت " بلا " فى الاستفتاء فكل الحقائق فى بلادنا تصرخ وتؤكد أنه لم يعد هناك مجال للحكم الفردى** .." وخرجت صحيفة **الأهالى** الناطقة باسم الحزب وهى تحمل" **لا لمبارك** " فى صدر صفحتها الأولى يوم الاستفتاء على الولاية الثانية .

وفى هذه الانتخابات أيد التحالف الاسلامى ، داخل مجلس الشعب(**العمل والأحرار والاخوان المسلمون)** ترشيح مبارك لفترة ثانية بينما **إمتنع حزب الوفد عن التصويت.**

وكانت الولاية الثالثة عام ١٩٩٣ هى المرة الوحيدة التى أجمعت فيها أحزاب المعارضة الرئيسية (التجمع - الوفد - الناصرى - العمل - الاخوان المسلمون - الشيوعيون) على رفض ترشيح مبارك لفترة رئاسية جديدة . بل إنها كانت المرة الأولى التى يعلن فيها حزب مصرى داخل مجلس

الشعب - حزب التجمع - رفضه الموافقة على هذا الترشيح.

ولأول مرة يعلن التجمع أنه مستعد لإعادة النظر فى موقفه برفض ترشيح الرئيس مبارك فى حالة قيامه بتحقيق ٤ مطالب رئيسية للحزب قبل يوم ١٢ أكتوبر موعد الاستفتاء. وانحصرت هذه المطالب فى

١- تعديل قانون مباشرة الحقوق السياسية.

٢- الغاء القيود المفروضة على العمل السياسى الجماهيرى للأحزاب.

٣- حماية ذوى الدخل المحدود من الأعباء والآثار المترتبة على سياسة الاصلاح الاقتصادى.

٤- مواجهة الارهاب مواجهة شاملة فى مختلف المجالات.

الآن وبعد مرور ١٨ عاماً على حكم مبارك وبعد أن **أصبح النظام الجمهورى المصرى أقرب إلى النظام الملكى** تقاعست كل الأحزاب والقوى السياسية المصرية عن إعلان موقف صريح تجاه مايحدث **باستثناء حزب الوفد والشيوعيين**. وهو الأمر الذى يطرح العديد من التساؤلات حول ماتثيره أحزاب المعارضة من أن عجزها عن ممارسة دورها فى المجتمع مرتبط بحجم الديمقراطية المسموح بها فى المجتمع. **فهل إعلان الأحزاب لموقف واضح ومحدد من الولاية الرابعة لمبارك يحتاج لأكثر من شجاعة وقدرة على اعلان هذا الموقف أم أننا أصبحنا نعيش فى أزمة سياسية حقيقية بحيث لم تعد الأحزاب فيها قادرة حتى أن تعلن لا أو نعم للترشيح فى ظل حسابات لانعرفها؟**

ولكن ربما يفسرها ماكتبه **لطفى الخولى** فى تحليله للأزمة السياسية الراهنة فى الأهرام عن **الأحزاب الكرتونية** حتى وان كان تحليله يأتى فى إطار تبرير السائد والترويج لمؤسسة الرئاسة كقاطرة للتغيير.

يقول **لطفى الخولى** فى أهرام ١١/٢٣: "إن المقاومة الأساسية لحركة قاطرة الدفع والتغيير .. تأتى من الوضع العبثى الذى يحتله الحزب الوطنى بأغلبيته العددية الفقيرة النوعية إلى حد مذهل التى تسيطر على مجلس الشعب والشورى والمجالس المحلية وغيرها من المؤسسات السياسية وتمنع بأسوارها الشمولية وهراوات جماعات المنتفعين المحترفة بالسلطة من نفاذ القوى الجديدة إلى قلب عملية التغيير والتحديث .. **والمشكلة تتفاقم حين يظل الحزب الشمولى الحاكم رابضاً كالفيل النهم العجوز فى ساحة تتعدد فيها أحزاب مقيدة أو كرتونية.**".

أو ربما يفسرها ماكتبه **عادل غنيم** فى رده عليه فى اليسار حين عزا أزمة أحزاب المعارضة وضعفها وتشوهها الخلقى إلى " **أنها ولدت جميعاً باستثناء الوفد والحزب الناصرى من رحم الدولة وبقرار منها تعيش وتنشط داخل مقار مملوكة للدولة ولاتملك حق الخروج منها إلى الشارع . تقدم لها الدولة إعانات مالية متواضعة وتفرض على ماليتها رقابتها الصارمة . وتطبع صحفها فى مطابع الدولة ، ومعظم رؤساء تحريرها ومحرريها من الصحفيين العاملين فى الصحف المملوكة للدولة ومنها يتقاضون مرتباتهم ..**" ثم يتساءل **عادل غنيم** بعد ذلك " **إذا كان هذا هو حالها فكيف نتصور إمكان ضخ الحيوية فى الساحة السياسية ؟!**"

عموماً فحتى حزب الوفد الذى أعلن لنا **د. ابراهيم الدسوقى أباظة** موقفه برفض البيعة للرئيس لفترة جديدة تنازعه موقفان . **موقف د. ابراهيم المتشدد** والموقف الذى أعلنه **فؤاد سراج الدين** رئيس الحزب فى الاحتفال بعيد الجهاد عندما أوضح" **أنه لامانع من إعادة تجديد البيعة للرئيس مبارك عن فترة رئاسية رابعة وخامسة لكن بشرط ألا يكون هذا التجديد من خلال الاستفتاء المضحك الذى ليس له مثيل فى العالم إنما من خلال الانتخاب المباشر الحر**" الوفد ١١/٢٣ وهو الموقف الذى أكدت عليه كثير من الكتابات فى **صحيفة الوفد** لسان حال الحزب والتى خرجت لتعلن أنها مستعدة لتأييد ترشيح الرئيس لفترة رابعة فى حالة قيامه باجراء التعديلات المطلوبة منه قبل موعد الاستفتاء القادم".

وكتب عباس الطرابيلى افتتاحية الوفد فى يوم ١٩٩٨/١١/١٩ تحت عنوان " **نعم لمبارك .. ولكن بشروط**" وهو ماعاد وأكد عليه كثير من كتاب الوفد - الصحيفة والحزب - بعد ذلك.

يقول **د. ابراهيم الدسوقى أباظة**" الموقف



د. ابراهيم دسوقى أباظة

الوفدى بالنسبة لطريقة وأسلوب اختيار رئيس الجمهورية موقف ثابت . وقد أعلن الوفد مراراً أن الأسلوب المتبع لاختيار الرئيس والذى انتهجه الدستور الشمولى الحالى أسلوب معيب لأنه لايحقق الاختيار الشعبى المباشر لرئيس الدولة بل يجعل الاختيار أقرب إلى التعيين منه إلى الانتخاب . **فمجلس الشعب الذى يأتى به الرئيس هو الذى يرشحه للرئاسة وبالتالى لم يقم المجلس على طوال تاريخه بترشيح أحد غير الرئيس لهذا المنصب وبعد ذلك يطرح هذا الترشيح للاستفتاء العام والذى نعرف جميعاً كيف يجرى.**

ويضيف د. ابراهيم ولذلك " فكل هذه الأساليب ابتداء من ترشيح المجلس إلى الاستفتاء، أساليب معيبة ديمقراطياً لأنها لاتتيح كما قلنا انتخاب الرئيس من بين عدد من المرشحين بالاقتراع العام المباشر . **وهذا الأسلوب يؤدى فى النهاية إلى مصادرة تداول السلطة وقصرها على فرد واحد لآماد طويلة.** فمادام الرئيس هو الذى يأتى بمجلس الشعب لابد أن يأتى المجلس بالرئيس ومن هنا كان تزوير الانتخابات لصالح الرئيس وحزبه الحاكم لضمان تحقيق النسبة المطروحة للرئاسة داخل مجلس الشعب . لذلك فاذا أردنا أن نمنع تزوير المجالس النيابية علينا أن نفض الاشتباك بين المجلس والرئيس.

وقد اختط الوفد هذا النهج وطالب باصلاح سياسى يؤدى إلى تغيير الدستور وبالتالى تغير النص المتعلق باختيار الرئيس وفرض الأسلوب السليم وهو الاقتراع الحر المباشر بين مجموعة من المرشحين.

وقد أعلن رئيس الوفد **-كما يقول د. ابراهيم -** فى **عيد الجهاد الوطنى** فى ١٣ نوفمبر الماضى أنه ضد هذا الأسلوب المعيب وأنه يطالب الرئيس باجراء الاصلاح السياسى وتغيير الدستور وأكد أنه لو قام بهذا العمل فسيعتبر أكبر إنجاز فى القرن العشرين" .

ويؤكد د. إبراهيم الدسوقى : أن موقفنا الثابت من هذه القضية قد دفعنا للاعتراض الدائم على ترشيح الرئيس بهذا الأسلوب **ولاشك أننا نعتبر ترشيح الرئيس لفترة رابعة ومصادرة تداول السلطة بهذا الأسلوب من أكثر المضارالتى تصيب البلاد وتسد الطريق أمام الدماء الجديدة التى تنتظر دورها السياسى لتولى الحكم."**

سألته ولكن **فؤاد باشا** أعلن فى عيد الجهاد أنه لو قام الرئيس ببعض الاصلاحات السياسية والدستورية لن تمانعوا ترشيحه لفترة رابعة أو خامسة وستؤيدونه فى ذلك؟

فقال **د. ابراهيم:** نعم فى حالة اجراء الاصلاحات لن نعترض على ترشيحه ولكن **ساعتها سيكون لنا مرشح للرئاسة** مثلما سيكون لبقية الأحزاب والأفراد هذا الحق . فما يحدث الآن سببه خلل فى النص هذا النص الدستورى سيؤدى إلى تأبيد الحكم فى يد رئيس الجمهورية . أما فى حالة إقرار دستور جديد ينص على فترة أو فترتين للحكم ويفتح الباب أمام مجموعة من المرشحين للتنافس على منصب الرئيس فساعتها سيكون من حق الرئيس مبارك ومن حق الآخرين خوض الانتخابات الرئاسية فى ظل الدستور الجديد . أما كونى سأنتخبه أو لن أنتخبه فأعتقد أن هذه مسألة أخرى" .

ورغم الانقسام البادى فى صفوف حزب الوفد فلقد كان هو الحزب الوحيد الذى بادر إلى إعلان موقفه من الولاية الرابعة لمبارك من بين بقية الأحزاب المصرية الأخرى. فعندما توجهت لأستطلع موقف **الحزب الناصرى** رفض عدد من قادته ابداء رأى حول ذلك وقالوا لى أن الموضوع مازال قيد النقاش وهم لايستطيعون الحديث عنه لأن الحزب لم يحدد موقف من ذلك حتى الآن.

نفس الشئ تكرر مع **حزب العمل** حيث قال لى المهندس **ابراهيم شكرى** رئيس الحزب أن الحزب لم يبت فى هذا الأمر بعد . وعندما سألته عن سبب تأخر الحزب قال **إن السبب وراء ذلك كان هو شهر رمضان وأن الأمانة العامة للحزب ستجتمع بعده لتبت فى الأمر.**

وبعد أن أعطانى مجالاً للحديث- بعكس بقية قادة الأحزاب التى لم تعلن موقفها حتى الآن ومن بينهم التجمع - سألته.. ولكن ألا يوجد مؤشرات تستطيع سيادتك من خلالها أن تحدد لنا كيف سيكون موقف الحزب؟

فقال لى .. لاأستطيع أن أحدد لك موقفاً ولكننا نسعى مع عدد من أحزاب المعارضة لأن يكون لنا رأى موحد من الولاية الرابعة . **وعموما فان موقفنا فى الغالب سيتوقف على البت فى بعض المطالب التى تطرحها الأحزاب منذ فترة طويلة ومن بينها انهاء حالة الطوارئ المعمول بها منذ فترة طويلة وكذلك النظر فى قانون الطوارئ والقوانين المقيدة للحريات ..** وغير ذلك ولكن كل ماأستطيع أن أقوله أن الأمر مازال مطروحاً للنقاش داخل الحزب.



أما **د. رفعت السعيد** الأمين العام لحزب التجمع - وهو الحزب الذى انفرد - كما قلنا - برفض قبول ترشيح الرئيس مبارك لفترات قادمة فى جميع المرات السابقة - فلقد أجل موعدى معه حتى يقوم المكتب السياسى بمناقشة الأمر ، وفى الموعد المحدد قال لى **أن الأمر لم يتم مناقشته بعد وأنه لايستطيع أن يعلن أى موقف ولامجال للنقاش حول ذلك إلا بعد أن يبت المكتب السياسى فى ذلك.**

عموماً فالمتابع للتطورات داخل حزب التجمع سيجد أن هناك تياران مختلفان داخل الحزب . **الأول طرحته بعض الأراء داخل الحزب وهو يرى أن يقوم الحزب برفض الولاية الرابعة لمبارك واختيار مرشح للمعارضة فى الاستفتاء القادم كتسجيل موقف حول قصور طريقة الاستفتاء عن تلبية أمال الجميع وهو ماينتج عنه عملية تأبيد السلطة.**

أما **الموقف الثانى** وهو يعد امتداد لموقف الأمانة العامة للحزب من الولاية الثالثة مع قليل من التراجع فيرى التوجه برسالة للرئيس مبارك يقول الحزب فيها إن الولاية الرابعة تستحق أفكاراً سياسية جديدة وإصلاحاً سياسياً معيناً وأن **ذلك يجب أن يتم قبل موعد الاستفتاء القادم وعلى أساس تنفيذ ذلك أو عدم تنفيذه يستطيع الحزب أن يحدد موقفه من الولاية الرابعة.**

وإذا كان هذا هو موقف الأحزاب السياسية الرئيسية التى سمح لها بالتواجد على الخريطة السياسية فما هو موقف القوى السياسية الأخرى؟

عندما سألت **سيف الاسلام حسن البنا** المحامى الاخوانى المعروف عن موقف الاخوان المسلمين من الولاية الرابعة لمبارك قال لى **"لسه بدرى أوى على إعلان موقف على ذلك** فالموقف الذى يصدر فى ظروف معينة يكون أوقع ونحن نتخير الوقت المناسب حتى نعلن فيه رأينا.

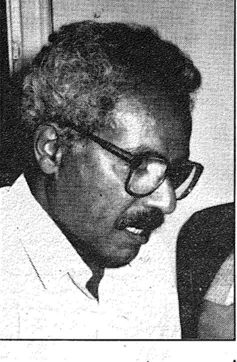
وعموماً لسه بدرى وباقى عشرة أشهر والأيام القادمة أيام حاسمة ونحتاج لقرارات حاسمة وخصوصاً أننا فى مفترق الطرق وهناك أسئلة ومواقف خطيرة تحتاج لحسم مثل وضع العراق والقضية الفلسطينية والتى انتهت لطريق مسدود على الصعيد العربى. بالاضافة للانتخابات الإسرائيلية وموقف

الأحزاب المصرية:

موقفنا سيتحدد بناء على مـــا سيتم انجازه فى المرحلة المقبلة.

ابراهيم البدراوى:

هـــذا مـــوقـف هـــروبـــى


ابراهيم البدراوى

الشعب الإسرائيلى منها وخصوصاً أن هناك مفترق طرق أخر لديهم ، وماهو رد الحكومة المصرية على ماسيحدث وخصوصاً أننا وصلنا للنهاية . وكذلك عزل كلينتون وماسيترتب عليه من نتائج على المستويين الداخلى والخارجى هذا على الصعيد العالمى.

وكل هذه المسائل تحتاج لقرارات حاسمة وسيكون علينا انتظارها ."

فسألته وهل يعنى ذلك أن موقف الحكم خلال الشهور القادمة من القضايا المطروحة عليه هو الذى سيتحدد عليه موقف الاخوان من ولاية مبارك؟

قال لى **سيف الاسلام** " هذا أمر مؤكد ففى ظل اتخاذ قرارات معينة نشعر أن هناك جهداً قد بذل فيها مثل الدور الذى قام به الرئيس مبارك فى نزع فتيل الأزمة بين تركيا وإسرائيل من ناحية وسوريا من ناحية أخرى ممكن أن يتغير قرارنا وخصوصاً أننا نشعر أن هناك تحولاً إيجابياً فى السياسة الخارجية المصرية.

فنحن رفضنا الاشتراك فى مؤتمر واشنطن ومؤتمر الدوحة وهذه قرارات إيجابية ونريد المزيد منها فى المرحلة القادمة. **نحن نرى أن الظروف تضغط ولأن المواقف ضرورية فى هذه الظروف فان الأمر يتوقف بدرجة كبيرة على ماسيحدث فى المرحلة القادمة."**

فقلت له ولكن الأمرالواقع أن هناك سلطة تقبض على نظام الحكم منذ ١٨ عاماً وهى مسئولة عما يجرى من سياسات.. ألا يحتاج هذا الموضوع فى حد ذاته إلى نظره بمعنى أن هناك فرد يقبض على الحكم منذ ١٨ عاماً مازال يجدد له وسيصل إلى ٢٤ عاماً فى الحكم .؟

فقال لى "هذه قضية تحتاج لتعديل فى الدستور ونحن لانريد إثارة ذلك الآن . الموضوع يحتاج لتعديل الدستور ولابد أن يتم تعديل الدستور ولكن السؤال هل هذا ميسور الآن **وهل يمكن أن نفتح جبهة داخلية فى هذا الوقت الذى نجابه فيه ضغوطاً حيوية على المستوى الخارجى ؟**

عموماً فنحن - الاخوان المسلمون - نعتقد أنه لم يحن الوقت بعد لأخذ قرار حول موضوع ولاية مبارك وخصوصاً أنه باقى عشرة أشهر وهذه الأشهر العشرة مليئة بالتقلبات الحاسمة والوضع غير مستقر والله وحده يعلم ماسوف يحدث فى ظل هذه العواقب.

ولكن مأأود أن ألفت الأنظار إليه أننا معارضة حقيقية وعلى أسس حقيقية وننادى باطلاق الحريات كل الحريات كحرية العقيدة وحرية الرأى وغيرها وننادى باستقلال القضاء والغاء العمل بقانون الطوارئ والقوانين المقيدة للحريات وننادى باجراء انتخابات حرة نزيهة وتنفيذ أحكام القضاء بشأن بطلان الانتخابات كما أننا ضد مايحدث للمحكمة الدستورية والتى يتم انتزاع سلطاتها ونعارض التوغل فى سياسات الخصخصة والتوسع فيها الأمر الذى سيؤدى إلى أن يسقط الاقتصاد المصرى فى يد الأجانب . ومن هنا فنحن نحذر صادقين".

سألته ولكن ألا يتحمل رئيس الجمهورية تبعات كل هذا باعتباره السلطة الأعلى فى مصر فى الوقت الحالى إن لم يكن السلطة الوحيدة؟

فقال " **بالطبع يتحمل كل هذا هو ومن يؤازره** ولكن هل يبقى كرئيس أو لايبقى ستظل مسألة محل نظر لعدة اعتبارات .!!

قلت له لماذا وأنتم مقتنعون بكل هذا لم تتخذوا أى قرار حتى الآن؟

فقال "جذريا أنا لاأستطيع إعطاء أى رأى قبل بحثه فى الجماعة لأن هذا يعتبر مصادرة على رأى الجماعة وعموماً فالأمر مرتبط بما سيحدث فيما بعد فنحن أيدنا الرئيس فى مجلس الشعب قبل ذلك بشرط أن يعمل على تطبيق الشريعة الاسلامية وأن يطبق النص الموجود فى الدستور".

أى أنكم من الممكن أن تعلنوا موافقتكم على تولية الرئيس مبارك لفترة رابعة؟

-" نعم بشرط أن يلتزم بتطبيق نصوص الدستور المتعلقة بالشريعة وعلى ضوء ماسيتخذه من مواقف تجاه القضايا الخارجية المعلقة مثل قضية العراق وفلسطين والتى تحتاج لتوحيد الجبهة الداخلية".

ويعد موقف الشيوعيين المصريين والذى جاء مخالفاً بشكل تام لكل الأحزاب والقوى السياسية هو أقوى المواقف - من وجهة نظرى على الأقل - حيث بادر **ابراهيم بدراوى** ممثل

الشيوعيين إلى اعلان رفضهم لتولية مبارك لمدة جديدة بل ودعوا المواطنين الى التصويت بلا فى الاستفتاء القادم.

يقول **ابراهيم بدراوى** :" فى البداية لابد أن نوضح أن اختيار رئيس الجمهورية لايتم بالانتخاب ومن الخطأ اعتبار أن ماسوف يحدث فى أكتوبر القادم هو انتخاب لرئيس الجمهورية فالانتخابات تكون بين مرشحين متعددين وهذا لايحدث فى مصر للأسف.

المسألة الثانية والتى أود توضيحها أننا لانحدد موقفنا على أساس شخصى وإنما على أساس موضوعى يتمثل فى البرنامج السياسى والممارسة السياسية **وبالتالى فان موقفنا من الاستفتاء القادم لاختيار الرئيس مبارك هو رفضنا لهذا الاختيار ، لأسباب تتعلق ببرنامجه وسياساته كما أسلفت.**

فعلى **مستوى سياساته الداخلية** .. فى المجال الاقتصادى مثلاً فاننا نرفض برنامج وسياسات وممارسات الرئيس مبارك رفضاً مطلقاً ذلك أنه قد تمت فى السنوات الأخيرة بالذات عملية انقلاب شاملة للأوضاع الاقتصادية فى مصر تحت مايسمى بالاصلاح الاقتصادى والذى يعد تخريباً حقيقياً للاقتصاد المصرى وببعه، وهو ماسيسفر عنه حدوث تصفية حقيقية لمؤسساتنا الانتاجية على وجه الخصوص . **وهذا يرقى لمرتبة الانقلاب الكامل على خط التنمية الشاملة ، مهما روج من أوهام تحت مايسمى بالمشروعات العملاقة . فهناك فرق بين النمو العشوائى وغير المخطط والموجه إلى الأنشطة الطفيلية الضارة وبين التنمية الاقتصادية الحقيقية.**

وعلى **المستوى الاجتماعى** اتبع النظام الحالى بقيادة **مبارك** سياسات معادية تماماً لمصالح الطبقة العاملة والفلاحين وسائر الفقراء والكادحين بل ومعادية حتى لمصالح البرجوازية المنتجة . **وبعد هذا تدميراً للبنية الاجتماعية يؤدى وسوف يؤدى فى المستقبل إلى إغلاق باب التطور السلمى فى البلاد** ، نتيجة تكثيف استغلال رأس المال الأجنبى والمحلى الطفيلى والتابع لشعبنا.

وتأتى **السياسات التشريعية** لتتوج عملية الانقلاب الشاملة فى مصر بالانقضاض على البناء التشريعى الراهن وإقامة بناء تشريعى متلائم مع الانقلاب فى الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية . **أى بناء تشريعى يقنن مايحدث على صعيد الاقتصاد ويسلب بشكل كامل كافة المكتسبات الاجتماعية للعمال والفلاحين والفقراء عموماً** مثلما حدث فى قانون الغاء العلاقة بين المالك والمستأجر فى الأرض الزراعية وقانون النقابات العمالية ومشروع قانون العمل الموحد . بل ويسلب أية ضمانات للمواطنين حال القبض عليهم ومحاكمتهم بتعديل قانون الاجراءات الجنائية.

ويمتد الانقلاب - كما يقول **ابراهيم البدراوى**- إلى السياسات التى تتعلق بالقضايا القومية العربية وحتى السياسات الخارجية التى تمهد للنفوذ والهيمنة الأمريكية والصهيونية على الوطن والمنطقة العربية بأسرها.

قلت لابراهيم بدراوى .. يتردد فى داخل بعض الأحزاب والقوى السياسية أن مواقفهم سوف تتحدد بناء على إجراء الرئيس لبعض الاصلاحات السياسية خلال هذا العام . فما هو موقف السيوعيين من ذلك؟

فقال :" أشك كثيراً فى إمكانية قيام الرئيس بأى إصلاحات سياسية نظراً لأن ذلك يسير باتجاه معاكس للسياسات الاقتصادية والاجتماعية والتشريعية الجارية وتضييق هامش الديمقراطية المتاح الذى تسير عليه السلطة بهمة ونشاط طوال السنوات الماضية.. **فمن باب أولى كان ينبغى عدم تضييق هذا الهامش بما يدع أملاً فى تطور ديمقراطى فى المجتمع وأعتقد أن هذه الحجة التى ترددت قبل الاستفتاءات السابقة وهذا الشرط الذى سبق سوقه فى الماضى هو موقف هروبى من اتخاذ موقف حاسم.** ولكن استبعاد هذا الأمر بشكل مطلق من الممكن أن يكون خطأ منهجياً وعلى ذلك يمكن دراسة الوضع حين حدوث هذا الأمر فيما لو حدث.

وأعتقد أن الاصلاح المرجو والذى من الممكن أن يدفعنا لتغيير موقف الرفض المطلق لاعادة انتخاب الرئيس لابد أن يكون على درجة عالية من العمق سواء بالنسبة للإصلاح السياسى أو بالنسبة لاعادة مكتسبات العمال والفلاحين التى سلبت أخيراً وتغيير كافة السياسات الاقتصادية المتبعة حاليا والتى تسببت فى الوضع المزرى الذى نعيشه الآن.

وفى النهاية أعيد تأكيد رفضنا لاختيار الرئيس فى الاستفتاء القادم للأسباب السابقة باعتبار أن مايجرى ليس انتخاباً فعلياً بين مرشحين . **بل وأدعو الأحزاب السياسية وجماهيرها والطبقة العاملة والفلاحين وكل المضارين من سياسات الرئيس مبارك إلى التصويت بلا على تجديد فترة رئاسة رابعة للرئيس مبارك فى الاستفتاء القادم".**

وفى النهاية:-

يحكى أن مصرياً وانجليزياً وأمريكيا قد استقلوا آلة الزمن وساروا بها لمائة عام فى المستقبل وعندها أراد كل واحد منهم أن يعرف أحوال بلاده . فقام الأمريكى بتحويل مؤشر الراديو إلى إذاعة أمريكا فجاءه صوت المذيع يقول" هنا صوت الولايات المتحدة الاسلامية الأمريكية " فأخذ الأمريكى يبكى من شدة الحزن لأن الاسلاميون سيطروا على بلاده بينما ضحك عليه الانجليزى الذى قام بتحويل مؤشر الراديو بدوره إلى اذاعة لندن فسمع المذيع يقول " هنا صوت ايرلندا العظمى من لندن" فأخذ يبكى لأن الايرلنديين أصبح لهم السطوة على بلاده.

وهنا جاء دور المصرى الذى حول مؤشر الراديو إلى اذاعة القاهرة فجاءه صوت المذيع يقول" اذاعة القاهرة تقدم لكم نشرة الأخبار ، افتتح السيد الرئيس " **محمد حسنى مبارك** " رئيس الجمهورية المرحلة العاشرة لكوبرى ٦ أكتوبر ....!!"

فهل سنظل نبنى كبارى لمائة سنة قادمة ؟!!



سيف الاسلام
حسن البنا



الفلاحون.. فى بيان الحكومة

★ مكاسب محدودة
★ أوهام كثيرة
★ تجاهل تام للهموم الاساسية


كمال الجنزورى

عريان نصيف

لا شئ يسعدنا فى اليسار -المجلة- والتوجه السياسى -أكثر من أن تعلن الدولة عن اهتمامها بمصالح جماهير العاملين المنتجين ، وأن تقرر اتخاذ أى اجراء فى هذا الشأن -مهما كان حجمه- يكون كفيلا بالتحسين النسبى- بأى قدر لظروف عملهم وأحوال معيشتهم.

ولأننا -كما يدرك الجميع- لا نمارس المعارضة لمجرد المعارضة ، بل **نحاول دائما أن يكون توجهنا فى إطار موضوعى .. مقدر لكل ما هو ايجابى ، منتقد لكل ما هو سلبى ،مناضل من أجل كل ما من شأنه حماية حقوق الشعب.** فإننا -فى مجال تقييمنا لموقع الفلاحين وهمومهم فى **بيان الحكومة الأخير** الذى أعلنه **د.كمال الجنزورى** رئيس مجلس الوزراء أمام مجلس الشعب فى ١٦ ديسمبر ١٩٩٨- سنعرض لكل ما هو إيجابى ، وسنحدد ما نزعم أنه وهمى ، وسنكشف عن القضايا الرئيسية التى تجاهلها.

مع ملاحظة أن حوارنا حول بيان الحكومة، سيقتصر على الشق الخاص بخطة عام ١٩٩٩ ، أما الجزء **المتعلق بانجازات الحكومة فى المجال الفلاحى والزراعى فلنا عليه تحفظات كثيرة** -فى المنهج والموضوع والأرقام- نرجئ تناولها إلى موضوع مقبل.

أولا:- مكاسب محدودة

لا شك أن خطة الحكومة -المتضمنة فى بيانها- قد أوردت عدة توجهات تمثل -رغم محدوديتها -مكاسب جزئية للفلاحين ، ويمكن تحديدها فيما يلى:

١- رد قيمة تكاليف مقاومة آفات القطن لمن دفعها من الفلاحين ،وعدم المطالبة بها لمن لم يكن قد سددها بعد ، وذلك بالنسبة لهذا الموسم الزراعى.

٢- تحمل الدولة لثلثى تكاليف المقاومة ونصف ثمن تقاوى القطن، بالنسبة للموسم القادم.

٣- تحديد الحكومة -بالنسبة لما يورده إليها المزارعون من محاصيل- للأسعار التالية:٩٥ جنيها لأردب القمح، ٩٠ جنيها لأردب الذرة، ٦٠٠ جنيها لطن الأرز، أو السعر العالمى ، أيهما أعلى.

ونحن لا يمكن أن نهدر من شأن هذه القرارات ، رغم محدوديتها ، ولكننا نطرح- فى هذا الشأن -بعض الملاحظات والتساؤلات.

*** بالنسبة للاجراءات الخاصة بمحصول القطن:**

- لاشك أن هذه الاجراءات تسهم- إلى حد ما- فى التقليل من حجم الخراب الذى لحق- نتيجة السياسات الزراعية والتسويقية الخاطئة- بزراع القطن فى هذا الموسم ، وتشجيع الفلاحين نسبيا على زراعته فى الموسم القادم. .. ولكن ، **بخلاف هذين الموسمين ، ما هو موقف الدولة- وما هى خططها واجراءاتها -بشأن تدهور انتاج وانتاجية هذا المحصول الأول فى مصر.. زراعيا وصناعيا وتصديريا؟.**

- ثم نتساءل -ونلح فى السؤال -ما هو المعنى من اصدار وزارة الزراعة -بعد حوالى أسبوع من القاء بيان الحكومة -لقرار تم ابلاغه لمديريات الزراعة بالمحافظات ، ويقضى بعدم السماح **بزراعة القطن إلا فى تجمعات لا تقل عن ١٥ فدانا؟.**

وهل هذا القرار يدعم ذلك التوجه فى بيان الحكومة بتشجيع الفلاحين على زراعة القطن ، أم على العكس يتناقض مع ذلك التوجه لادراكنا مدى التفتت والتقزم الحيازى للأراضى الزراعية فى مصر؟.

***بالنسبة للقرار الخاص بأسعار المحاصيل:**

لا جدال فى أن التزام الحكومة- تجاه الفلاح المنتج -بشراء المحاصيل بأسعار محددة أو بالأسعار العالمية أيهما أعلى ، خطوة هامة وإيجابية.

.. ولكن الفلاحين- ونحن معهم- يطرحون ملاحظتين بهذا الشأن .**الأولى -أين موقع محصول قصب السكر من هذا التحديد السعرى** ،على الرغم من أهميته الكبيرة للزراعة وللفلاحين فى صعيد مصر من ناحية ، وللصناعة الوطنية من ناحية أخرى ، وللاستهلاك الغذائى من ناحية ثالثة؟. **لماذا يحرم زارعوه من هذه الميزة التسويقية** ،فى الوقت الذى تتعاظم فيه- فى مواجهتهم -السياسات الزراعية والاقتصادية التى تهدد بتدمير هذه الزراعة وصناعتها ، وآخرها فى هذا الموسم مؤامرة الاغراق للسوق المحلى بالسكر المستورد منخفض القيمة والجودة ،



ولكنه أيضا منخفض الثمن نتيجة دعم الدول المصدرة له لزراعته وانتاجه.

الثانية-اتخذ **د. كمال الجنزورى** -بعد توليه المسئولية بفترة محدودة -قرارا إيجابيا- قدرناه حين صدوره -تلتزم الحكومة بمقتضاه بشراء القطن من الفلاحين بسعر محدد- لا ينتقص منه- حماية للمزارعين من تقلبات السوق العالمية أو تلاعبات السوق المحلية وللأسف الشديد ،فقد تم هذا الموسم إلغاء التزام الحكومة «بسعر الضمان» هذا ،مما كان له تأثيره الكبير فى كارثة القطن هذا العام.

وسواء كان وراء إلغاء الضمان اعتبارات اقتناعية أو ضغطية لا يهمنا تحديدها بقدر ما يهمنا -ويهم الفلاحين- فى هذا الشأن ، هو التساؤل عن مدى الضمان لالتزام الحكومة بسعر الضمان؟!.

ثانيا: أوهام كثيرة:

تضمن بيان الحكومة -بخصوص خطة الدولة المستقبلية تجاه الفلاحين -بعض الشعارات التى تصدرت -فى اليوم التالى لالقاء البيان -الصفحات الأولى من الصحف «القومية» كمانشيتات رئيسية.

..وعذرا للدكتور الجنزورى ، **فنحن لا نرى فيها سوى كلام مرسل غير قابل -وفق السياسات الاقتصادية التى تنتهجها حكومة سيادته -للتنفيذ** ،مما يجعلنا نطلق عليها -كما عبر عنها الفلاحون -« **أوهام .. تبيعها لنا الحكومة»!.**

١- خفض الفائدة على القروض الزراعية:

ووهمية هذا الشعار ، تتضح مما يلى:

١* أن هذا التخفيض فى سعر الفائدة على القروض الزراعية ، لا يمثل سوى ١٪ فقط من نسبة هذه الفائدة المتوالية الارتفاع.

*** إنه إذا كان سعر الفائدة «الرسمى» هو ١١٪ (الذى تم تخفيضه إلى ١٠٪)،فإن سعر الفائدة «الفعلى»، الذى يتقاضاه «بنك التنمية والائتمان الزراعى» يصل تحت مسميات مختلفة مثل الرسوم الادارية .. إلخ إلى أكثر من ١٥٪ ،[مما أدى -وخاصة مع ما شاب حسابات هذا البنك وفروعه فى القرى من أخطاء** ،ومع الأسلوب «الربوى» فى احتساب الفائدة- إلى دخول الكثيرين من الفلاحين (والفلاحات لأول مرة فى تاريخ مصر) إلى السجون ، أو تهديدهم بذلك.

***أن بنك التنمية والائتمان ، لم يعد «بنك التسليف الزراعى» القديم الذى كان يلتزم بقرارات وتعليمات الحكومة ، ولكنه أصبح- وثائقيا وفعليا- بنكاً تجاريا بكل ما لتلك التسمية من مترتبات واقعية وأولها استقلالية سياسته واجراءاته.**

ولعل تقاعسه -تحت مبررات ومعوقات مختلفة -عن تنفيذ قرار مجلس الوزراء الصادر فى شهر يونيه ١٩٩٧ والخاص بقيامه باقراض المستأجرين بما يمكنهم من شراء الأراضى المؤجرة التى يرغب الملاك فى بيعها -كأحد البدائل الجادة لحل مشكلة العلاقة الايجارية الزراعية -ما يؤكد عدم الالتزام بالتنفيذ الفعلى من جانب هذا البنك للقرارات الحكومية والوزارية.

٢- تنشيط دور صندوق موازنة أسعار المحاصيل الزراعية:

ويستند الفلاحون -ونحن معهم- فى اعتبار ذلك الشعار غير قابل للتنفيذ فى المرحلة الحالية على الأقل ،على الاعتبارات التالية:

* **اعتماد هذا الصندوق -وفقا لنص القرار-على «الانضمام الاختيارى للمنتجين»**..فأى منتجين هؤلاء الذين سينضمون اختياريا إليه لدعمه وتنشيطه وتمويله؟. وهل منهم أحد من ملايين الفلاحين الفقراء والصغار الذين يشكلون الأغلبية الساحقة من المنتجين الزراعيين؟.

***كيف يمكن ضمان «نشاط هذا الصندوق- أو نجاحه حالة نشاطه -فى ظل السياسات الاقتصادية للحكومة التى ترفع يد الدولة -وفقا لمنهج «الخصخصة على الطريقة المصرية» عن العملية الانتاجية للمحاصيل؟.**

* على أى أساس يستطيع هذا الصندوق ممارسة دوره المفترض ،مع فتح الباب على مصراعيه أمام مافيات الاستيراد والتصدير للحاصلات الزراعية من أجل التربح الهائل على حساب الفلاحين المنتجين والصناعات الوطنية الكبرى القائمة على الزراعة أو المرتبطة بها ،وعلى حساب أيضا مصالح ملايين المستهلكين؟.

٣- تنشيط دور التعاونيات الزراعية:

ولعل هذا الشعار -على وجه الخصوص- أكثر هذه «المانشيتات» إبرازاً لعدم قابلية الكثير مما ورد فى بيان الحكومة للتنفيذ الحقيقى ، إلا إذا حدث تغيير جذرى فى سياسات الحكومة تجاه الحركة التعاونية ،وهذا ما نأمله ونسعى من أجله ولكننا -لأسباب كثيرة -لا نتوقع أن يتم -بشكل مفاجئ -خلال عام ١٩٩٩ .فبالمخالفة لنصوص وقواعد الدستور ، وبالتجاهل التام لاحتياجات الزراعة ومطالب الفلاحين ،**شهد عام ١٩٩٨ -فقط وبخلاف كل ما سبقه -المزيد من محاولات السلطة التنفيذية للاجهاز على ما تبقى من دور زراعى وفلاحى ومجتمعى للحركة التعاونية الزراعية**، وتمثل ذلك فيما يلى:

***الحيلولة دون قيام الحركة التعاونية الزراعية بدورها:** المهيأة له والقادرة عليه- **بشأن تسويق محصولى القطن والأرز** ،مما كان له من أثر سلبى واضح على الفلاحين المنتجين بل وعلى الدخل القومى أيضا.

* **الاصرار على عدم صدور قانون جديد خاص بالتعاون الزراعى** -يكون كفيلا بحماية مصالح الفلاحين والانتاج الزراعى من شراسة الاحتكار والسوق السوداء -تحت دعوى أنه يجب صدور قانون واحد لمجمل الحركة التعاونية (بما فيها الاسكانية والانتاجية)، على الرغم من مخالفة ذلك ليس فقط للتوجه الدستورى ، بل وأيضا لضرورات الواقع الانتاجى والاجتماعى ، ولارادة الحركة التعاونية الزراعية مركزيا ومحليا.

* **التصدى لمحاولة قيام بنك خاص لتمويل الزراعة المصرية وتوفير الائتمان اللازم للمزارعين من خلال الهيكل التعاونى** ،وخاصة بعد أن أصبح بنك التنمية والائتمان الزراعى بنكا تجاريا بحتاً بعيدا عن الاهتمام باحتياجات الزراعة ومصالح الفلاحين.

ثالثا: -تجاهل تام للقضايا الأساسية

لعل أبرز ما يلاحظه المواطن العادى- وليس الباحث المتخصص أو السياسى المعارض-هو التجاهل التام -فى خطة الحكومة المستقبلية تجاه الفلاحين -لكل القضايا الأساسية والهموم الرئيسية التى تشكل مجمل حياتهم.ومعاناتهم. ولن نتطرق فى هذا المجال للقضايا والهموم ذات الطابع «الشامل» لكافة طبقات وفئات الشعب المنتجة.. **كارتفاع معدلات البطالة ، وزيادة نسبة الفقر (والفقر المدقع) ، وتوحش مافيات الاحتكار والسوق السوداء تجاه المنتجين والمستهلكين** .. بكل ما يعنيه ذلك -بطبيعة الحال- من تدهور عام- وريفى على وجه الخصوص-فى مجالات الصحة والأمية والتلوث البيئى واتساع نطاق الجريمة والانحراف ، وكافة المحاور الاجتماعية المجتمعية.

بل سنعرض فقط لثلاث قضايا تمس بشكل مباشر حياة مجمل الفلاحين المصريين (المستأجرين وعمال الزراعة وصغار الملاك) ،تجاهلها البيان تجاهلا مطلقاً كأنها غير موجودة أصلا.

١- مأساة المستأجرين الزراعيين:

فوفقا للرقم الذى أعلنه **د. كمال الجنزورى** فى نهايات عام ١٩٩٧ ، فإن عدد العقود الايجارية الزراعية أكثر من **مليون و ٦٠٠ ألف عقد.**

ومع ادراكنا أن كل عقد ايجار يعيش على فائضه ما لا يقل عن ستة أفراد (المستأجر وأسرته المعالة وخاصة بعد انتشار البطالة وعدم تعيين الخريجين)، ونظرا لأن هؤلاء المستأجرين -فى غالبيتهم الساحقة-ليس لهم أى مهنة أخرى بخلاف الزراعة أو أى دخل سوى من عملهم بها.

فإن معنى ذلك أن تطبيق القانون ٩٦ لسنة ١٩٩٢ -سواء باخلاء المستأجر من الأرض مباشرة ، أو بفرض قيمة ايجارية مغالى فيها(تراوحت بين ١٥٠٠-٢٥٠٠ جنيه فى العام للفدان الواحد) -قد قذف بعدة ملايين من العاملين المنتجين إلى الظلام والضياع وجيش البطالة.

٢- عدم قدرة صغار الملاك على الانتاج الزراعى:

إذا كانت عملية الانتاج الزراعى -فى ظل السياسات الزراعية والاقتصادية الحالية- قد أصبحت عبئا حتى على متوسطى الملاك، فإنها-من باب أولى -**قد وصلت بصغار الملاك (ثلاثة أفدنة فأقل) ، إلى حالة من عدم القدرة على استمرارهم فى هذا الانتاج ..** بسبب التزايد الكبير والمتوالى فى تكاليف العملية الانتاجية:

سواء بالنسبة لأسعار مستلزمات الانتاج ،وعدم تواجدها إلا فى السوق السوداء.

-أو بارتفاع سعر الفائدة للقروض الزراعية ،والمشاكل المتزايدة مع بنوك القرى.

-أو بالامتناع عن تطبيق القانون ٥١ لسنة ١٩٧٣ المعدل بالقانون رقم ٢ لسنة ١٩٩٧ ، والذى يقضى باعفاء هؤلاء الزراع الذين لا يقل عددهم وفق الاحصاءات الرسمية عن **٢ مليون فلاح.**

٣- تردى أوضاع العمالة الزراعية

وقد وصل الوضع بهؤلاء العاملين المنتجين- والذين لا يقل عددهم عن **٣ مليون** -إلى حالة من التردى الاقتصادى والاجتماعى ، بلغت بالنسبة لهم ولأسرهم- وأطفالهم مستوى غير إنسانى ولا يمكن للقدرة البشرية أن تتحمله خاصة بعد أن زادت نسبتهم- والبطالة داخلهم-إلى معدلات عالية بعد انضمام جانب كبير من المستأجرين إليهم ، بعد صدور وتنفيذ القانون الجديد للايجارات الزراعية .(ولقد تناولنا تفاصيل حياة هؤلاء الكادحين فى العدد الماضى من «**اليسار**»).

.. وهذا التجاهل التام لتلك الهموم الرئيسية للملايين من فلاحى مصر- فى خطة الحكومة- ليس نتيجة عدم إمكانها تقديم أى حلول لها .. فلقد سبق لنا ولغيرنا من القوى الوطنية والديمقراطية ، تأكيد قدرة الحكومة لو أرادت-حتى فى ظل ما يسمى بسياسات التحرر الاقتصادى والخصخصة- على تقديم حلول جزئية ونسبية لها ، كفيلة بايقاف التردى المتواصل فى حياة الفلاحين المصريين.

ولكننا نتفهم الاعتبارات التى حدت بحكومتنا الرشيدة إلى تجاهل هذه الهموم الثقيلة .. **فهى -فى نظر الحكومة -مشاكل تافهة ليس لها من تأثير سوى على حوالى ٧ ملايين مواطن ، يعولون ما يقرب من نصف سكان مصر !!.**

وكل بيان حكومة .. وأنتم بخير.



بعد سلق القوانين والاستجوابات

مجلس الشعب يتخلى عن دوره الرقابي

شهدت الجلسات الأخيرة لمجلس الشعب مواجهات بين نواب المعارضة ورئيس المجلس الدكتور **أحمد فتحى سرور** بشأن قرار الأخير بتحديد عدد الاستجوابات التى تناقش خلال الدورة الحالية **باستجواب واحد شهريا على أن تبدأ مناقشات الاستجوابات عموما بعد الانتهاء من مناقشة تقرير اللجنة الخاصة للرد على بيان الحكومة فى شهر مارس القادم . يعنى القرار من الناحية العملية ألا يتجاوز عدد الاستجوابات التى سيتم مناقشتها فى المدة المتبقية من عمر الدورة الحالية أربع استجوابات فقط قابلة للنقصان فى حالة صدور القرار الجمهورى بفض الدورة البرلمانية مبكرا أو حتى فى بدايات شهر يونيو القادم .** صاحب القرار مفاجأة أخرى أعلنت عنها الحكومة ورئيس المجلس معا بقبول مناقشة ثلاثة استجوابات دفعة واحدة وفى جلسة واحدة كانت مخصصة لتحديد مواعيد مناقشة تلك الاستجوابات فقط.

اعتبر النواب القرار الأخير بمثابة **«سلق للاستجوابات»** بعد أن دأب المجلس على «سلق القوانين» وخروجا على الاعراف البرلمانية فى تاريخ الحياة النيابية والتى شهدت **مناقشة استجواب واحد فى ثلاث جلسات وليس ثلاثة استجوابات فى جلسة واحدة** . فيما اعتبر النواب قرار **سرور الأخر بمناقشة استجواب واحد شهريا قتلا للدور الرقابى للمجلس ممثلا فى أهم أدواته وهى الاستجواب ، وحجرا على حرية النواب فى مساءلة الحكومة بعد أن تخلى المجلس تدريجيا عن** دوره التشريعى معطيا الحكومة حق احتكار مبادرة التقدم بتشريعات تعرف طريقها إلى الجلسات العامة على وجه السرعة.

استند النواب فى غضبتهم إلى أن القرار لا يجد سندا له فى لائحة المجلس وأن ما جاء فى اللائحة بشأن الاستجواب هو أن تبدأ مناقشتها بعد أن تلقى الحكومة بيانها السنوى أمام المجلس ،وليس بعد مناقشة تقرير الرد على البيان ،كما لا يوجد ما يحد من عدد الاستجوابات المقدمة ولا دورية مناقشتها حتى وإن بلغت استجوابا فى كل جلسة .والأهم من ذلك أن **الخبرة العملية**

حنان حماد



كمال الجنزورى



فتحى سرور

للنواب خلال السنوات الأخيرة برزت فيها **ظاهرة أن عدد الاستجوابات التى تسقط** بانتهاء دور الانعقاد كانت أكثر من عدد **الاستجوابات التى تعرف طريقها إلى المناقشة** ، وهو نذير بانحسار شديد للدور الرقابى خاصة إذا ما أخذنا فى الاعتبار احتمالات أن يستجد أى موضوع مهم يستحق استجواب أحد أعضاء الحكومة عنه ويكون من المعروف سلفا استحالة مناقشته بسبب عامل الوقت.

وفى التقرير السنوى للمرصد البرلمانى ، أحد برامج **جماعة تنمية الديمقراطية** ، بشأن تقييم دور الانعقاد الماضى ١٩٩٧ / ١٩٩٨ نجد أن عدد **ما سقط من استجوابات خلال هذا الدور بلغ ٦ استجوابات لنواب من التجمع والأحرار والمستقلين مقابل مناقشة ٣ استجوابات فقط** ،ويشدد التقرير على أن جزءاً من أسباب تلك الظاهرة يعود إلى «ما درجت عليه الممارسة البرلمانية فى ظل رئاسة **الدكتور سرور** للمجلس على الأقل من تحديد عدد الاستجوابات التى يناقشها المجلس خلال كل شهر».

من جانبه لم ير الدكتور **سرور** مبررا لغضب نواب المعارضة والمستقلين معتبرا أن قلة عددهم تحت القبة يحيل أى استجواب يتقدمون به إلى مجرد «**طلب إحاطة أو سؤال**» وذلك لاستحالة قدرتهم على تقديم الاستجواب مصحوبا بعشر عدد الأعضاء -**٤٦ عضوا**- يطلبون فيه سحب الثقة من الحكومة ومن الوزير المستجوب.

من الناحية الشكلية يبقى الجانبان على حق .. فاللائحة لا تبرر قرارات سرور المستهدفة للحد من استخدام الاستجواب- أداة إدانة للحكومة وأقوى أدوات الرقابة البرلمانية على أعمالها -ولا المعارضة بالقوة العددية التى تمكنها من أن تستخدم الاستجواب لطرح الثقة فى الحكومة أو فى أى من أعضائها. ولكن يبقى السؤال الحقيقى هو : **هل من الناحية العملية استطاع مجلس الشعب ممارسة دوره الرقابى كاملا على الحكومة بغض النظر عن نوع أداة الرقابة ؟** أو بصيغة أخرى هل الدور الرقابى للمجلس على ما يرام وأحسن النواب استخدام كل أدوات مساءلة الحكومة الاستجواب والسؤال وطلب الاحاطة والبيان العاجل ولجان تقصى الحقائق فى الرقابة عليها.

من الناحية الكمية يتقدم النواب المنتمون إلى الحزب الوطنى الحاكم وإلى أحزاب المعارضة والمستقلون بعدد لا بأس به من أسئلة وطلبات إحاطة وبيانات عاجلة.كما تشهد كل دورة برلمانية عددا من الاستجوابات لا يقل عن ثلاثة استجوابات وهو عدد لا بأس به بالمقارنة باجمالى عدد نواب المعارضة الذين يحتكرون مع المستقلين استخدام الاستجواب ، فيما يحرم منه نواب الحزب الوطنى الحاكم بسبب التزامهم الحزبى الصارم . ولكن هذا **لا يعنى أن الدور الرقابى للمجلس له الفعالية الكاملة وذلك لعدة أسباب.**

أول تلك الأسباب وأهمها أن **موازنات القوى وصراعات المصالح داخل الحزب الحاكم وبين النواب والمسئولين الحكوميين تلعب دورا ملحوظا فى التأثير على الممارسة الرقابية لنواب المجلس.** المثال الأبرز هنا استجواب تقدم به نائب معارض شاب ضد أحد الوزراء العام قبل الماضى كان محركه الأول صراعات المصالح بين النائب والوزير ، أو بمعنى أدق عدم إسناد الوزير بعض أعمال الوزارة لشريك النائب .وحقق الاستجواب نجاحا كبيرا بأن أقنع نواب الأغلبية بضرورة تشكيل لجنة لتقصى الحقائق فيما وجهه النائب من اتهامات للوزير . لكن النجاح كان محددا بمصير معد سلفا وهو التصالح بين النائب والوزير خارج المجلس وتوجيه الشكر للوزير داخل المجلس . تضمن الصلح عهوداً بتلبية مطالب النائب وعهوداً بتجنب أى تعارض مصالح بينهما مستقبلا.

وفى سياق الحديث عن أثر المصالح أيضا على الممارسة الرقابية للمجلس يشار هنا إلى استجواب مهم وقوى قدمه نائب معارض ولم تسانده الهيئة البرلمانية لحزبه فيه بسبب ارتباطات المصالح بين القيادات الحزبية والوزير المستجوب.

صراعات المصالح داخل حكومة الجنزورى لها أثر واضح على الكيفية التى يؤدى بها المجلس دوره الرقابى .فقد أثمرت تلك الصراعات الدورة الماضية عن قبول فورى لمناقشة استجواب تقدم به النائب المعارض **رجب هلال حميدة** لوزير قطاع الأعمال العام **عاطف عبيد** بشأن ما اعتبره النائب شبهات فساد فى إجراءات بيع إحدى الشركات العامة للمستثمرين . إعلان الحكومة على لسان ممثلها فى المجلس وزير الدولة لشئون مجلسى الشعب والشورى **كمال الشاذلى** بقبول فورى لمناقشة الاستجواب استهدف احراج **عبيد** الذى كان يجرى تقليص دوره داخل الوزارة فى هذا الوقت ، على الرغم من الاتفاق غير المكتوب الذى يقضى بألا يصل هذا الاحراج إلي درجة طرح الثقة وذلك حتى لا يتم استخدام سلاح طرح الثقة ضد آخرين فى الحكومة.

ويضاف إلي هذا تأثير دور **أجهزة مسئولة خارج المجلس وصاحبة نفوذ فى تحديد أولويات موضوعات المناقشة** .وقد يكون المثل الأوضح لهذه التأثيرات استجواب تقدم به نائب التجمع **البدرى فرغلى** ثلاث سنوات متتالية يتعلق بتعامل الحكومة المصرية مع نظيرتها الاسرائيلية فيما يتعلق بقتل الأسرى المصريين خلال حروب **٥٦ و٦٧ ، و٧٣** على يد ضباط اسرائيليين اعترفوا فعلا بفعلتهم . اعتبر صاحب الاستجواب أن الجانب المصرى متقاعس فى اتخاذ الاجراءات اللازمة للمطالبة بتقديم الضباط الاسرائيليين لمحاكمة دولية باعتبارهم مجرمى حرب.

الاستجواب الذى أدرج للمناقشة خلال دور الانعقاد الحالى تم تجاهله فى دورى الانعقاد السابقين بسبب ما ارتأته أجهزة سيادية خارج المجلس من أن الاستجواب **«غير ملائم لاعتبارات سياسية»**.

هذا لا ينفى وجود مبادرات من جانب بعض النواب لسحب استجواباتهم لاعتبارات



البدرى فرغلى
استجوابات

وطنية بحتة. من الأمثلة على ذلك سحب النائب المستقل **أحمد طه** لاستجواب قدمه لرئيس الوزراء بشأن ما اعتبره **طه** سياسات اقتصادية تضر بالصالح الوطنى . أرجع طه قراره إلى الظروف العامة التى تزامنت مع انعقاد مؤتمر **مجموعة ال ١٥ الاقتصادية** فى مصر من ناحية وحملة الكونجرس الأمريكى حول اضطهاد الأقباط لتشويه صورة مصر فضلا عن تأزم عملية السلام بسبب التعنت الاسرائيلى .وكان لقرار طه أثره فى زملائه حيث بادر نائب التجمع **البدرى فرغلى** بسحب سؤال قدمه فى ذات موضوع الاستجواب تضامنا مع **طه** فيما أبداه من أسباب للتراجع عن مساءلة الحكومة.

فى كل الأحوال تنتهى مناقشة الاستجوابات بانتقال المجلس إلى جدول الأعمال. ونشير هنا إلى ملحوظة مهمة ساقها التقرير السنوى الثانى لبرنامج «**المرصد البرلمانى**» لجماعة تنمية الديمقراطية بشأن تقييم دور الانعقاد ١٩٩٧ / ١٩٩٨ لمجلس الشعب والتى تتعلق بأن لائحة المجلس تتساهل فى مسألة استرداد الاستجواب على خلاف تشددها فى ادراجه فى جدول الأعمال للمناقشة . يشير التقرير إلى أن مظاهر التشدد فى إمكانية مناقشة الاستجواب أن اللائحة **تحظر الاستجوابات الموقعة جماعيا أى من أكثر من عشرة أعضاء**. كما اشترطت لغة وصياغة خاصة فى طلب الاستجواب وأسانيد ووثائق محددة وجعلت مناقشة الاستجواب عرضة للالغاء والرفض لأسباب كبيرة منها عدم حضور العضو للجلسة المحددة للمناقشة أو أن يكون الاستجواب متعلقا بموضوع فصل المجلس فيه خلال نفس دور الانعقاد أو بموضوع قيد البحث لدى إحدى اللجان النوعية ولم تقدم تقريرها بعد.

ويشار هنا إلى أن **الدكتور سرور** رفض استجوابا هذه الدورة قدمه نائب مستقل بشأن كارثة قطار كفر الدوار والذى راح ضحيته عشرات من القتلى والمصابين .وعلى الرغم من أهمية وخطورة الحادث الذى أرجعه كثيرون إلى إهمال جسيم من جانب المسئولين فى وزارة النقل والمواصلات وفى مقدمتهم الوزير **محمد سليمان متولى** ، فقد رأى رئيس المجلس أن الاستجواب لا يستوفى الشكل المطلوب من حيث الصياغة ووجود أدلة محددة على الاتهامات. ومن أوجه تشدد اللائحة فى تطوير استخدام الاستجواب كأداة رقابية أن جعلت الأولوية للانتقال إلى جدول الأعمال عقب الانتهاء من مناقشة الاستجواب . أما إذا حدث وقرر المجلس الاستمرار فى عملية المحاسبة فإن اللائحة تتطلب أولا اقتراحا بسحب الثقة موقعا عليه من عشر الأعضاء على الأقل ثم يقرر المجلس بعد ثلاثة أيام سحب الثقة بأغلب الأعضاء ،وليس مجرد أغلب الحاضرين ، أى ما يزيد عن **٢٢٧ عضوا** ثم يتطلب الأمر تقديم طلب آخر من خمس الأعضاء على الأقل أى أكثر من ٩١ عضوا حتى ينظر المجلس مسألة اتهام الوزير على أن تقوم اللجنة العامة بدراسة طلب الاتهام وتقديم تقريرها إلى المجلس خلال شهر.

ويلحظ تقرير المرصد البرلمانى أن «الممارسة الفعلية لم تكشف عن تطور الأحداث باتجاه سحب الثقة أو تقرير اتهام وزير حتى الآن ! هذا ما يعنى أن الاستجواب أصبح مجرد وسيلة للمناقشة أو يتساوى مع «طلب الاحاطة والسؤال» على حد قول رئيس المجلس.

الأخطر من ذلك أن **مقدمى الاستجواب ،وهم نواب المعارضة والمستقلون دائما ، لا يسعون إلى سحب الثقة** .ففى دور الانعقاد الماضى لم يأت مطلب سحب الثقة إلا فى استجواب **البدرى فرغلى** لوزير الثقافة والذى أوضح فيه اتهامات محددة للوزير ممثلة فى إساءة إدارة ترميم الآثار المصرية وإهدار المال العام وتجاهل القانون.



ماذا بعد خسارة أموال التأمينات الاجتماعية فى البورصة؟!
هل تخصخص الحكومة التأمينات الاجتماعية ؟!

محمد جمال إمام

عماليات

نقلت إلينا أنباء الصحف الصباحية أن أحد نواب الحزب الوطنى فى مجلس الشعب تقدم باستجواب إلى حكومة الحزب بشأن الخسارة التى لحقت بالصناديق الاستثمارية الثلاثة التى استخدمت فيها أموال التأمينات الاجتماعية (**٩٠٠ مليون جنيه) فى بورصة الأوراق المالية والتى تقدرها الدوائر المطلعة بخمسة فى المائة** .ونشير هنا إلى أننا كنا فى معرض تأبيننا للقائد النقابى الراحل «**فتحى محمود**» فى عدد شهر سبتمبر ١٩٩٧ من «**اليسار**» قد أشرنا إلى صيحة التحذير التى كان قد أطلقها قبل وفاته بأيام قليلة من خطورة محاولة قيام الحكومة باستثمار أموال التأمينات الاجتماعية فى البورصة ،وها قد تحققت مخاوفه وخسرت أموال التأمينات الاجتماعية فى أول سنة لاستثمارها فى البورصة.

ولكن حكومتنا درجت على عادتها من عدم الالتفات أو الانصات لأى رأى مخالف ، أو إعارته أى اهتمام ومضت قدما فيما عزمت عليه من دعم لبورصة الأوراق المالية ، أحد أهم أدوات مشروعها الكبير ، ألا وهو التحول إلى اقتصاد السوق (بمفردات الخطاب الحديث ، أو العودة إلى الرأسمالية بالمعنى الحقيقى غير المغلف بالألفاظ المنمقة مثل تيك أواى وهوم دليفرى وكوفى شوب) ، **دون أدنى اهتمام بخطورة المغامرة بأموال التأمينات الاجتماعية ،حصن الأمان لملايين من العاملين المتقاعدين فى سنوات شيخوختهم ،ناهيك عن اعانات البطالة وتعويضات العجز وإصابات العمل ،فى لعبة المضاربة على الأوراق المالية،** وهى عمل البورصة الوحيد والحقيقى فى ظروف شهدت فيها البورصات العالمية تقلبات هائلة وخطيرة . ولكن جهابذة الاقتصاد لدينا كانوا يمنون أنفسهم بأن بورصتنا بمأمن من هذا كله بفضل « التوجهات الحكيمة » و« الثقة العالمية فى سياستنا الحصيفة».

حسنة وأنا سيدك

وعلاقة الحكومة بأموال التأمينات الاجتماعية فى مصر علاقة أليمة .فقد درجت الحكومة منذ العمل بنظم التأمينات الاجتماعية على الاستيلاء على تلك الأموال واستثمارها بمعرفتها ،بحيث أصبحت تكون جزءا هاما من الدين العام مثلها فى ذلك مثل أموال صناديق توفير البريد ،وكانت تدفع مقابلها نسبة فائدة متدنية جدا وتقل كثيرا عن نسبة الفائدة السائدة فى السوق ،**وبعد ذلك تمن على أصحاب المعاشات بين الحين والآخر بأنها تزيد معاشاتهم ،وكأنها تدفع الزيادة من جيب السيد الوالد وليس من أموال أصحابها التى اقتطعت منهم ومن أرباب عملهم من أجل هذا الغرض أساسا** .ودخل الاتحاد العام لعمال مصر فى أوائل الثمانينات فى فترة رئاسة **سعد محمد أحمد**، معركة شرسة مستترة مع الحكومة من أجل زيادة نسبة الفائدة التى تدفعها على أموال التأمينات حتى يمكن تحسين أوضاع أصحاب المعاشات، أو يتم البحث عن سبل أخرى للاستفادة من تلك الأموال بدلا من الطريقة الحكومية المجحفة وقد دفع «**مصطفى كمال لطفى**» مستشار الاتحاد للتأمينات فى ذلك الوقت ثمن الوصول إلى حل وسط فى هذا الشأن ، إذ أصرت وزيرة التأمينات فى ذلك الحين على ضرورة إبعاده عن الاتحاد قبل التوصل إلى أى إتفاق، على أساس أنه هو السبب فى إثارة هذه المشكلة.

ثم تأتى حكومة الحزب الوطنى فى أواخر القرن العشرين فلا تجد وسيلة لانقاذ البورصة المتهاوية إلا بضخ أموال التأمينات الاجتماعية فيها لدعم أحوالها بدون اهتمام بمصير الملايين من أصحاب المعاشات لو حدث أن أنهارت البورصة أو خسرت الصناديق الاستثمارية التى وضعت فيها أموال التأمينات .**ولم تتعظ الحكومة فى هذا الشأن مما حدث لبعض الصناديق الاستثمارية الخاصة لأموال التأمينات الاجتماعية فى الولايات المتحدة التى أفلست وضاعت معها أموال المؤمنين فى ظل حكم الرئيس الأمريكى السابق جورج بوش والذى دفع حكومته إلى التدخل فى الأمر وخاصة أن أحد هذه الصناديق كان يرأسه أحد أبنائه ، الذى أصبح مؤخرا حاكما لإحدى الولايات المتحدة الأمريكية ويستعد لترشيح نفسه لانتخابات رئاسة الجمهورية المقبلة فى عام ٢٠٠٠ ، أو لعل حكومتنا لا تهتم بقراءة الصحف!.**

أم أن حكومتنا تريد أن ينتهى الأمر بأرباب المعاشات عندنا إلى ما انتهى إليه أمر أقرانهم فى روسيا التى عمل زعماؤها على افقارها وإفلاسها بحيث لم تستطع القدرة على دفع المعاشات للملايين من المتقاعدين المساكين لعدة أشهر على التوالى حتى اضطر بعضهم ممن كانوا فى السابق من كبار الموظفين أو العلماء والمهنيين إلى الوقوف على نواصى الشوارع لبيع ما تبقى من ممتلكاتهم النفيسة أو مد اليد للسؤال والتكفف؟.

الهرولة إلى الخصخصة

ونحن نطلق هذه الصيحة التحذيرية لأن التجارب علمتنا أن حكومتنا تسارع إلى المضى قدما فى طريق الخصخصة الذى تسير صوبه حاليا بعض الدول الغربية ، رغم أنه ليس اتجاهاً عاماً فى الغرب ،فى محاولة لها

جرينسبان يرفض اقتراح كلينتون باستثمار أموال الضمان الاجتماعى فى البورصة

واشنطن ـ وكالات الانباء: قال الان جرينسبان رئيس مجلس الاحتياطى الفيدرالى (البنك المركزى الأمريكى) انه لا يؤيد استثمار أموال الضمان الاجتماعى للأمريكيين فى سوق الاوراق المالية (البورصة) كما اقترح الرئيس بيل كلينتون فى خطابه ليلة أمس الأول عن حالة الاتحاد.

واوضح جرينسبان فى شهادته امام لجنة الموارد المالية بمجلس النواب الأمريكى أنه لم ولن يؤيد استثمار اموال حكومية وخاصة أموال الضمان الاجتماعى فى اوراق مالية خاصة ولاسيما الاسهم لأن ذلك سيتعارض مع التوزيع الكفء للموارد فى الاقتصاد.

واعرب جرينسبان عن خشيته من استخدام اموال الضمان الاجتماعى بطريقة توجد معدل عائد أقل للمستفيدين بالضمان وعدم استغلالها الاستغلال الامثل مشيرا الى انه يفضل الاستمرار فى ادارة فوائض الميزانية الحكومية واستغلالها فى رد الديون المحلية.

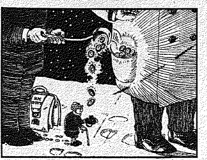
لاثبات جدارتها بالانتماء إلى عالم لم تصل بعد أن تكون مؤهلة للانضمام إليه .إذ تتعالى بعض الصيحات فى الولايات المتحدة الأمريكية وبريطانيا ، بخاصة ،مطالبة بخصخصة نظم التأمينات الاجتماعية وترك مسئوليتها للقطاع الخاص وعدم إثقال كاهل الدولة بها .**ورغم أنها ما تزال دعاوى مطروحة للمناقشة إلا أن الحجج المطروحة فيها تبين أنها كعكة دسمة تتهلف المصالح الخاصة فى زمن العولمة على التهامها بغض النظر عن المخاطر التى قد تحيق بأرباب المعاشات والمنتفعين من التأمينات الاجتماعية من جراء ذلك على المدى الطويل.**

وانظر إلى ما تقوله مجلة «**بيزنس ويك**» الأمريكية فى هذا الصدد ، واسمها يدل على أنها مجلة نشاط أعمال محافظة وليست لديها أية ميول تقدمية بتاتا ،فى عددها الصادر فى ٣٠ نوفمبر الماضى :«**إن جمال مفهوم التأمينات الاجتماعية أنه يمثل التزاما مشتركا من المجتمع ككل بتلبية الاحتياجات التى لا تلبيها الأسر نفسها على وجه حسن .والحد الفاصل بالنسبة للتأمينات الاجتماعية أنها إن لم تكن اجتماعية فإنها لن تكون من التأمينات فى شئ!**».

ثم تضيف المجلة الأمريكية قائلة: «**إن خصخصة التأمينات الاجتماعية يمكن أن يخلق أكثر بنوك الأرصدة شراهة فى العالم ،غير أن من شأن ذلك أن يعرض الناس إلى التقلبات العنيفة فى الأسواق**».

الفقر فى الشيخوخة

أما مجلة «**الايكونوميست**» البريطانية ، المحافظة أيضا ، فإنها تقول فى عددها الصادر فى ١٩ ديسمبر الماضى : «**إن أسوأ ما يخشاه الناس بعد الموت هو التعرض للفقر فى شيخوختهم**». وتضيف بأنه فى الدول المتقدمة يتوقع الناس أن يقضوا خمس حياتهم معتمدين على معاشات التقاعد ،والمشكلة التى تواجه الدول الصناعية المتقدمة أنه نتيجة لسنوات طويلة من الترويج لمفهوم تحديد النسل وتزيين الأسرة الصغيرة مع ارتفاع مستويات الرعاية الصحية وتزايد متوسطات الأعمار ، فإن عدد كبار السن أصبح أكبر بكثير نسبيا من صغارهم ،ما يعنى أن عدد أفراد القوى العاملة الذين يساهمون باشتراكاتهم فى نظم التأمينات فى تمويل المعاشات التقاعدية لكبار السن أخذ فى التناقص،(وهو ما أصبح يشار إليه بشكل متزايد على أنه «**القنبلة الزمنية الديموغرافية**») ، بحيث تقدر التنبؤات



من الأغنى إلى الأفقر (الايكونومست)

الاكتوارية فى الولايات الأمريكية أنه بحلول عام ٢٠٣٥ لن تصبح الأموال المجمعة فى نظم التأمينات الاجتماعية الحكومية كافية لتغطية تلك المعاشات.

فتقول «**بيزنس ويك**» إنه مع تغلب طابع الشيخوخة على المجتمعات يصبح لديها أعداد متناقصة باستمرار من العمال القادرين على مؤازرة المتقاعدين.

وتؤكد «**الايكونوميست**» هذا المعنى بقولها إنه يوجد فى بريطانيا فى الوقت الحالى زهاء ثلاثة أشخاص فى سن العمل يؤازرون متقاعدا واحدا ،وفى عام ٢٠٤٠ سينخفض عددهم إلى إثنين فقط تقريبا بل وإلى أقل من ذلك فى بلاد مثل إيطاليا وفرنسا وألمانيا (حيث يقدر أن نسبة من تزيد أعمارهم فى ألمانيا وحدها عن الستين سترتفع من ٢١ فى المائة من مجموع السكان فى الوقت الحالى إلى ٣٦ فى المائة فى عام٢٠٣٥) ، وهو عدد غير كاف لتأمين استمرارية امتيازات التأمينات الاجتماعية المختلفة ، وتضيف المجلة البريطانية بقولها و« **ونظرا إلى أن المعاشات تعتبر استثمارا طويل الأجل، فإن وجود سياسات مستقرة فى هذا الصدد أمر ضرورى**».

فما هو الحل إذن؟

تطرح الدراسات الغربية واحدا من ثلاثة حلول: «**إما زيادة نسبة اشتراكات العمال فى نظم التأمينات الاجتماعية، وهو حل غير مستصوب من الناحية السياسية ، أو تعديل طول الفترة التى يستحق عنها العامل المتقاعد معاشا ، وذلك على سبيل المثال بالعودة إلى رفع سن التقاعد إلى ٦٥ سنة**. وهو حل صعب لأنه سيعنى تضييق فرص العمل على القوى العاملة الشابة الداخلة إلى سوق العمل مما قد يزيد من نسب البطالة، فضلا عن أن الكثير من العمال فى البلدان الغربية يميلون إلى التقاعد فى سن مبكرة للاستفادة من سنوات العمر فى أنشطة أخرى محببة لديهم فى ظل المعاشات التقاعدية المرتفعة ، أو تشجيع **العمال على الادخار فى أنظمة تأمينات يتولى ادارتها القطاع الخاص ،وهنا مربط الفرس** . وارجع عزيزى القارئ بضعة سطور إلى ما ذكرته مجلة «**بيزنس ويك**» الأمريكية عن ضخامة حجم أموال التأمينات الاجتماعية التى يسيل لها لعاب المستثمرين.

خصخصة راحة البال

كانت مجلة«**الايكونوميست**» قد أفردت ملحقا داخليا خاصا فى عددها الصادر فى ٢٤ أكتوبر الماضى أسمته«**خصخصة راحة البال**» عن خصخصة التأمينات الاجتماعية ،وقد بدأت المجلة هذا الملحق بالقول بأن ثمة ثلاثة أسئلة رئيسية يوجهها كل شخص إلى نفسه هى: «**هل سيكون لدى من المال ما يكفينى كى أعيش حياة كريمة عندما أتقاعد عن العمل؟ وهل سأحصل حينئذ على رعاية صحية ملائمة إذا مرضت ،وخاصة عندما يتقدم بى العمر؟ وإذا ما فقدت عملى أو أصبحت غير قادر على العمل ،هل سينتهى بي الأمر إلى العيش فى فاقة أو إلى الاعتماد على الآخرين أو على إعانات أهل الخير؟**».

وتقول المجلة البريطانية أنه منذ أن أدخل مستشار بروسيا الحديدى «**أوتو فون بيسمارك**» أول نظام للتأمينات الاجتماعية فى عام **١٨٨٩** ،والناس فى مختلف أنحاء العالم يتطلعون إلى حكوماتهم لتوفير المعاشات التقاعدية والرعاية الصحية والحماية من الفقر ،والتى أصبحت تسمى فى مجموعها «**التأمينات الاجتماعية**» .غير أن المشكلة الديموغرافية (فى عام ١٨٨٩ كان متوسط العمر المتوقع عند الولادة يبلغ ٤٥ عاما بينما وصل الآن إلى ٦٥ عاما فى البلدان الأعضاء فى منظمة التعاون والتنمية فى الميدان الاقتصادى) ،والتهرؤ الاجتماعى الذى يجعل الكثير من العمال فى البلدان الغربية لا يجدون غضاضة فى العيش سنوات طويلة فى حالة بطالة معتمدين على إعانات تأمينات البطالة ،عمل على إظهار الكثير من العيوب والثغرات فى نظم التأمينات الاجتماعية ، فضلا عن انخفاض معدلات التنمية والمنافسة الاقتصادية الحادة بين مختلف البلدان الرأسمالية دفعا بالحكومات إلى النظر فى مختلف بنود تقليل الانفاق العام ،مما أتاح الفرصة للبعض إلى توجيه أصابعهم نحو ميزانيات التأمينات الاجتماعية التى أصبحت تلتهم جزءا كبيرا من الميزانيات العمومية لتلك الدول.

وتقول المجلة إن الاجابة على التساؤلات المثارة بشأن مستقبل التأمينات الاجتماعية

يعنى ضرورة تناول المشكلة بعقول متفتحة بالنسبة لامكانية حلول القطاع الخاص محل ما تقوم به الحكومات فى الوقت الحالى ،فى الوقت الذى ينبغى «التسليم فيه بأنه قد يكون ثمة أمور تستطيع الحكومات أن تقوم بها أفضل من بيوت الأعمال الخاصة ، بل وبأنه لا يمكن لأحد أن يقوم بها سوى الحكومات».

ولكن لماذا يتلهف القطاع الخاص على الحلول محل الحكومات فى هذا المجال ؟ المجلة الاقتصادية البريطانية المحافظة تقول بالحرف الواحد : «**يتلمظ القطاع الخاص ،وبالأخص شركات التأمين وشركات إدارة الصناديق الاستثمارية إلى الآفاق المرتقبة لتلك الأعمال الجديدة .فعمليات الاندماج الحديثة العهد بين شركات التأمين ،والمصارف ، وشركات السمسرة وشركات ادارة الصناديق الاستثمارية ، والنمو العالمى السريع للشركات المالية الأمريكية، كان مدفوعا كله إلى حد ما بتوقع مفاده أن الأفراد فى كل مكان سيحملون بمزيد من المسئوليات عن إدارة شئونهم الخاصة**» .غير أن المجلة تضيف بأن «خصخصة الرفاه تواجه عقبات كثيرة أكبرها فى كل مكان ،هو الناخبون الذين يعارضون الخصخصة بوجه عام «ثم تضيف المجلة قائلة لقد اختارت الحكومات أن تتجاهل عداوة الناخبين لبيع شركات القطاع العام التجارية ، غير أنه لا يبدو حتى الآن أن السياسيين مستعدون لتحدى المزاج العام بشأن التأمينات الاجتماعية، وفى الولايات المتحدة ،بحث الرئيس الأمريكى «**كلينتون**» فى جميع الخيارات المطروحة لحل مشاكل التأمينات الاجتماعية ولكنه عارض الخصخصة الكاملة لهذا النظام.

غير أن منظرى القطاع الخاص يخوفون الحكومات من محاولة رفع نسب الاشتراكات فى نظم التأمينات الاجتماعية ،فالعمال لن يتحمسوا لذلك كثيرا وقد ينقلبون على الحكومة التى تعمد إلى ذلك ،والشركات لن تستجيب إلى أى ضغوط فى هذا الصدد بعد أن ارتفعت تكلفة مكون العمالة فى إنتاج الكثير من الشركات فى البلدان الأوروبية ،وفى ظل العولمة انتفت مفاهيم الولاء الوطنى والشركات تسارع بالانتقال إلى حيث يتوفر لها حوافز مالية تساعدها على خفض تكلفة الانتاج.

ولكن كيف يدخل القطاع الخاص إلى ميدان التأمينات الاجتماعية؟ أولا بأن ترفع الحكومة يدها تدريجيا عن ضمان المعاشات للمتقاعدين ، باستثناء ذوى الدخول المنخفضة فى بداية الأمر ، ومطالبة العمال بالادخار لشيخوختهم فى أى نظام يعجبهم من نظم التأمينات الاجتماعية المطروحة فى السوق ، أو باستثمار مدخراتهم فى أحد الصناديق الاستثمارية العديدة ، إن لم يكونوا يفضلون استثمارها بأنفسهم فى أسواق الأوراق المالية لقلة خبرتهم بذلك. غير أن المشكلة الكبرى فى هذا الصدد **أن الدراسات أثبتت أن العمال لا يقبلون طواعية على إدخار أموال لتأمين شيخوختهم. فأحدث الدراسات الأمريكية تقول بأن ٣١ فى المائة من البالغين فى أمريكا لا يدخرون أية أموال على الاطلاق** ،وهل تظن ، مثلا ،أن عشرات الألوف من العاملين فى صناعة الخدمات المزدهرة فى الوقت الحالى فى مصر ،والتى يتهرب أصحابها من الاشتراك فى نظم التأمينات الاجتماعية الحكومية خاصة إذا كان عدد العمالة لديهم صغيرا يعد على أصابع اليدين مثل عمال **محلات الحلاقة والبقالة والمقاهى (الكوفى شوب) والمطاعم الصغيرة وورش الحرفيين** ،ومعظم هؤلاء من العمالة المؤقتة التى لا يستقر بها الحال طويلا لدى رب عمل واحد ، يمكن أن يدخروا أموالا لمواجهة اليوم الأسود أو بلوغ السن الذى لا يستطيعون أن يعملوا فيه أو يقبل أى صاحب عمل أن يشغلهم لديه؟ رغم أن أعدادهم الهائلة والمتزايدة يمكن أن تحدث طفرة كبيرة فى سوق المال المصرية.

وعند الوصول إلى هذه العقبة الكؤود ، يعود أصحاب حرية السوق وآلياته إلى المطالبة بتدخل الحكومة، لمصلحتهم طبعا ، والمناداة بضرورة قيامها باصدار تشريعات تلزم جميع العاملين بالاشتراك فى نظام للتأمينات الاجتماعية ،حتى يضمنوا اضطرار ملايين العمال ، الذين سترفع الحكومة يدها عن تغطيتهم، إلى دفع أموالهم إلى خزائنها (أى خزائن منشآت القطاع الخاص).

ولكن ماذا عن استثمار أموال التأمينات الاجتماعية الحكومية فى سوق المال لزيادة مواردها حلا لمشكلتها المالية المتوقعة . تقول المجلة البريطانية إن ذلك هو أحد الحلول المطروحة للبحث، ويجرى بالفعل تطبيقه فى بعض البلدان ، وإن كان يمثل مغامرة سياسية غير مضمونة العواقب. **فلو أن أداء سوق المال كان ضعيفا ،وكان العائد على تلك الأموال قليلا أو بالخسارة ، فإن الحكومة ستواجه بأحد أمرين: أحلاهما مر، إما أن تخفض معدلات المعاشات أو أن تتحمل هى الفروق من ميزانيتها!.**

هل لدينا مشكلة؟

من الممكن أن يقول قائل وما لنا وهذا كله ، فنحن والحمد لله أمة ولادة ونعانى من ارتفاع معدلات المواليد ومن ثم فسيكون لدينا فى المستقبل من القوى العاملة الشابة ما يكفى لمؤازرة نظم التأمينات الاجتماعية وكفالة معاشات الشيوخ مهما تقدم بهم العمر. وهذا قول غير دقيق . ففى حين أن لديهم فى الغرب دراسات واحصاءات دقيقة وحرص مستمر على استقراء توقعات المستقبل إلى ٥٠ سنة مقبلة حتى ولو كان بشكل تخمينى قد يصدق أو يخيب ، فليس لدينا شئ من ذلك كله أكثر من التمنيات والاعتماد على البركة وتأجيل المشاكل وتركها لوقتها أو إلى أجيال أخرى غيرنا تتحمل وطأتها.

فحتى لو كنا أمة ولادة ولو استمرت معدلات المواليد على هذا المنوال ، وهو أمر غير صحيح فيكفى أن ننظر إلى عدد أطفال أسر الأزواج المتعلمين والحرص المتنامى على الأسر ذات الطفلين أو الثلاثة أطفال بالنظر إلى ضيق المساكن وارتفاع تكاليف الحياة ، وأن هذا هو النمط المتوقع أن يسود ويتزايد مع ارتفاع معدلات التعليم فى المجتمع ، فإن الاتجاه المتزايد أيضا إلى **تقليص القطاع العام وخفض العمالة الحكومية وتشجيع منشآت القطاع الخاص الصغيرة سيعنى فى المستقبل توالى الانخفاض فى أعداد المشتركين فى نظم التأمينات الحكومية، مما يهدد مع الارتفاع المستمر فى أعمار المتقاعدين، بانخفاض الأموال المتاحة لتمويل معاشاتهم ،ناهيك عن تأمينات البطالة والعجز المؤقت والمستديم ،وما إلى ذلك** .هذا اذا ما لم تواصل الحكومة أيضا المغامرة بأموال التأمينات الاجتماعية ،وهى أموال لا تملكها ولم تستشر أحدا من مالكيها فى المغامرة بها فى سوق المال أو غير ذلك من الأشكال الاستثمارية المجازفة.

فما المانع إذن من مطالبة الحكومة ، بوصفها الواضع يده على تلك الأموال ، بتقديم بيان كامل عن الأوضاع الحالية لتلك الأموال وعن توقعاتها لها على مدى الخمسين سنة القادمة على الأقل ،حتى يعرف العاملون الحاليون والداخلون خلال سنوات قليلة إلى سوق العمل ، الوضع المنتظر لتأمين شيخوختهم أو عجزهم عن العمل.وقد يلاحظ القارئ أننا **أسقطنا التنظيم النقابى القائم من حسابنا فى هذه المطالبة ، فلا امكاناته الفنية تسمح له بذلك، ولا موقفه من الحكومة يتيح له أن يواجهها فى مسألة حساسة بالنسبة لها كأموال التأمينات الاجتماعية التى تتصرف فيها بلا رقيب أو حسيب، رغم أن للاتحاد ممثلين عنه فى مجلس ادارة هيئة التأمينات الاجتماعية.**



الحالة الدينية فى مصر: إلى أين؟

أصدر **مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بجريدة الأهرام** ، فى بداية شهر أغسطس/ أب الماضى ، العدد الثانى من تقرير الحالة الدينية فى مصر .وكان العدد الأول من التقرير قد صدر فى نهاية عام ١٩٩٦ ..ويعنى هذا التقرير برصد الحالة الدينية في مصر من خلال تعبيراتها المادية علي أرض الواقع ، وذلك علي مستوى المؤسسات الرسمية والحركات غير الرسمية مع متابعة النشاطات الدينية المتنوعة سواء الموجهة للجماعات الدينية أو المجتمع العام. وسوف تحاول أن نقوم بعرض بانورامى سريع لهذا التقرير من خلال ثلاثة محاور أساسية هى **بالترتيب(١) المرجعية الفكرية للتقرير (٢) هيكلية التقرير (٣) ملاحظات عامة حول التقرير.**

(١)
المرجعية الفكرية للتقرير

ينطلق التقرير من نظرة للدين ،كما جاء فى افتتاحية **د. عبد المنعم سعيد** مدير المركز ، ترى **أن الدين هو ظاهرة أصيلة فى الهوية المصرية ،كما أنه ظاهرة لا يمكن الهروب منها فى العمل السياسى المصرى مهما تعددت أشكال وآليات التعبير عنه.** وكما كل الظواهر الأصيلة ، فان لها تشعباتها وتفريعاتها وتغلغلاتها المرئية وغير المرئية داخل العمل الوطنى ،وما على أدوات الرصد والتحليل إلا أن تبحث عنها وتكشفها بتداعياتها الايجابية والسلبية للرأى العام لكى يقرر بشأنها ما يراه من خلال الحوار والمناقشة الجادة والعلمية .

نفس هذا المعنى ، يؤكده الأستاذ **نبيل عبد الفتاح** رئيس تحرير التقرير ، وصاحب فكرته ،فى المقدمة حيث يؤكد علي أن أهمية التقرير ترجع إلى « **كثافة وثقل الحضور الدينى فى الحياة والتجارب الروحية للمصريين على اختلاف دياناتهم ومذاهبهم ، وطوائفهم واتجاهاتهم هذا الحضور الطائفى للدين** ،والايمان فى نسيج الحياة اليومية المصرية ، يطرح ظواهر وإشكاليات عديدة تبدو فى ادراكات الناس الجمعية وفى أنماط سلوكهم وتفكيرهم حول الدين، وفى سيادة قيم وأشكال سلوكية شعبية تنطق باسم التدين أيا كانت حظوظها من صحيح كل دين وعقائده ومقدساته ، إن التدين المصرى يتسم بعراقة فريدة وبدرجات من التركيب والتعقيد التى تحتاج إلى تحليلات فى العمق لها ».

عكس ما سبق نظرة تؤكد على **أن الدين عنصر أساسى فى التكوين المصرى على مستوى الهوية ، وعلى المستوى الإنسانى الحياتى** أكثر من ذلك فلقد أمتد الدين ليشمل العديد من البني المجتمعية فى مصر . انطلاقا مما سبق نجد أن التقرير حرص على تجاوز الجوهر العقائدى للأديان كذلك مواقف أصحابها المبنية على المرجعيتين الفقهية واللاهوتية إلى الواقع العملى ،حيث من جانب يتجسد الدين عملياً فى حياة الناس، ومن جانب آخر تتبلور دينامية تتفاعل مع الواقع الاجتماعى وبعديه المؤسسين فى بعض الحالات والحركى فى حالات أخرى أى أن التقرير وبلغة أخرى ،لا يهدف إلى قياس تدين الأفراد أو مستوى اعتقادهم فى مبادئ دينهم ،وإنما هو تقرير يحاول درس أثر الدين في الواقع مؤسسيا وحركيا.

سمير مرقس

لقد تعامل التقرير مع **الحالة الدينية في مصر** ، تعاملا واقعيا وصار ذلك هو المرجع الرئيسى للعمل بعيدا عن المناهج المعتادة فى علم الاجتماع الدينى ،والتى منها ما يتعامل مع الدين باعتباره متغيرا تابعا للتطور الاجتماعى . ومنها ما يتعامل مع الدين كونه متغيرا مستقلا يقود إلى التحديث ، فالدين من صميم نسيج الحياة اليومية وعليه مطلوب تتبع أثره على أرض الواقع أو رصد حالته بالضبط كما هى . **وقد حمى هذا الأمر التقرير من التحيز الايديولوجى ببعديه المنهجيين السالفى الذكر** ،فى هذا السياق يحرص **نبيل عبد الفتاح** رئيس تحرير التقرير ،على التأكيد بأن التقرير ليس نصا فى الدين ،وليس فقها أو تفسيرا أو تأويلا للنصوص الدينية المقدسة أو الفقهية أو اللاهوتية.

(٢)
هيكلية التقرير

لم تختلف الهيكلية العامة للعدد الثانى من التقرير عن هيكلية العدد الأول ،فالموضوعات التى تناولها التقرير تم توزيعها علي أربعة أقسام كما يلى:

القسم الأول: المؤسسات الدينية الرسمية حيث شمل ما يلى:

١- الأزهر
٢- وزارة الأوقاف
٣- دار الافتاء
٤- الكنيسة القبطية الارثوذكسية
٥- الكنيسة الكاثوليكية فى مصر
٦- الكنيسة الانجيلية فى مصر.
٧- طوائف ومذاهب أخرى.
٨- المؤسسات العلمية الدينية.
٩- لجنة الشئون الدينية بمجلس الشعب.

ويضاف إلى ما سبق موضوع عاشر تمت

فيه دراسة عملية الافتاء.

القسم الثاني: الحركات الدينية غير الرسمية ،حيث شمل ما يلي:

١- الاخوان المسلمون.
٢- الجماعات الاسلامية الراديكالية.
٣- اسلاميو الخارج وأقباط وحركيو المهجر.

القسم الثالث : العمل الاهلى والطوعى ،حيث ضم:

[١- الحركة الصوفية.
٢- الجمعيات الأهلية الدينية.
٣- الموالد الدينية (السيد البدوى- مارجرجس).

القسم الرابع: العلاقات والتفاعلات ، وضم

١- الصحافة الدينية فى مصر .
٢- تحليل الخطاب الديني.
٣- البنوك الاسلامية.
٤- مسلمون يحاضرون فى الكنائس المصرية.

يمثل التقسيم السابق امتداداً لنفس التقسيم الذى تضمنه العدد الأول من التقرير، ويعكس هذا التقسيم من جانب المجالات البحثية التى تطرق إليها التقرير والتى تمثل فى نظر صانعيه إجمالا للحالة الدينية المصرية، ومن جانب آخر حصر هذه الحالة فى أربعة عناصر أساسية .كما سبق.

لقد مثلت المعلومات العامود الفقرى لما تضمنه التقرير «فالبنية المعلوماتية» ،حسب **نبيل عبد الفتاح** ،وبقدر من التحليل المنهجى الملائم مثلا دعامتى التقرير لدراسة الظواهر والمؤسسات والخطابات والطقوس والرموز ، والعلامات والتفاعلات والاشكاليات، ومن هنا كان للمعلومة الأهمية المركزية فى متون التقرير. وعلى هذه الأرضية أرضية المعلومات يمكن تتبع ما تضمنه التقرير علي مدى اقسامه الأربعة وذلك كما يلى:

في القسم الأول يرصد التقرير اداء وتطورات ووظائف وتفاعلات المؤسسات الدينية الرسمية الاسلامية والمسيحية ،وخاصة علي مستوى الكيانين الممتدين عبر قرون : الأزهر والكنيسة القبطية .فهاهو التقرير يرصد تعيين فضيلة **الشيخ د. محمد سيد طنطاوى** شيخا للجامع الازهر وتتبع نشاطات المجلس الأعلى للأزهر ، واللجنة العليا للدعوة الاسلامية .مع القاء الضوء علي الدور السياسى للأزهر داخليا وخارجيا متمثلا فى الموقف من **قضيتى فلسطين والحوار بين الاديان** ،وتتبع مواقف **جبهة علماء الازهر** وبعد ذلك أشار إلى الدور الفعلى للأزهر من خلال مجمع البحوث الاسلامية بواسطة لجنة البحوث والتأليف والترجمة والنشر ومجلة الأزهر ولجنة الفتوى . وأخيرا الدور التعليمى المتمثل فى المعاهد الازهرية ، جامعة الازهر وعدد من الجداول التوضيحية والتى من أبرزها أهم الفتاوى التى صدرت عام ١٩٩٦ ورسائل الدكتوراة التى نوقشت فى جامعة الازهر خلال نفس العام.

ينتقل التقرير بعد ذلك إلى **الكنيسة القبطية الارثوذكسية** حيث تتبع الأنشطة المؤسسية علي عدة مستويات : **بطريرك الكنيسة والمجمع المقدس ،والمجلس الملى العام** . ثم الأنشطة الرعوية وشملت تأسيس إيبراشيات جديدة وسيامة أساقفة جدد وسياسة الكهنة والرهبان والراهبات والرحلات الرعوية ، وأخيرا الأنشطة العلمية والثقافية التنموية.

شهد هذا القسم الاهتمام بالطوائف المسيحية الصغيرة كاثوليكية وانجيلية بالاضافة إلى تخصيص مساحة للتعريف بتاريخ اليهود فى مصر .كما عرف هذا القسم بالمؤسسات العلمية الدينية **اسلامية : كلية أصول الدين وكلية الشريعة ،ومسيحية : الكليات الأمريكية الارثوذكسية ،وكلية العلوم الانسانية واللاهوتية الكاثوليكية وكلية اللاهوت الانجيلية.**

وفى نهاية هذا القسم قدمت دراسة هامة وافية حول «الافتاء كعملية »باعتباره آلية لانتاج القواعد والاحكام الشرعية الدينية الاسلامية ،وفى نفس الوقت تستمد عملية الافتاء أهميتها من طبيعتها المركبة حسب وصف التقرير ، بسبب كون هذه العملية فعلا حضاريا يربط بين النصوص والواقع.

فى القسم الثانى : يواصل التقرير ما بدأه من دراسة الحركة الدينية غير الرسمية والتى حصرها في الاخوان المسلمون والجماعات الاسلامية الراديكالية وأخيرا اسلاميو الخارج وأقباط وحركيو المهجر . أهم ما يلفت النظر في هذا القسم هو إبرازه لاشكالية الخلافات الداخلية فى جماعة الاخوان وما ترتب علي ذلك من محاولة بعض من جيل الوسط من الاخوان لتكوين حزب سياسى تحت اسم «**حزب الوسط**» وتخصيص دراسة خاصة حول مشروع هذا الحزب الذي وصف في التقرير بأنه واحد من المحاولات الفكرية المهمة- سواء علي مستوى البرنامج واللغة والدلالة والجيل- داخل جماعة الاخوان المسلمين خاصة ، وداخل تيار الاسلام السياسى العام . وأهم ما جاء فى برنامج الحزب الساعى إلى الشرعية وبالذات فيما يتعلق بالعلاقة مع الآخر الدينى هو **اقراره لمبدأ حرية اقامة الشعائر الدينية لجميع الأديان السماوية ،وتأكيده على المواطنة الكاملة للمسلمين والمسيحيين معا وجميعا** .

كما يسجل هذا القسم تراجع الجماعات الراديكالية الاسلامية عن العنف من خلال اعلان مبادرة وقف العنف كذلك رصده لحدوث تغير نوعي فى خطاب الجماعة من الاقباط وان كان لم يتم التدليل على ذلك ،وقد الحق بهذا الجزء جدول تضمن وقائع عمليات العنف الدينى التى حدثت فى عام ١٩٩٦ تفصيلا.

وفي نهاية القسم تحدث عن **أقباط وحركي المهجر** . ومما يلفت النظر هو تطور النظرة للأقباط في الخارج عن العدد الأول من التقريرحيث استطاع التمييز بين الاقباط فى المهجر وبين المجموعات المنظمة فى الخارج وهو تمييز هام وجوهرى خاصة وان الاقباط فى الخارج ليسوا جميعا كتلة واحدة صماء.

فى القسم الثالث من التقرير والمعنون العمل الأهلى والطوعى. تجد دراسة جادة وواقعية حول الحركة الصوفية فى مصر مع بيان بأسماء الطرق الصوفية والتى تصل إلى ١٩ طريقة . ثم يتناول الجمعيات الأهلية الدينية ويدر س دور المكون الدينى لهذه الجمعيات حيث لعب دوراً أساسيا في بلورة العمل الأهلى وتحديد أهدافه فى مرحلة النشأة والتطور والتى تعود إلى بداية القرن العشرين وهو الدور الذى تواكب تطوره مع القضايا المجتمعية الملحة مثل مقاومة الاحتلال والارساليات الأجنبية . ثم تقديم خدمات اجتماعية متنوعة لقطاعات عريضة من المجتمع المصرى ،وقد التقت الجمعيات الاسلامية والمسيحية في ذلك . إلا أن التقرير **يرصد تراجع تكون الجمعيات الأهلية الدينية وخاصة المسيحية منها** .وأخيرا تناول دراسة حالة لجمعية الشبان المسلمين وجمعية الشباب المسيحية.

في الجزء الأخير من هذا القسم يتناول التقرير موضوع الموالد الدينية فأخذ مولد **السيد أحمد البدوى** نموذجا للموالد الاسلامية **ومولد مارجرجس** نموذجا للموالد المسيحية.

وننتقل إلى القسم الرابع والأخير من التقرير والمعنون : «العلاقات والتفاعلات» حيث يتعرض لثلاثة موضوعات هى بالترتيب (١) **الصحافة الدينية فى مصر** (٢) **تحليل الخطاب الدينى** ويتناول فى هذا الموضوع كلا من خطاب الاسلاميين المستقلين والخطاب

المسيحي (٣) **البنوك الاسلامية (٤) مسلمون يحاضرون في الكنائس المصرية.**

بالنسبة للصحافة الدينية في مصر فقد عني التقرير باحدى عشر دورية ٩ منها مسيحية (الكنائس الارثوذكسية والكاثوليكية والانجيلية ، ثلاثة عن كل كنيسة) ،واثنتان عن الهيئات الاسلامية وقد اعتمد التقرير في هذا الجزء علي استمارة تحليل محتوى تضمنت : المواضيع ،كاتب الموضوع ، الجمهور المستهدف ، المعالجة الصحفية ،وقد قسمت المواضيع إلى دينية ، وثقافية وسياسية معاصرة ، وترفيهية ، وتم تصنيف هذه الأقسام إلي بنود فرعية ، أما بالنسبة إلى كاتب الموضوع فقد تم التقسيم إلى **رجال دين وعلمانيين** .أما الجمهور المستهدف فقد قسم إلى صغار وكبار وأخيرا المعالجة الصحفية وقسمت إلى : **التلقين والحوار** ،وفى ضوء ذلك تم الوصول إلى نتائج التحليل وترجمة هذه النتائج إلى احصائيات متنوعة عبر عنها ملخصة ، ثم في جداول تفصيلية.

ويأتي موضوع تحليل الخطاب الديني بعد ذلك منصبا على قراءة لكتابات عدد من الشخصيات الاسلامية المستقلة وعدد من الشخصيات المسيحية والذين اختيروا من رجال الدين بالنسبة لخطاب الاسلاميين المستقلين فلقد اختير ٤ أشخاص هم : **طارق البشرى ، فهمى هويدى ،وكمال أبو المجد ، ومحمد سليم العوا** بوصفهم من الاسلاميين المستقلين ، فهم على المستوى التنظيمي يرون دورهم **كواسطة العقد بين الدولة** (والالتزام في حماية هيبتها بتعبير أبى المجد) **وبين الفصائل الراديكالية** ،وعلى المستوى المنهجي، فان كتاباتهم في حقيقتها تأويلية ، بحكم ارتباطها بظروف تاريخية حالة ووقائع مستجدة ،وعلى المستوى الفكرى ، فان اجتهادهم لبلورة الخيار الاسلامى كخيار حضارى وكمشروع للنهضة يجعلهم امتدادا للفكر الاصلاحي. وعلى المستوى الانثروبولوجي ، تتأثر اسهاماتهم بالاطلاع علي جانب أو آخر من الثقافة الغربية المدنية وعلى المستوى السياسى وإنطلاقا من كل مزاولة للخطاب تأتلفها محاولة اضفاء شرعية على أصحابه ، لا يستطيعون محو تعاطفهم مع جماعة الاخوان المسلمين.

وأخيرا يلقى التقرير الضوء على خبرة هامة هى انفتاح الكنائس المصرية لدعوة مسلمين ليحاضروا في لقاءات فكرية وثقافية من خلال مجموعة التنمية الثقافية والمركز القبطى للدراسات الاجتماعية بالنسبة للكنيسة الارثوذكسية ،والهيئة القبطية الانجيلية بالنسبة للكنيسة الانجيلية وجماعة الاخاء الدينى بالنسبة للكنيسة الكاثوليكية ،وقد أسهمت هذه اللقاءات فى مد جسور الحوار والتفاعل مع المجتمع من خلال الحوار المباشر بين الاقباط والمسلمين في العديد من القضايا الوطنية.

ملاحظات عامة حول التقرير

(أ) رغم تأكيد التقرير على أن صيانة الاندماج والتوحد المصرى الراسخ يعد فريضة وضرورة ومسئولية والتزاما على المصريين جميعا أيا كانت دياناتهم وعقائدهم وأفكارهم وانتماءاتهم السياسية والاجتماعية .. وإن هذه الفريضة هي التزام على جماعة الباحثين في التقرير في إطار المواطنة والمساواة بين المصريين دون تمييز أو تفرقة فيما بينهم جميعا .(مقدمة رئيس تحرير التقرير)، رغم ذلك ،فإن **المناطق التى من شأنها تأكيد هذا العرض/ هذه الفريضة لم تكن كثيرة كما وكيفا ، رغم توفر بعض الموضوعات التى كان من الممكن أن تبرز هذا الامر** . فموضوع «الموالد» مثلا ، دُرس انطلاقا من التقسيم الدينى ،حيث أخذ مولد **السيد أحمد البدوى** بطنطا كنموذج للموالد الاسلامية ، ومولد **مارجرجس** بميت دمسيس كنموذج للموالد المسيحية ، وبعيدا عن السيرة الدينية للسيد **أحمد البدوى ولمارجرجس** بدلالتها الرمزية ، فان مناطق مشتركة على مستوى العادات والتقاليد ذات الصبغة الاجتماعية والثقافية والتى تعبر عن التواصل الحضارى فى تاريخ مصر كان من الممكن ابرازها وتضفير ذلك فى دراسة موحدة.

(ب) رغم أن العدد الأول من التقرير ابرز حالة التكامل فى مجال العمل الأهلى والطوعى خاصة عند النشأة في مواجهة الاحتلال البريطاني والارساليات التبشيرية ، **إلا أنه فى تقرير هذا العام لم تستطع تلمس حالة التكامل هذه من خلال النموذجين اللذين تم اختيارهما للدراسة والرصد على الرغم من المقدمة والخاتمة اللتين تعكسا توجها تكامليا.**

(ج) فى الجزء الخاص بتحليل الخطاب الدينى تم اختيار مجموعة من المفكرين الاسلاميين والذين وصفهم التقرير بالمستقلين ،وعند اختياره لنماذج مسيحية فقد تم اختيار ثلاثة أشخاص من رجال الدين مرتبطون بالمؤسسة الدينية بدرجة أو أخرى وكنت أتصور أنه من الضرورى توحيد معايير الاختيار.

(د) أعلم مدى المشقة التى واجهها فريق البحث فى محاولة التوفيق بين المادة التقريرية حول موضوع من الموضوعات خلال فترة زمنية محددة(عام) وبين محاولة التأسيس التاريخى والمعرفى حول نفس الموضوع مما يتسلزم تغطيه زمنية كبيرة. الأمر الذى يستدعى أن تفرد مساحة غير قليلة لهذا التأسيس يلحق به الجزء التقريرى .**وهو ما يجعل التقرير يتأرجح بين كونه تقريرا وبين المقدمات التأسيسية الطويلة** .

وأتصور أنه ربما يحتاج الأمر فى السنوات القادمة -مع الحرص إلا نفقد الأمرين إلى -ابتكار تنظيم جديد لبنية التقرير يحل من جانب الاشكالية السابقة ،ومن جانب آخر يضع مجموعة الدراسات القيمة ،والتى تنتشر على مدى التقرير والتى تتجاوز البعد التقريرى ،فى قسم خاص ،مثل موضوع **عملية الافتاء ، أو تحليل الخطاب الدينى ، أو البنوك الاسلامية.**

(هـ) من الأهمية زيادة القسم الخاص بالعلاقات والتفاعلات والذى يمثل من جانب أهمية تجسيد الحالة الدينية المصرية على المستوى الواقعى، ومن جانب آخر ، يمكن أن تكون مجالا تطبيقيا لدراسة ورصد حالة الاندماج والتكامل الوطنى.

(و) يحسب للتقرير الريادة فى دراسة عديد من الموضوعات التى لم تناقش من قبل مثل موضوع المؤسسات العلمية الدينية بشكل تفصيلى الأمر الذى يمثل فتحا فى دراسة هذا الموضوع والذى يتيح المجال لكثير من الباحثين الانطلاق للدراسة الوافية فى هذا المجال والذى يعكس توجهات ومضمون التعليم الدينى فى مصر كذلك الدراسة الهامة والتى تعد الأولى حول تجربة مشروع «حزب الوسط» والتى تناولته أسباب اعلان الحزب ، وبرنامجه ، وإطار المرجعى ،وعلاقة الوسط بجماعة الاخوان ، وردود أفعال القوى الحزبية والحكومة من مشروع الحزب الجديد.

(ز) مما يوجب التسجيل هو استجابة المسئول عن التقرير للملاحظة التى كانت وجهت للتقرير عند صدور العدد الأول من إهمال الحديث عن يهود مصر وقد تم استدراك ذلك فى العدد الثانى من التقرير.

وبعد أن تقرير الحالة الدينية أصبح له أهمية كبيرة فى الحياة الفكرية والثقافية المصرية لما يقوم به من مساهمة بحثية ومعرفية فيما يتعلق بالشأن الدينى والحالة الدينية فى مصر ،وفى انتظار التقرير القادم.

هـ
م
و
م

أزمة الرأسمالية عام ٢٠٠٠

قنبلة الكمبيوتر ٣

هل تقوم حرب نووية نتيجة مشكلة عام ٢٠٠٠؟!

د. أحمد محمد صالح

عندما تنشر هذه المقالة ،وهى الثالثة فى هذا الموضوع ، يتبقى على القرن الحادى والعشرين حوالى ١١ شهرا فقط، وقنبلة الكمبيوتر تقترب من الانفجار، وتخوض أمريكا والدول المتقدمة حرباً فعلية فى جذب العمالة الفنية المدربة فى مجال تكنولوجيات المعلومات من جميع أسواق العالم ،وتشتعل المنافسة الآن بين شركات الكمبيوتر والبرامج وتتقاتل على كسب أسواق لتصريف منتجات حل مشكلة تاريخ القرن.

ومن المتوقع أن تصيب المتاعب العديد من المؤسسات والشركات علي اختلاف أنشطتها نتيجة لعدم التوافق مع مشاكل عام ٢٠٠٠ **،وستتراوح هذه المتاعب ما بين التوقف القصير والكارثة الكاملة فى كل أنواع المؤسسات كالمصارف وشركات التوزيع والتجزئة ومؤسسات الرعاية الصحية وأسواق السندات المالية ،ومؤسسات الاتصالات السلكية واللاسلكية.**

وينتشر فى تلك المؤسسات عدد من المتشائمين المقتنعين بوقوع كارثة لا محالة وخاصة فى قطاع الطاقة وذلك لسببين ، فكما يقول علماء المنطق أن كل سبب منهما كاف بحد ذاته ، فما بالك باجتماع السببين معا:

السبب **الأول** أنه ما زال يتعين على قطاعات الكهرباء فى مختلف دول العالم أن تنجزر أعمالا كثيرة فى هذا السياق، وان ما تقوم به تلك القطاعات حتى الآن لمواجهة مشكلة **عام ٢٠٠٠** انما يتم ببطء فظيع .

السبب الثانى أنه لا أهمية تذكر لكل ما نقوم به تجاه مشاكل Y2K فى القطاعات الأخرى كتشغيل المصاعد أو إصلاح مفاتيح أجهزة الاتصال الأخرى الداخلية ، أو تحديث آلاف الملايين من أنظمة أجهزة الكمبيوتر الشخصية إذا ما انقطع التيار الكهربائى عن المنطقة ، ولك أن تتخيل المتاعب التى ستصيبك جراء ذلك.

لكن المشكلة الرئيسية فى قطاع الكهرباء فى **مليارات المعالجات المصغرة المبرمجة وهى دوائر اليكترونية متناهية الصغر تسمى ميكروشيبس**Microchips وهى عبارة عن برامج عمل مركزه وظيفتها التحكم ومراقبة الأجهزة وتزخر بها كل الآلات المعقدة المستخدمة فى حياتنا الآن، ففى أى سيارة حديثة الآن مئات (**الميكروشيبس**) ،فى حين توجد آلاف منها فى المحطة الواحدة لتوليد الكهرباء. وقد أجرت هيئة الخدمات العامة فى ولاية تكساس فى يناير الماضى مسحا لشركات توليد الكهرباء البالغ **عددها ١٧٨ شركة** للتأكد من مدى توافقها مع عام ٢٠٠٠ ، **استجاب للمسح ٤٤٪ فقط من تلك الشركات وتأكد أنها جميعا غير صالحة للعمل مع عام ٢٠٠٠**،ويعترف العديد من خبراء صناعة الكهربا، سرا أنه لا مفر من **انقطاع التيار الكهربائى لفترات مطولة وعلى نطاق واسع مع بداية اليوم الأول من عام** ٢٠٠٠ ، ونذكر أن هذا اليوم الموعود يأتى فى برد الشتاء القارص.

وفى دراسة ظهرت منذ أسابيع عن المجموعة الأمريكية لعلوم الكمبيوتر (CSC) فى نيويورك، تبين فيها أن **مشكلة تاريخ ٢٠٠٠ يمكن أن تسبب خسارة أكثر من ١٠ بليون دولار فى الممتلكات فى أقل من أسبوع مع بداية الألفية الجديدة.** وعرضتCSC ثلاث سيناريوهات ناتجة عن مشكلة تاريخ ٢٠٠٠.

الأول فشل رئيسى فى التبادل الأجنبى يمكن أن يكلف الولايات المتحدة الأمريكية من

٤ر٢ بليـون دولار إلى ٣ر٣ بليـون دولار فى أول خمسة أيام.

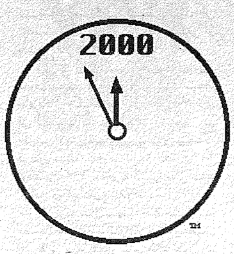
السيناريو الثانى إذا حدث فشل فى مجموعة المؤسسات وشركات الأعمال الصغيرة وقتها تقدر الخسارة بحوالى ٢ر٢ بليون دولار فى الخمسة أيام الأولى.

السيناريو الثالث وهو الأخطر إذا فشلت بصفة رئيسية عمليات المحاسبة والتصفية والمقاصة بين البنوك ، وقتها سترتبك وتفشل الصفقات وتسبب خسارة أكثر من ٥ر٢ بليون دولار فى أسبوع واحد.

وإذا كانت الأفعال صوتها أعلى من الكلام فها هوCapers Jones رئيس ومؤسس شركة ابحاث وانتاج برامج الكمبيوتر SPR فى الولايات المتحدة الأمريكية قد اعترف هذا الخبير بالتأثير الاقتصادى لمشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠ ،وأصدر كتاباً عام ١٩٩٧ عنوانه **«برامج مشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠ التكلفة والنتائج»** يحذر فيه من الأخطار الناتجة من مشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠ ,**وان أكثر من تريليون دولار سوف تنفق على مواجهة مشكلة تاريخ ٢٠٠٠ قبل أن تحدث فعلا ،وأكثر من ٢ تريليون دولار سوف تنفق بعد أن تحدث المشكلة لتغطية الأضرار والتكاليف والتعويضات نتيجة القضايا الناتجة من تلك المشكلة،** هل هنالك دليل أقوى من هذا على أن الرأسمالية لا تهتم بالاقتصاد العالمى وتأثير ذلك على اقتصاديات بقية دول العالم ، فهم ينسون دائما أن هناك دولاً أخرى فى العالم ولها اقتصاديات سوف تتأثر تماما بتلك المشكلة.

والآن لمحة لما يمكن أن يحدث كنتيجة لفشل النظم المدمجة غير المتوافقة فى قراءة التاريخ عام ٢٠٠٠ ، ففى الخريف الماضى اجرى المهندسون فى شركة **فيليبس** للبترول اختبارات على الأجهزة ذات النظم المدمجة المتحكمة فى انتاج النفط والغاز فى بحر الشمال ،ومدى توافقها مع تاريخ عام ٢٠٠٠ ، كانت نتيجة الاختبار من خلال تجارب المحاكاة أن نظام الأمان الأساسى لتحديد الغازات الضارة مثل الهيدروجين أصبح مشوشا تماما وتم اغلاقه .معنى ذلك فى الواقع أن **رصيف الانتاج البترول والغازات أصبح غير صالح للاستعمال لعدم موافقة انظمته المدمجة مع عام ٢٠٠٠.**

وعندما أجرت السلطات فى **هونولولو** اختبارات على نظم الطاقة الكهربية بها ومدى ملاءمتها مع مشكلة تاريخ ٢٠٠٠ ، **توقف النظام كله عن العمل** ويقول محلل النظم



ويندل اتو Wendell Ito إن من نتائج المشكلة ليس توقف وفقد موارد الطاقة والقوة فحسب بل أنها ستجعل البعض يستهلك مصادر الطاقة كالكهرباء والنفط بسرعة أكبر، بل أن بعض الأشياء ستنفجر ،والعالم المتقدم يراجع أنظمة الطاقة والبنوك وأنظمة الأمن والدفاع ، يراجع كل أنظمته لكى يتعرف على مدى توافقها مع المشكلة، **لم نسمع فى مصر أن قطاع الكهرباء مثلا أو البترول أو قناة السويس راجعت انظمتها وجربت مدى توافقها مع المشكلة ،لم نسمع عن ذلك الا فى بعض البنوك ،ولا أدرى إلى متى ينتظرون!** لكن المنظر العام فى مصر يسوده عدم وعى بتلك المشكلة ،فى ظل منظومة اللامبالاة لن تتم مراجعة دقيقة للنظم المدمجة التى تدخل فى جميع أجهزة التحكم التى تعتمد عليها القطاعات المختلفة فى مصر من مواصلات ومطارات وموانئ ودفاع وأمن ومستشفيات ومطافئ وأجهزة الدفاع المدنى وتليفونات الخ.

ويذكر **جيم سكوت** المدير التكنولوجى لوحدة Corning للعلم والتكنولوجى بأن النظام الأوتوماتى فى تلك الوحدة يسجل عقود توريد للمواد الكيماوية والمواد العلمية الأخرى لسنوات مقبلة حماية لتقلبات السوق ، لكن فى الصيف الماضى عندما جاء وقت الدخول فى عقود توريد لعام ٢٠٠٠ أعطى النظام رسالة معناها أن هناك خطأ فى الحساب ،واحتاج الأمر أسابيع لإصلاحه.

جامعة فيكتوريا لاحظت مشكلة عام ١٩٩٦ فى سجلات الطلاب **فالخطابات المعدة لاستمارات طلب التأشيرة للطلاب الأجانب لعام ٢٠٠٠ ظهر على الكمبيوتر على أنه عام ١٩٠٠** لذلك لا نستغرب أن يحتفل الناس بأعياد ميلادهم رقم ١٠١ و١٠٢ ، أو تجد لخبطة فى حركة وصول البريد لك.

وفى بنكsmith Barnery حسب الكمبيوتر فى عام ٢٠٠٠ حوالى **١٩ مليون دولار على كل حساب مالى فى البنك نظير الادارة** ، وهناك حوالى ٢٢٥ ألف حساب ،وخرج المتحدث الرسمى للبنك يقول أن الزبائن لن تتأثر ولن تشعر بالمشكلة ! وبنك بوسطن عندما راجع مكائن صرف النقود المنتشرة فى فروعه المختلفة وجد أن الرقائق الاليكترونية المتحكمة فيها غير متوافقة مع تاريخ عام ٢٠٠٠ ،فقد **رفضت الكثير من تلك المكائن صرف النقود لبطاقات الاعتماد المسجل عليها عام ٢٠٠٠ كتاريخ انتهاء** .فى كولورادو بالولايات المتحدة الأمريكية عام ١٩٨٠ ساد الاضطراب والضوضاء فى موقع قيادى لتقييم الهجمات النووية ،حيث أدى فشل شريحة اليكترونية فى قراءة التاريخ إلى **انذار كاذب يشير إلى هجوم صاروخى نووى سوفيتى.**

فى عام ١٩٨٦ حادثة تشير نوبيل تحمل دائما ذكريات مفزعة للبشر ،فهى برهان على احتمال وقوع الخطأ البشرى التقنى الذى ينتج عنه كارثة بشرية ، **فهل تتكرر تلك الأخطاء مع عام ٢٠٠٠؟!.**

فى ٢٥ يناير ١٩٩٥ كان العالم على حافة حرب نووية ، ووصل أمر للقوات النووية الروسية بضربة انتقامية نتيجة خطأ فى رسالة عبر القمر الصناعى ،والغيت الأوامر قبل الضرب باربع دقائق فقط، فالخطأ وارد ، وتزيد فرصته فى جميع الأجهزة نتيجة الفشل المتوقع فى الأنظمة المدمجة فى توافقها مع تاريخ ٢٠٠٠ لهذا **فان الإنكار الواسع لنتائج مشكلة عام ٢٠٠٠ وضعف الوعى بها ، لا ينكر العلاقة القوية بين المشكلة، واحتمال قيام حرب نووية فجأة نتيجة خطأ تقنى.**

جون كوسكينن John Koskinen أسمه يتكرر هذه الأيام فى الولايات المتحدة، ويعتبر واحداً من أوائل المهتمين بالمشكلة يقول: ان **مستشار رئاسى قد حذر جيش الدفاع الأمريكى ،من أن ترسانته النووية يمكن أن تتوقف عن وظائفها ما لم تعالج مشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠** ،حيث ستشل الحاسبات حول العالم فى منتصف آخر ليلة من عام ١٩٩٩ .**وجون كوسكينن** بدأ يشارك منذ شهور فى رئاسة المجلس الرئاسى لمواجهة تلك المشكلة ، وأعلن «أنه لا يريد أن يعلن إنذارات لا داعى لها أو سيناريوهات ليوم الحساب المتوقع مثل عدم الأمان العالمى أو انهيار الأسواق العالمية ،فهذا شئ لا يقارن بالخراب المتوقع ،انه ينتظر مقابلة وزير الدفاع الأمريكى لمناقشة الابعاد الامنية للمشكلة

وأهمها مدى **تأثر نظام الصواريخ النووية بمشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠ ، فاذا فشل نظامها في قراءة البيانات في القرن القادم معنى ذلك أن النظام الأمني الأمريكي القائم على الصواريخ النووية قد سقط تماما ويجب العمل على تلافى ذلك.** فالانظمة الأتوماتيكية لا تعرف ما يحدث حولها والوقت يجرى من ايدينا ولا يوجد أحد يتفاوض معنا ويحدد موعداً نهائياً للحد من هذه المشكلة.

والغرب الآن مشغول جدا ويحذر من انفجار نووى فى الكتلة السوفيتية نتيجة الخلل الذى سيحدث فى النظم الأتوماتية طبقا لسيناريو مشكلة عام ٢٠٠٠ ،ويقولون إن هناك بعضاً من ال **٦٥ محطة نووية سوفيتية الصنع والمنتشرة فى الدول السابقة لحلف وارسو يمكن أن تتعطل وتخطأ نتيجة** حساسية وعدم ملاءمة نظم تلك المحطات فى قراءة تاريخ سنة ٢٠٠٠ ، فتسقط تلك المحطات ضحية المشكلة، يتوقعون أيضا أنه حتى لو أخذت الحكومة الروسية تلك المشكلة مأخذ الجد، فهى لا تملك الخبراء الاكفاء لمواجهة مشكلة **تاريخ ٢٠٠٠Y2K هذا ما يقال فى الغرب.**

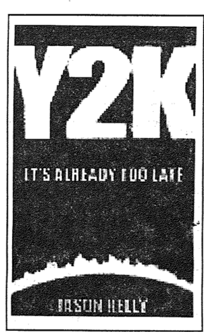
والآن نبدأ رحلة إلى موسكو عاصمة روسيا التى كانت إلى وقت قريب عاصمة ما يسمى الاتحاد السوفيتى ،والآن هى روسيا التى تغير فيها أكثر من الاسم، وتشعر بذلك حالما تهبط فى موسكو فى مطار شيريميتوفو Sheremetove أول ما تلاحظ أن الاعلانات فى كل مكان ومعظمها عن منتجات مصنوعة فى الولايات المتحدة الأمريكية ،وان المطار أصبح غير نظيف تقريبا كما كان من قبل لامعا ،بل انك تشعر فورا ان المطار فى حاجة إلى اصلاحات فورية ،وهنا فى موسكو تسمع أولجا سيرجيفاOlga Sergevaوهى متكلمة رائعة وعضوة مجلس النواب الروسى (الدوما) عن مدينة موسكو.

تقول **وليجا:** أنها أعطت تصريحات ومقابلات مع الكثير من الصحف والمجلات الأمريكية ،وتأمل أن يتفهم العالم كله وخاصة الأمريكان عن ماذا يحدث حقيقة فى روسيا ؟! **فروسيا الآن لا توجد بها حرية أو ديمقراطية كما يتوهمون.**

وتسترسل أوليجا وتقول : **نحن عندنا نظام استبدادى** تحت زعامة **يلتسين** وأن ما يسمى الديمقراطية المزعومة فى روسيا توظف فى امتيازات للذين يدعون الديمقراطيون ،فالديمقراطيين الروس الآن لا يقودون سيارات الفولجاس كما كانوا من قبل بل أصبحوا يقودون المرسيدس ،**والرئيس يلتسين أخذ كل شئ من الناس** ، فموسكو مدينة بروجوازية كبيرة وأصبحت مركزا للفساد البيروقراطى ،والمفسدون البيروقراطيون من الطبيعى أن يدعموا نظام يلتسين.

وتبتسم **أولجا** ابتسامة عريضة وتقول : سوف يستيقظ الناس وسوف يستيقظ الأمريكان، وتكلمت عن القوى النووية الأخرى فى العالم بما فيها الصين ، وتقول : إن مقاييس الأمان المتخذة غير كافية وغير متاحة فى دول عديدة ،فالحرب الباردة انتهت فى ٢٠ نوفمبر ١٩٩٠ بسخرية كبيرة حتى اليوم ،والهند وباكستان مشغولتان جدا بالأسلحة النووية ويوجد سباق بينهما ، فمنذ خمسين سنة مضت تخلصت تلك الدولتان من الاستعمار البريطانى ، ولم يتغير الناس هناك كثيرا ولم يحدث تحسين فى مستوياتهم المعيشية والناس هنالك ما زالوا جياعاً ومحرومين ومضطهدين ،**وأصبحت تلك الدول مشغولة بالسلاح النووى وأصبحت أكثر ولاء وإخلاصا للرأسمال المالى العالمى.**

ونتيجة لتزايد فرصة الخطأ البشرى والتقنى ،ومع التكالب العالمى على أسلحة الدمار الشامل يجب على كل دولة أن تلزم نفسها بتخفيض الميزانية العسكرية وميزانية شراء لأسلحة الدمار الشامل يجب على كل دولة أن تلزم نفسها بتخفيض الميزانية العسكرية وميزانية شراء الأسلحة حتى تصل تلك الميزانية ولا تزيد عن **١٠٪ من ميزانيتها الوطنية الكلية،ففى عام ١٩٩٢ صرف العالم على الأسلحة والجيوش ٨١٥ بليون دولار وهو ما يساوى دخل ٤٩٪ من سكان العالم،** اذا خفضنا ٣٪ فقط سنويا من الانفاق العسكرى تحت ما يسمى حصة السلام سوف يتوفر حوالى **٤٦٠ بليون دولار فى عام ٢٠٠٠.**



وفى أجندة السلام للأمم المتحدة أيام **بطرس غالى** أقترح ضريبة على ميزانيات الدفاع للأمم الصناعية لتمويل الأمم المتحدة وصندوق الطوارئ لحفظ السلام.

كل الدول التى لديها أسلحة دمار شامل يجب أن تمتلك اجراءات أمنية عالية تتجنب بها حالات الكارثة النووية، رغم أن الحل النهائى معروف للجميع هو **ازالة الاسلحة النووية من على هذا الكوكب**، لأنه إذا ما قامت حرب نووية على هذا الكوكب نتيجة خطأ مثل ما يمكن أن تسببه مشكلة Y2K سوف تسبب كارثة عالمية وستتأثر بها الدول الأكثر فقرا ، فهناك أكثر من بليون يمثلون ٢٠٪ من البشر على هذه الأرض يعيشون على أقل من دولار فى اليوم.

وحكومات الدول المتقدمة قررت أن يكون عام ١٩٩٦ عام عالمى لاستئصال الفقر والفاقة من العالم والزموا أنفسهم بالعمل على ذلك ، لذلك يجب أن تتكاتف دول العالم ومؤسساته لمواجهة مشكلة Y2k، واقترحت الكتابات المهتمة بالقضية الآليات الآتية:

أ- يجب على الحكومات بشكل فردى وجماعى والمؤسسات العالمية أن يعلنوا التزامهم بمواجهة مشكلة كتابة تاريخ عام ٢٠٠٠ ،وان يلفت الانتباه لحجم المشكلة ويعظم مدى الوعى بها بين سكان العالم.

ب- كل حكومة وطنية يجب أن تخصص موارد مالية وبشرية كافية لمواجهة المشكلة.

ج- ان تتأكد حكومات ومؤسسات كل دولة من اقتنائها لأجهزة كمبيوتر وأنظمة اليكترونية متوافقة مع تاريخ عام ٢٠٠٠.

د- كل حكومة وطنية يجب أن تتخذ افعالاً ملائمة بحيث يدرك ويعى القطاع الخاص والقطاعات غير الحكومية بأهمية المشكلة وان يتم تقييم الأولويات وفقا للحاجة لمواجهة مشكلة عام ٢٠٠٠.

هـ-تمييز وتحديد الأنظمة الوطنية الأكثر أهمية ووضعها فى حالة طوارئ من الآن ، مع الخطط الكفيلة بمواجهة نتائج مشكلة ٢٠٠٠ فى قطاعات:

١- الاتصالات والتليفونات وشبكات البيانات.

٢- خدمات الطوارئ من اسعاف ومطافئ وبوليس.

٢- قطاعات البنوك والبورصة.

٤- قطاعات التخزين والشحن ومخزونات الطعام والقمح.

٥- قطاعات الدفاع والأمن ودوائر



المخابرات.

٦- قطاعات الصحة والمستشفيات.

٧- قطاع شركات الأعمال بأحجامها المختلفة.

٨- قطاعات المواصلات والقطارات وانظمة المرور.

٩- قطاع مياه الشرب والمنافع والمجارى.

كل تلك القطاعات ستتأثر بطريقة أو بأخرى بمشكلة عام ٢٠٠٠.

وإذا كانت الحكومات فى الماضى مهتمة بمنظمة الأمم المتحدة وتعاهدت على رعاية حقوق العمل والعمال، وحقوق المرأة وحقوق الأطفال، فانهم الآن يجب أن يتعاهدوا على مواجهة مشكلة ٢٠٠٠. ومن ناحية أخرى فأن المخابرات الأمريكية (CIA) لديها نتائجها وبياناتها حول مدى التقدم الحادث فى مختلف دول العالم حول الحلول التى تواجه بها أزمة(Y2K).

شيرى بورنSherry Burns رئيسة مكتب C I A المختص بدراسة تلك القضية ، وخلال مقابلة لها مع وكالة رويتر فى ٥ مايو ١٩٩٨ قالت: أعتقد أن معظم الناس فى العالم يعتقدون أن مثل هذه المسائل ستجد طريقها المعتاد للحل ، لكن فى حالة مشكلة تاريخ ٢٠٠٠Y2Kلن تكون كما اعتاد الناس" وهى قالت أيضا فى التقرير الذى نشرته رويتر: أن مهندسى الأنظمة والمحللين الأذكياء فى CIA كانوا يركزون جهودهم على مابعد المشكلة التقنية باعادة برمجة الكمبيوترات لادارة تاريخ ١-١-٢٠٠٠.

وقد جمعت وكالة الاستخبارات الأمريكية وحللت الكثير من المعلومات حول الاستعدادات الاجتماعية والسياسية والاقتصادية التى يمكن أن تتبع فى حالة انقطاع الخدمات الأساسية فى المجتمعات المتخلفة نتيجة عدم توافق أنظمتها المدمجة فى التوافق مع تاريخ عام ٢٠٠٠ ، والنتيجة الأساسية التى خرجت بهاCIAأن هناك العديد من الحكومات فى العالم غير مستعدة نهائيا لمواجهة تلك المشكلة، فقد تبين أن كندا



وبريطانيا واستراليا متأخرين عن الولايات المتحدة الأمريكية فى درجة الاستعداد لمواجهة المشكلة حوالى ٦ شهور، اليابان والصين وهونج كونة وروسيا ومعظم دول الباسفيك متأخرين من ٩ شهور إلى سنة ، دول أمريكا اللاتينية متأخرة كثيرا . وإذا كانت تلك صورة العالم كما أعطتها المخابرات الأمريكية من حيث مدى الاستعداد لمواجهة مشكلة تاريخ عام ٢٠٠٠ ولكن السؤال الآن ماهو الموقف فى مصر؟! هذا ماستعرض له **فى العدد القادم.**

1-Edward w. kelley, jr. "Remarks by Governor Edward by Covernor Edward W.kelley.jr. Before the professional Banker 's Association, Washington,D.C, Federal Reserve Board, , December 15, 1997,http: // WWW. bog.frb..fed us/.

2- Gus Hall , "The science and technology revolution" People's Weekly World , April 4, 1998; http : // WWW hartford -hwp.com/cp-usa/pww.html.

3- Jim lord " Sex, Lies, and politics (or how Y2K is like pearl Harbor) Westergaard Year 2000 Y2K Tip of the Week # 33, March 30,1998. http://www Y2k timebomb. com/.

4- The Cassandra project - Year 2000 problem Occurrences, update March 10, 1998' http://millennia- bcs, com/examples.htm.

5-"Joint Statement on reduction of Nuclear Weapons Arsenals: Declining Utility, Continuing Risks,ADecember 4, 1996, Signed : General Andrew J. Goodpaster, U.S Army (Ret.) former Supreme Allied Commander in Europe (SACEUR) (1969-74) General lee Butler, U.S. Air force (Ret.), former Commander- in chief, united states strategic Air Command (1992-94)' former Commander- in -Chief, United States Strategic Command (1992-94); http:// WWW. stimson. org/ generals/j-state.htm.

6- "Statement on Nuclear Weapons By International Generals and Admirals " December 5, 1996; Signed by 57 Generals and Admirals; countries: Canada , Denmark, FRANCE, GHANA, GREECE, INDIA, JAPAN, JORDAN, NETHERLANDS, NORWAY, PAKISTAN, PORTUGAL RUSSIA, SRI-LANKA, TANZANIA, UNITED KINGDOM, UNITED STATES; http: //www . stimson. org/ generals/ internat.htm.

7- Tanvir Ali, Atomic Warfare or Accidents- Threats to the Entire Human Race " The Daily Mashriq , Pakistan, April 19, 1990. 38, Matthew Campbell, "Millenium bug could cripple US nuclear missiles" The Sunday Times : World, March 22, 1998' http:// www. sunday- times. co. uk/.

8- Matthew campbell "Nuclear Fears on millennium bug in Russia "The Sunday Times : World , April 12, 1998' http : // www . sunday -times. co. uk/ 40. scott Marshall " Talk on the strret in Moscow- How do Russians say capitalism ? Nyet! people's Weekly World , July 6, 1996' http:// WWW . hartford -hwp . com / cp- usa/ p ww . html.

9-Tim Wheeler, " The Global pillage: Whose world economy is it anyway? "people's Weekly World ,November 9, 1996. http:// www. hartford -hwp.com/cp-usa/ pww.html.

10-The Year 2000 challenge : The united Nations Strategy. Annex D" the Working Group on Informatics, UNO. http: // www . house . gov/science / Kamal 11-4 htm.

11- Reuters, 'CIA : Nations not ready for Y2K May5 , 1998. http: // www . news . com.

12- Richarad Burnett "Everyone must prepare for disaster, expert says" the Orlando Sentinel , April 23, 1998, http : // www . orlandosentinel. com.

13- Gus Hall " The American way to Bill of Rights socialism" people Weekly World, July 26, 1997 ; http :// www. hartford-hwp-com/cp.

إحراق الاعلام لن يلغى وفاة العرب

«أسأل الف سؤال اليوم حتى تحصل على عشر اجابات ،وغداً أسأل وسوف تجد ألفى إجابة عن الف سؤال»
سقراط

تابعت عبر الفضائيات العربية والأجنبية الضرب الأمريكي والبريطانى للعراق قبل بداية شهر رمضان الماضى، وشاهدت وقرأت عن المظاهرات التى جرت فى بعض الشوارع العربية، ولكننى،وقفت عند **الصور التى نشرتها مجلة اليسار فى عدد يناير ١٩٩٩ للحشود الأمنية فى قلب القاهرة لمحاصرة ومنع المظاهرات**، وظهر فى تلك الصور حركة غير عادية وملحوظة من قوات الأمن المركزى، وفى أول الأمر استبشرت خيرا ،أخيرا سوف تحارب إسرائيل ،وهذه تحركات عسكرية متوجه للجبهة مثل أيام زمان،**وكانت خيبة أملى كبيرة فكل تلك القوات والاستعدادات بسبب بعض الشباب والشيوخ المنفعلين ، البعض عن صدق والبعض الآخر مدفوع لأسبابه الخاصة.**

وأستنفار الأمن بكافة أنواعه يذكرنى بالمناطق العشوائية التى أمتلأت بالبلطجية من كل لون ويمارسون القهر على الناس فى الشوارع ، ولا يتحرك الأمن ،فكلنا مسجونون فى سجن المبالاة والخوف والقهر، فإسرائيل وأمريكا لديهما كل الحق فيما تفعلانه بالعرب، **فنحن غير مستعدين حكاما وشعوبا لدفع تكلفة الحرية ،وتكلفة الحصول على حقوقنا ،لقد فقدنا ارادة الرفض من عشرات عشرات السنوات .فلن ترجع الحياة للعرب طالما اقصى ما نفعله هو حرق اعلام أمريكا وإسرائيل فى مظاهرات اعلامية، واصدار البيانات والقرارات التى تستنكر وتقاطع وتشجب وتستهجن وترفض وتحتج علي ما تفعله أمريكا وإسرائيل فى العرب.**

لن ترجع الكرامة العربية إذا كانت حياة الشعوب العربية وحريتهما رخيصة جدا فى داخل أوطانهما، فلماذا نطالب أمريكا وإسرائيل باحترامها؟ فأسباب تعنت أمريكا وإسرائيل وإستضعاف العرب، نتيجة منطقية وطبيعية ،**فاحترام العالم للعرب مبنى على مدى احترام النظم العربية لمواطنيها فى الداخل** ،ولكى نصبح قوة يعمل لها العالم حساباً ، يجب أن تنبع تلك القوة من الداخل،من مدى احترام النظم العربية لآدامية الانسان داخلها.

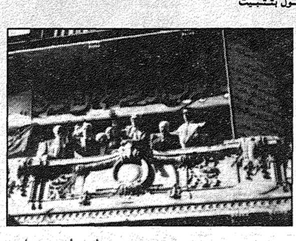
فلن ترجع الكرامة العربية إلا اذا تم الاصلاح من الداخل أولا ، وأن يعى الحكام أنهم سبب أساسى فيما تفعله أمريكا وإسرائيل بالعرب،فالكل مشغول بتثبيت أركان الحكم ملوكا ورؤساء.

لن ترجع الكرامة العربية ، إلا إذا غضبت الشعوب العربية والاسلامية لنفسها أولا علي ما يحدث لها فى مجتمعاتها من انتهاك لحقوق الإنسان وقمع وقهر اقتصادى وسياسى ،وجهل باسم الدين والاستقرار والنظام ،عندها فقط ستعرف أمريكا وإسرائيل قوتهما وتعملان لهم حسابا. **وبدون ذلك سوف تستمر وفاة العرب، لأنهم ببساطة يعرفون جيدا انهم لن يفعلوا شيئا، وكان أولى بهم اصلاح مجتمعاتهم من الداخل أولا.**

وعندما هللت بعض الصحف والمجلات والفضائيات للمظاهرات التى قامت فى بعض الشوارع العربية، قفزت فى ذهنى الاف الاسئلة، فتلك المظاهرات مجرد غضب وتنفيس من مقهورين لا تتوقع منهم الكثير ،فكيف نصدقها من ناس لا تغضب وتتظاهر لأقرب حقوقها؟ بل ان الشعب العراقى نفسه لم يتظاهر ضد نظامه ، ولم يتظاهر احتجاجا علي الضربة الأمريكية **؟فكيف يغضب مقهورون لحقوق الآخرين؟كيف نصدق غضبة الشارع العربى للعراق وهو لا يغضب لنفسه ؟ ولماذا هلل القوميون العرب والاصوليون بالذات لتلك المظاهرات ؟ لماذا لا يغضب الشارع المصرى لنفسه أولا قبل أن يغضب للعراق؟.**

وعندما أشاهد صحفياً متشنجاً مشكوكاً فى امره واسمه مرتبط بعدة قضايا ،اشاهده متشنجا على المنبر مطالبا بطرد السفير الأمريكي والبريطانى وقتها تفقد تلك المظاهرات مصداقيتها العفوية.

وعندما يكتب **عادل حسين** ان من ينتقدون النظام العراقى الوطنى بقيادة رئيسه **صدام حسين** بطل ام المعارك يخدمون المخطط الأمريكى الصهيونى لاضعاف الأمة العربية والاسلامية ؟ وقتها لا يمكن أن أصدق أن تلك



المظاهرات عفوية .ولا أدرى أين هى الأمة العربية والاسلامية التى يتكلمون عنها ؟! هل يأمل البعض أن تعود بغداد صدام بمهرجاناتها وفلوسها كعبة لبعض القوميين والمثقفين بعد أن تأكدوا من افلاس خزائن الخليج ،وان التغنى بأمجاد الخليج الان ليس له ثمن وأصبح مكشوفا.

هؤلاء الشيوخ ورؤساء الأحزاب والقوى السياسية المصرية الذين عزموا على مسيرة لقصر عابدين احتجاجا علي ضرب العراق ! كيف اصدقهم ؟! وهم لم يغضبوا لغزو الكويت ، أو لما يفعله صدام في العراق ،ولم نسمع عن مسيرة لهؤلاء الشيوخ حين قتل الاف المصريين فى العراق ،وكان صدام يرسل صناديق القتلى كل يوم إلى مطار القاهرة ،كيف اصدقهم؟ولم نسمع عن مسيرة لهم إلى قصر عابدين احتجاجا علي حقوق الإنسان، أو ضد قوانين الطوارئ ،أو على منع العمل الجماهيرى للأحزاب ، أو احتجاجا على الديمقراطية وحرية التعبير الناقصة ، فكيف يغضبون الآن؟ وهم انفسهم لا يغضبون لاحزابهم ،وعلى كل واحد فيهم أن ينظر داخل حزبه ويغضب بعدها يمكن نصدقهم!.

لقد انتظرت بعد أن هدأ الجميع من العواصف التى تمر بالوطن لكى أكتب تلك الأسئلة الساذجة التى لا انتظر اجابة عنها ، ونتفق أولا أننى ليست لى علاقة بأى حزب أو قوى سياسية ،وليست لى مصالح مع أحد ،مجرد مصرى مهموم ومتابع لأحوال الوطن ويكاد عقلى ينفجر من تلك الأسئلة الساذجة.



الأزهر والزكاة

خليل عبد الكريم

عادت مشيخة الأزهر تجمع الزكاة وتبث فى التلفاز اعلانات تحض على دفعها لها، ولقد رجعت إلى قانون الأزهر ١٠٦ سنة ١٩٦١م وإلى لائحته التنفيذية فلم أجد مادة واحدة تجيز ذلك ، كما القيت نظرة فاحصة على تاريخه (الأزهر) فلم أعثر على ما يقطع أو حتى يشير من بعيد إلى قيامه بذلك بل على العكس كان يتحرك فى النوازل العامة التى تمس كيان الوطن أو حريته مثل احتلال أجنبى أو عدوان خارجي أو تسلط من حاكم غاشم مستبد متسلط ودققت فى سير شيوخه مشهورين أو خاملين فلم ألف واحدا منهم اقترب من موضوع الزكاة بأى صورة من الصور ولا أحسب أنهم كانوا مقصرين وجاء الشيخ طنطاوى ليكمل قصورهم أو تقصيرهم !! اذن لماذا انفرد فضيلته -هداه الله -يفتح بوابة الأزهر لتحصيل أموال الزكاة؟؟.

ان الاجابة لا تحتاج إلى عميق فطانة أو كبير زكانه أو إلى قدر ولو نخيف من اللماحية.

ان رئيس شئون التقديس - سامحه الله- فعلها لان المشيخه سوف تضبع (فى المعجم الوسيط / ضبع : جار وظلم) والعامة فى صعيد مصر تقول ضبعن باضافة نون أ. هـ) على ثمن (٨/١) الحصيلة التى تلمها (فى المصباح المنير للفيومى/ لممت الشئ=جمعته أ. هـ) متذرعة ب الآية الشئ من سورة التوبة بمقولة أنها أى المشيخة من (العاملين عليها) وهذا تمحل واضح فى التفسير لأن (العاملين عليها) الذين عنتهم الآية هم أولئك الذين كانوا يقطعون الفيافى والقفاز ويعانون مشاق السفر ومخاطر الطريق فى جمعها ثم بعد ذلك يقاسون الأهوال فى رعيها والعناية بها ومداواتها لانها كانت انعاما وماشية وسائمة.. إلخ حتى تصل إلى المدينة صحيحة سالمة تلك العلة في استحقاقهم (٨/١) الزكاة. أما الذين يجلسون علي الكراسى الوثيرة والمكاتب الأنيقة فى الحجرات المكيفة الهواء والذين كل ما يتكبدونه !!! هو رصد ما يأتيهم نقدا أو بشيكآت أو بحوالات فى دفتر فبأى حق يستحلون ال(الثمن)؟.

ان الذى نراه أنه حرام محض بل هو سحت.

ان حرص المشيخة المهيبة ونهمها البالغ على لم الزكاة رغم عدم انطباق الاية ومخالفته للقانون واللائحة وازرائه بكرامة أكبر مؤسسة دينية رسمية علي مستوى العالم الاسلامى.. مرجعه إلى ضخامة المبلغ الذى تجمعه وبالتالى إلى كبر حجم الثمن(٨/١) الذى ترى المشيخة أنه من حقها باعتبارها من (العاملين عليها)!!.

فقد قيل أن المشيخة تجمع ثمانية عشر مليونا وربما يكون فى هذا القدر مبالغة وان الرقم الصحيح هو ستة ملايين من الجنيهات فيغدو (ال ٨/١) هو سبعمائة وخمسون الف جنيه أى ثلاثة أرباع مليون من الجنيهات -يذهب إلى جيوب شيخ الازهر وخشد اشينه (معاونيه) المحظوظين ، ونحن نسألهم : بأى حق تستحلون هذا المبلغ أو أقل منه أو أكثر ونذكرهم بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: ما نبت من حرام فالنار أولى به.

وبعد

فيا شيخ الازهر اتق الله وتنزه عن أوساخ المسلمين وأنت تعلم أن المعصوم عليه السلام وصفها بذلك ، ولا يغرنك بريق المال فهو حرام عليك وعلى بطانتك.

ويا صاحب المعالى رئيس الوزراء تحرك وأوقف هذه المهزلة فنحن دولة مؤسسات يحكمها القانون الذى يتعين أن ينصاع له الجميع أفراداً أو هيئات حتى مشيخة الأزهر.

اللهم أنى قد بلغت اللهم فاشهد.

الأمن القومى العربى

لاحظ بعض المراقبين أن الأمن القومى المصرى والأمن القومى العربى قد تعرضا فى العامين الأخيرين لاخطار هائلة تجسدت فى مجموعة من الظواهر.

* عدوان عسكرى أمريكى مباشر على السودان والعراق ،وتهديد بالعدوان على ليبيا ، وتكرار العدوان على العراق.

* فرض درجات من الحصار الاقتصادى والحظر الجوى على العراق وليبيا والسودان.

* إقامة قواعد عسكرية وتواجد قوات برية ووحدات بحرية تحمل أسلحة وصواريخ وطائرات قادرة على حمل رؤوس نووية ،فى الأراضى والمياة والأجواء العربية.

* اعتماد الولايات المتحدة لما سمى بسياسة الاحتواء المزدوج وتطويرها أخيرا إلى ما عرف باسم سياسة الاحتواء الشامل.

* فشل التسوية السياسية القائمة على أسس كامب ديفيد ومدريد ومبدأ الأرض مقابل السلام ، رغم فداحة التنازلات التى قدمها الفلسطينيون والعرب ، والقبول العملى بمبدأ الأرض مقابل الأمن . فاسرائيل -وبدعم أمريكى قوى عمليا -ما تزال ترفض التسوية وتطالب المزيد من التنازلات ، بما يوشك أن يحول التسوية إلى استسلام كامل للهيمنة الاسرائيلية على المنطقة.

* استمرار التفوق الإسرائيلى العسكرى فى مجال الأسلحة التقليدية وفوق التقليدية على الدول العربية مجتمعة ،واحتكارها للسلاح النووى.

* تصاعد المحاولات الأمريكية الأوروبية لتعميق الهيمنة على العالم العربى عن طريق مشاريع الشرق أوسطية والمشاركة (الشراكة) الأوروبية المتوسطية ، وتوسع حلف الأطلنطى جنوبا.

* إقامة التحالف التركى الاسرائيلى بدعم أمريكى وما يمثله ذلك من تهديد مباشر لسوريا والعراق ومصر.

* فشل كل محاولات التنمية العربية والعمل العربى المشترك ، وتعميق التخلف العربى مما يضاعف حالة التبعية الاقتصادية والمالية والسياسية للدول الصناعية المتقدمة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية.

وفى ضوء هذا الواقع وعجز العرب حتى الأن عن التوصل إلى اتفاق حول استراتيجية جماعية-فى حدها الأدنى- لمواجهة هذه الأخطار المحدقة بالوطن العربى. فكرت مجلة «اليسار» فى طرح الموضوع على مجموعة من المفكرين والباحثين الاستراتيجيين والساسة بأمل التفضل بكتابة وجهة نظرهم فى طبيعة الأخطار التى تهدد أمننا القومى المصرى والعربى وكيفية التصدى لها.

وننشر فى هذا العدد ما وصلنا من آراء حتى الآن

١ الأمن القومى العربى .. من داخله ومن حول

إذا تجاوزنا المفهوم الشامل للأمن القومى العربى ، أى فيما يخص استخدام الامكانيات المتاحة ، وتنظيم القدرة الذاتية فى مواجهة " الآخرين" نرى الآن الأمن العربى له خصوصيته فى اتجاهين:

١- وجود آخر قوة استعمارية استيطانية فى العالم على أرضه، ممثلة فى الكيان الصهيونى ، مصحوبا بدعاوى ذات طابع عدوانى وتوسعى ، مما يشكل مثيرا دائما لكل عناصر مفهوم الأمن الشامل ، خاصة فى ظروف يتطلع الجميع إلى " الحضور" فى العالم وليس فى خنادق ضيقة .

٢- وجود العرب فى محيط من الجوار الذى لاتحسب عناصره " خارجية" أو من "الأغيار"، لأن دول الجوار كلها تقريبا إما ترتبط بالعرب برباط عقيدى مثل الدول الاسلامية (ايران - تزكيا) أو رباط استراتيجى تاريخى مثل الدول الأفريقية (دول حوض النيل - القرن الأفريقى - دول الصحراء والساحل)

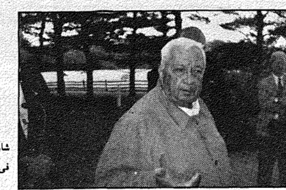
ويتطلب وجود هذه العناصر بالضرورة ، إدارة جماعية واعية بالمصالح القومية ، ويملك العرب فى هذا المجال تنظيم " الجامعة العربية"، كما تتطلب تنسيق العلاقات الثنائية نفسها فى ذات الإطار ، خاصة بين الدول ذات الوزن ، المادى أو الثقافى ، أو حتى الدعائى.

فما الذى يوحى به أى تحليل عملى لتعامل الدول العربية مع هذه العناصر مجتمعة أو منفردة؟

*** لايسود مفهوم موحد - بين العرب -**



حلمى شعراوى


شارون فى سياحة
فى منتجع واى ريفر

حول الكيان الاستعمارى الاستيطانى ، ففى إطار كامب ديفيد فان المنطقة كلها عبارة عن مجموع " أفرادها" ، ومنطق كامب ديفيد الذى لانأخذه بجدية يقوم على علاقة كل دولة على حدة باسرائيل . وهنا يسود المفهوم "النظرى" للأمن عند كل دولة ، بينما تتعامل إسرائيل بمفهوم قومى يهودى صهيونى تستهدف تحجيم الآخر ولجم قوته الجماعية إن وجدت.

أما فى أطر مدريد وأوسلو وكوبنهاجن ، فالمسألة تبدو أخطر من ذلك ، لأننا عندئذ نكون قد دخلنا فى مسألة توحيد فلسطين تحت السيطرة الإسرائيلية ، وتوحيد الأرض العربية تحت الهيمنة الصهيونية ، واتفاق أوسلو وملاحقه الخطيرة شاهد قوى على ذلك ، وتكشفه حدود" السلطة الفلسطينية" ومشروع الشرق أوسطية بأجهزته المقترحة.

*** لاتتحدد أية سياسة عربية موحدة بالنسبة لدول الجوار ، وفى غياب أى إطار أيديولوجى لحركة دول وشعوب المنطقة ، بدت السلوكيات الفردية والثنائية هى الأساس . وبدا " الآخر" أكثر قدرة على تحقيق أهدافه ، بل وبدا ذوو الموقف الودى غير قادرين على الاقتراب الصحيح .**

إن أعتى الصراعات مع **الجوار الإيرانى** مثلا كادت تصفى بنهاية حرب الخليج الأولى ومع التغيرات الواقعة فى النظام الإيرانى . ومع ذلك لم تقرر أطراف التوتر العربية وقف نزوعهم " للجفاء". وفى النهاية يبدو السلوك السعودى جديدا ، والمصرى غريبا ، والسورى خاصا ، والمغاربى مضطربا .. وهكذا ، رغم أن ايران وخلفها الجمهوريات الأسيوية لايستهان بها بهذا الشكل.

ويمكن قول ذلك بالنسبة " **للاختراقات التركية**" التى تختار " مواقعها" غير راغبة فى أى تمييز بين العرب وإسرائيل ، وثمة عرب لايرون داع للتمييز ، رغم وجود مصالح هائلة على مائدة التفاوض العربى التركى ، من المياه للسلاح ، للأسواق ، للاستثمارات.

*** تبدو الجبهة الأفريقية أكثر" أمانا" رغم وفرة الصراعات على أرضها ، إن ليبيا ومصر بل والسودان تملك كثيرا من الأوراق لحفظ "أمان" هذه المناطق . ولكن الاختراقات فى هذه المنطقة أيضا تبدو ذات مخاطر مستقبلية ، فالفرنسيون والأمريكيون لايقتسمون الثروات فقط ،بل يروجون لتشكيل " قوات حفظ السلام " وفق خططهم** ، يجربون فيها إمكانية " أفرقة" قوة الردع ، فى منطقة هى على الحدود العربية ، وقد جربوها بشكل مافى حرب الخليج الثانية ، وتشير الأجواء إلى احتمال اضطرارهم للانسحاب ، وبالتالى ضرورة ترتيب قوة ردع محلية هنا أيضا .

ويبقى السؤال" **ردع من"؟** .. أن كل خطة " أمن قومى" تحتاج فعلا لقوة ردع فى حالة وضوح الرؤى بالنسبة " للآخرين" ، لكن قوى الردع المرشحة داخل الوطن العربى وخارجة هى قوى شريكة لنظم لاتملك موقفا قوميا ، ومن ثم فالقوة المقترحة ستكون لصالح هذه النظم ضد شعوبها أولا ، ثم لتلجيم حركتها إزاء "الآخرين".

إذن فاشكالية الأمن القومى العربى ، تبدأ فى بنية المفاهيم النظرية والأيديولوجية – بل والمحددات وذلك للخروج من دائرة المحددات الأمريكية والفرنسية التى تساند إسرائيل فى النهاية (استخدام الثروة – التقييم الاقليمى – حجم الاتجاه القومى – تحريف موقع القضية الفلسطينية – الأوسطية والمتوسطية والشراكة .. إلخ) فاذا ماأصبح "الفاعلون" من أهل المنطقة وفق مصالحهم القومية، أصبح من الممكن الاستفادة من مناطق الجوار دون أعمال إختراقات تخريبية ، وعندئذ يمكن محاصرة المشروع الصهيونى من أجل حل ديمقراطى علمانى ، بكل نتائجه السياسية والاجتماعية ، التى تضمن أماناً قومياً حقيقياً على أوسع ساحة محيطة أو عالمية . **أما الحديث عن الأوراق الاقتصادية الاجتماعية للأمن القومى العربى فهو اختصاص آخر جدير بالرعاية.**



٢ التفوق العسكرى الاسرائيلى والأمن القومى المصرى والعربى



محمود عزمى

تشير أحدث التقديرات المتعلقة بالقدرة النووية الاسرائيلية ، التى لا يتسع المجال لتناولها تفصيلا ، **أن مفاعل ديمونا** ،الذى يرجع بدء تشغيله فى **ديسمبر ١٩٦٣** ، فى إمكانه أن ينتج، حتى نهاية العام ١٩٩٨ ، **نحو ١٢٦٢ كلج من البلوتونيوم ٢٣٩ اللازم لانتاج القنابل النووية .وهى كمية تكفى لصنع نحو ٢٣٠ قنبلة نووية بقوة تفجير ١٠ كيلو طن ، أى ما يوازى قوة انفجار ١١٥ قنبلة ذرية مماثلة لتلك التى قصفت بها مدينة هيروشيما فى اليابان عام ١٩٤٥**. وهذا التقدير القياسى مجرد مؤشر نظرى لقدرات إسرائيل النووية . ولذلك فهو ليس تقديراً واقعياً لعدد القنابل التى تضمها الترسانة النووية الاسرائيلية ، المحاطة بسرية شبه مطلقة حتى الآن من قبل إسرائيل ،والتى تكتفى بالقول أن لديها خيارا نوويا يتمثل فى القدرة على إنتاج أسلحة نووية ولكنها لم تنتجها فعليا حتى الآن ! ولذلك قد يكون لدى إسرائيل عدد أكبر ، أو أقل ،من هذا التقدير القياسى النظرى لعدد الرؤوس النووية التى فى حوزتها ، وفقا لاختيارات قيادتها العسكرية .**ومن المؤكد أيضا أن لدى إسرائيل أسلحة كيمائية وبيولوجية.**

وبالنسبة لوسائل توصيل أسلحة الدمار الشامل هذه ، فإنه فضلا عن توفر نحو **٨٦٥ طائرة مقاتلة** –عاملة واحتياطية–من مختلف الطرازات ، لدى السلاح الجوى الاسرائيلى ، إجمالى حمولاتها الهجومية التقليدية القصوى فى الطلعة الواحدة ٤٤٩٠ طنا ،**فإن لدى إسرائيل عدة مئات من الصواريخ الباليستية القادرة على حمل رؤوس نووية ، طرازات «أريحا–١ الذى يقدر مداه بنحو ٥٦٣ كلم، وأريحا ٢ الذى يقدر مداه بنحو**

١٥٠٠ كلم ، وأريحا ٣ الذى يقدر مداه بنحو ٥٠٠٠ كلم.

وهذا بالاضافة إلى القدرات الهجومية الكبيرة التى تتمتع بها القوات البرية الاسرائيلية ، التى تضم نحو **نصف مليون جندى عند استدعاء الاحتياطى** ،تتمثل أساسا فى أن تشكيلاته المقاتلة الرئيسية تتألف من **٣٦ لواء مدرعا و١٦ لواء مشاة ميكانيكية ، تضم نحو ٤٨٦٠ دبابة وحوالى ٩٥٠٠ ناقلة جنود مدرعة ، فضلا عن ٣ ألوية محمولة جوا (بطائرات الهيليكوبتر أساسا) يمكنها أن تقاتل كألوية ميكانيكية.**

ورغم تمتع إسرائيل بهذه القدرات العسكرية الهجومية الهائلة ، التقليدية منها وغير التقليدية ، فإنها تبدى قلقا شديدا من امتلاك بعض الدول العربية ، وبالذات **مصر سوريا (والعراق سابقا)** ، بالاضافة إلى إيران ، لصواريخ باليستية (أرض- أرض) بعيدة المدى يمكنها أن تضرب عمقها الاستراتيجى.

ولذلك صرح وزير الدفاع الاسرائيلى **اسحق مردخاى** ، يوم ١٢/ ١/ ١٩٩٩ ، بأن إسرائيل لا يمكنها الاعتماد على نظام صواريخ **«آرو»** المضادة للصواريخ الباليستية باعتبار أنها الوسيلة الوحيدة للحماية ضد الصواريخ الباليستية ،ومن ثم فإنها يجب أن تطور قدرة هجومية ضد منصات إطلاق صواريخ العدو المذكورة.

وهذا القلق سبق أن عبرت عنه من قبل العديد من التصريحات والمواقف الاسرائيلية .فمثلا صرح **اللواء هرتسل بودينجر ، القائد السابق للسلاح الجوى الاسرائيلى** ، يوم ٢٠/ ٦/ ١٩٩٦ ، أنه وللمرة الأولى منذ قيام دولة إسرائيل تمتلك الدول العربية القدرة على إصابة التجمعات السكانية الاسرائيلية والمنشآت الاستراتيجية داخل إسرائيل . وحدد أن هذه القدرة ناتجة عن امتلاك الدول العربية للصواريخ الباليستية بعيدة المدى . واستطرد موضحا أن **«اسرائيل تعمل على إيجاد الردود الملائمة على هذه الأسلحة التى تهدد كيانها»**.

وفى ٢١/٦/١٩٩٦ نشرت صحيفة **«واشنطن بوست»** ، نقلا عن تقرير لوكالة الاستخبارات المركزية الأمريكية ، أن كوريا الشمالية زودت مصر عتادا لصنع صواريخ **«سكود»** ، وأن مصر تسلمت سبع شحنات من هذا العتاد فى الفترة ما بين مارس وأبريل ١٩٩٦ . وقد أكد التلفزيون الاسرائيلى ، يوم ٢٤/ ٦/ ١٩٩٦ ، فى تقرير له هذه الانباء الاسرائيلية، وذكر أن مصر لم تحصل فحسب على مكونات صواريخ «سكود» الكورية، وإنما حصلت أيضا على صواريخ كاملة الصنع من الطراز المذكور فضلا عن منصات إطلاق خاصة بها ، وأن مصر يمكن أن تهاجم اسرائيل بهذه الصواريخ اذا حدثت أزمة عسكرية فى المنطقة.

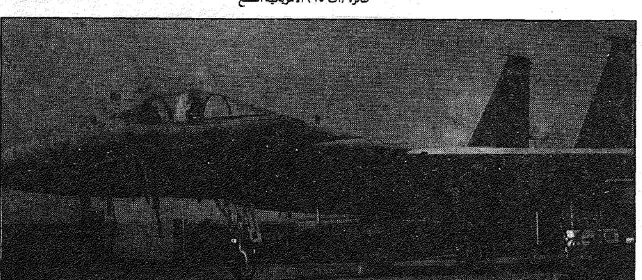
هذا وقد نشرت صحيفة **«هآرتس»** ، يوم ١٣/ ٤/ ١٩٩٨ ، مقالا بعنوان **«ريح تشير القشعريرة تهب من الجنوب الغربى»** تناول موضوع القلق الاسرائيلى من برامج التسلح المصرية والهدف من ورائها ، ذكر فيه كاتب المقال المشار إليه أن وزير الدفاع الإسرائيلى **اسحق مردخاى** طلب من الولايات المتحدة الأمريكية ، أثناء زيارته لها فى أواخر مارس ١٩٩٨ ، أن تؤكد الولايات المتحدة لاسرائيل تفوقها العسكرى النوعى تجاه أربع دول عربية رئيسية من بينها **مصر** . وأن الادارة الأمريكية أبلغته أن **أنظمة التسلح التى تشتريها إسرائيل من الولايات المتحدة تفوق تلك المباعة لمصر بدرجة.**

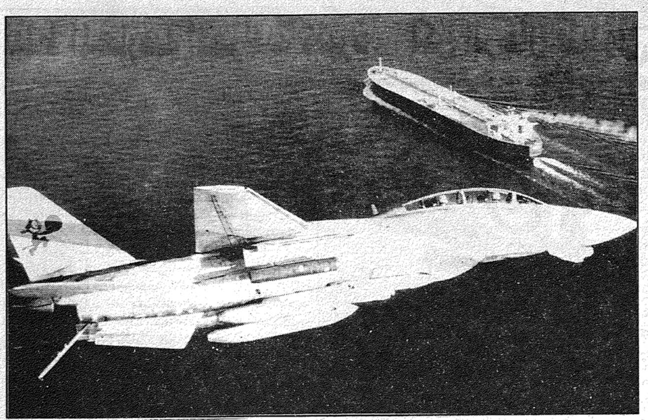
ويبدو أن الصواريخ الباليستية الكورية التى حصلت عليها **مصر وسوريا** هى من طراز «أسكود -سى» المحسن ، التى طورتها كوريا الشمالية بدءا من العام ١٩٨٧ ، استنادا إلى النموذج **«سكود -سى»** السوفيتى ، وذلك بدعم تقنى صينى ودعم مالى إيرانى . ثم زودت به كل من إيران وسوريا فى أعوام ١٩٩٠ -١٩٩٣.

وتقدر مصادر الاستخبارات الاسرائيلية ما لدى سوريا من الصواريخ الباليستية ،من مختلف الطرازات ، بنحو ألف صاروخ ،وجميع هذه الصواريخ (السورية أو المصرية) ذاتية الحركة .الأمر الذى يوفر لها قدرة عالية على الحركة والمناورة ومن ثم يصعب رصد مواقع إطلاقها بسرعة .وهو الأمر الذى أثبتته حرب الخليج الثانية حين فشل الطيران الأمريكى فى رصد مواقع ال **٣٩ صاروخا** عراقيا مشابها لهذه الصواريخ على إسرائيل، ومن ثم لم يتمكن من تدميرها.

وتكمن أهمية صواريخ **«سكود -سى»** المحسنة ، سواء بالنسبة إلى مصر أو سوريا ، أن مداها الأقصى يقدر بنحو **٦٠٠ كلم**، فضلا عن أنها أكثر دقة فى الاصابة من صواريخ **«سكود -ب»** اللتين كانتا تمتلكانها منذ حرب ١٩٧٣ **وهذا يعنى أن هذه الصواريخ تغطى العمق الاستراتيجى الاسرائيلى كله .مع توفر مزايا بعد مواقع إطلاقها ، نسبيا ، عن الطيران أو الصواريخ الباليستية الإسرائيلية** ، وسهولة إخفاء مواقع تخزينها وتحركها منها فجأة وبسرعة نحو مواقع إطلاقها.

طائرة (اف ١٥) الأمريكية الصنع





وفى الوقت نفسه تبدى إسرائيل قلقا شديدا متزايدا تجاه امتلاك إيران صواريخ باليستية من مختلف الطرازات، فضلا عن تطويرها -بدعم كورى وربما روسى - لصواريخ تصنعها محليا من طرازى «**شهاب -٣ (يقدر مداه بنحو ١٤٨٨ كلم) وشهاب -٤ (يقدر مداه بنحو ١٩٨٤ كلم)**. ولذلك قال وزير الدفاع الاسرائيلى **اسحق مردخاى** ، يوم ٢٣/ ٧/ ١٩٩٨ ، أن على الولايات المتحدة والدول الأخرى أن تبذل جهودا مكثفة من أجل إيقاف مشاريع الصواريخ الايرانية ومنع المساعدات الاستراتيجية الروسية من الوصول إلى طهران ، لأن **استمرار هذه المشاريع : «سيغير ميزان القوى فى الشرق الأوسط ومن ثم يجب إيقافها قبل فوات الأوان»**.

ولذلك كله بدأت إسرائيل ،منذ العام ١٩٩٢ ، فى تطوير قدراتها الهجومية -فضلا عن الدفاعية- لمواجهة تهديد الصواريخ الباليستية العربية والايرانية . ففى أواخر العام المذكور ، وبعد أن حذر رئيس أركان السلاح الجوى الاسرائيلى الجنرال **هرتسل بودينجر** ، من أهداف إيران الاستراتيجية ، قرر السلاح الجوى شراء مقاتلات «**ف -١٥ أى**» الأمريكية ذات المدى الاستراتيجى البعيد لتتوفر له قدرات قصف فعالة فى العمق الايرانى عند الضرورة . وبدأ تنفيذ هذا القرار بعد نحو عامين عندما أعلنت الحكومة الاسرائيلية ، فى ٢٧/ ١/ ١٩٩٤ ، عن نيتها شراء المقاتلة المذكورة ، التى تعد أحدث نماذج هذه المقاتلة الأمريكية المتطورة . ويبلغ مداها القتالى القياسى ، بدون إعادة تزويد وقود فى الجو نحو **١٤٥٠ كلم** .وقد جرى توقيع العقد الخاص بهذه الصفقة ، التى ضمت **٢٥ طائرة قيمتها الاجمالية ٢ر٥ بليون دولار ، فى ١٢/ ٥/ ١٩٩٤ ، وتم تسليمها خلال العام ١٩٨٨ . وبذلك بلغ إجمالى عدد مقاتلات «ف-١٥» من مختلف النماذج الموجودة لدى السلاح الجوى الاسرائيلي ، نحو ٩٠ طائرة، إجمالى حمولاتها الهجومية القصوى فى الطلعة الواحدة نحو ٤٩٠ طنا من القنابل والصواريخ.**

وحول هذا الخصوص صرح **ايلان بيران** المدير العام لوزارة الدفاع الاسرائيلية ، يوم ١٩٩٨/١/٩ ، أن إسرائيل والولايات المتحدة تكافحان معا لمنع روسيا من تزويد إيران أسلحة دمار شامل . وشدد على أن **«إسرائيل ستكون قادرة على الاعتماد على قوة ردع تتحرك فى شعاع واسع بفضل طائرات «ف-١٥» الأمريكية المقاتلة القاذفة».**

ولكن كاتباً إسرائيليا يدعى **أمنون بارزيلاى** علق على صفقة طائرات «**ف-١٥**» المذكورة ، فى صحيفة **هآرتس** يوم ٢٤/٧/ ١٩٩٨ ، فقال إن ذلك : «لا يوفر حلا أمثل للمشكلة» . ففى خلال حرب الخليج (١٩٩١) لم تستطع مقاتلات«ف-١٥» الأمريكية أن تعثر على مجرد قاذف واحد لصواريخ «سكود» العراقية».

وفى الوقت نفسه تعمل إسرائيل ، بمساعدة الولايات المتحدة تكنولوجيا وماليا ، على توفير دفاع فعال قدر الامكان ضد الصواريخ الباليستية ، وذلك من خلال التزود ببطاريات صواريخ مضادة للصواريخ أمريكية الصنع من طراز «**باتريوت**» وتطوير صواريخ أحدث من طراز «**أرو**» ، فضلا عن تطوير طائرات بدون طيار تقوم بالتصدى للصواريخ الباليستية فى الجو قبل أن تصل إلى أهدافها وتدمرها بأشعة الليزر.**وهى تسعى الآن ،كما قال اسحق مردخاى مسبقا ، على تطوير قدرة هجومية للطائرات المذكورة كى تدمر الصواريخ قبل أن تنطلق من منصات اطلاقها.**

وكل هذا القلق الذى تبديه إسرائيل وتبذل من أجل تبديده الجهود المشار إليها ،بهدف إضعاف سلاح الردع الوحيد والمحدود لدى الدول العربية التى تمتلكها فى مواجهة ترسانة أسلحة الدمار الشامل التى تمتلكها ،وهى الصواريخ الباليستية المزودة برؤوس كيمائية، ومن ثم تؤكد استمرار تفوقها العسكرى المهدد دائما الأمن القومى المصرى والعربى.



أخطار مباشرة تواجه الأمن القومى

الأوضاع العربية الراهنة تشكل خطراً داهماً ومباشراً على الأمن القومى العربى وقد يصح أن نقول إن **أي جهد عربى جدى لاتخاذ خطوات عملية لإحياء قضية الأمن القومى العربى بهدف إرساء قواعد وضمانات تكفل هذا الأمن.. أصبح محظوراً على العرب.**

ومنذ انتهك نظام الحكم العراقى .. الأمن العربى بالغزو العسكرى للكويت وما أعقبه من وقوع أكبر وأوسع تدخل أجنبى بأحدث الأسلحة والجيوش الجرارة فى حرب« **عاصفة الصحراء».. انهارت تماما مقومات الأمن القومى العربى وركائزه.** وتحولت منطقة الخليج إلى حاملة طائرات أمريكية- بريطانية ضخمة،كما احتلت القوات الأجنبية مناطق عديدة هناك، واتخذت لنفسها قواعد ثابتة ومتحركة، **وتحولت المياة الاقليمية العربية إلى بحيرة أمريكية**- بريطانية.

ولم تكف دول خليجية طوال السنوات الثمانى الماضية عن المجاهرة بأنها تحتمى بالولايات المتحدة وبريطانيا لكى تضمن لنفسها الأمن فى مواجهة «**الخطر العراقى**» وعقدت دول خليجية معاهدات أمنية مع دول أجنبية ، وأصبحت كلها تحت المظلة الأمنية الأمريكية. وهذه المظلة الأمريكية هى البديل الآن للمظلة العربية. وقد حلت محل مواثيق الدفاع العربية الجماعية والثنائية. ولم تتقبل الدول الخليجية عروض مصر وسوريا- من خلال لقاءات دول إعلان دمشق- للقيام بدور أمنى فى الخليج.

حماية أجنبية

ومفهوم أمن الخليج، فى الوقت الحاضر، يعتمد على **احتواء وسحق العراق وتكريس محاصرته** ووضعه تحت مراقبة دائمة والإبقاء على العقوبات المفروضة. وفى هذا الإطار، تتحول إسرائيل إلى حليف موضوعى فى المعركة ضد العراق.

وقد ترتب على السعى وراء الحماية الأجنبية ،والخضوع لها .. كسر صيغة الأمن الجماعى العربى.

وقد اعترف وزير خارجية قطر مؤخرا بأن دول الخليج لا تستطيع أن ترفض أى طلب أمريكى باستخدام قواعد فى المنطقة لضرب العراق، وأن من يدعى غير ذلك إنما يكذب على الشعوب العربية.



طائرات هوك رادار متجول

ومع تكاثر الأزمات العربية- العربية، وتفكك مقومات ووحدات النظام العربى وإنكسار الارادة العربية ، والتسليم لمطالب القطب الواحد (الولايات المتحدة)، وتوفير القواعد والتسهيلات للقوات العسكرية الأجنبية على الأرض العربية.. **أصبحت سياسات اجزاء هامة من العالم العربى جزءا من الاستراتيجية الأمريكية فى المنطقة.**

اختراق من الجيران

ومع بروز دور قوى إقليمية غير عربية .. تلاشى ما تبقى من احتياجات الأمن القومى العربى فايران تحتل الجزر الاماراتية الثلاث(**أبو موسى وطنب الكبرى وطنب الصغرى**) وتشارك، بدرجة أو بأخرى ، فى إحكام الحصار على العراق وإضعاف الكيان العراقى. **وتركيا تشن حملات كبرى لغزو أراضى شمال العراق، كلما أرادت،** وتجعل الأراضى العراقية مستباحة بحجة مطاردة وملاحقة الثوار الأكراد الأتراك. ويتم ذلك كله تحت غطاء دولى وعربى. وتوجه تركيا التهديدات للأمن السورى بشكل دائم.

وكل ذلك يعنى أن دول الجوار غير العربية قد اخترقت بالفعل الأمن القومى العربى.

الشرق أوسطية

وفى ظل استمرار عزل العراق وفرض عقوبات على ليبيا والسودان، وفى ظل حرب أهلية مستمرة فى جنوب السودان منذ أكثر من ربع قرن ، إلى جانب المشكلات المزمنة بين العراق وسوريا ، وبين سوريا والاردن ، وبين اليمن والسعودية ، وبين قطر والبحرين ، وبين ليبيا ودول المغرب العربى.. إلخ **لم يعد هناك مجال لطرح قضية الأمن القومى العربى بسبب انعدام الهدف المشترك واختفاء فكرة ترابط المصالح والمصير الواحد.**

وكان هذا الواقع هو الذى شجع الولايات المتحدة على طرح مشروعها الشرق أوسطى الذى يحل محل النظام العربى بحيث تكون إسرائيل فى قلب المشروع ومحور الارتكاز فى عملية إذابة العرب فى كيان أكبر وأوسع تمهيدا لاسناد الدور القيادى فى العملية برمتها للدولة العبرية.

يحدث ذلك فى الوقت الذى تعتبر فيه إسرائيل أن الأعداء القائمين والمحتملين للتوسع الصهيونى ما زالوا يتربصون بالدولة اليهودية وما زال خطرهم يهدد الأمن الإسرائيلى.و طبقا لدراسة مركز الدراسات الاستراتيجية فى **جامعة تل أبيب** فإن قائمة هؤلاء الأعداء على النحو التالى بالترتيب : **سوريا- مصر- العراق- إيران.**

لا تكافؤ ولا توازن

ومن هنا نستنتج أن معاهدات الصلح والسلام لم تغير شيئا فى فكر وسلوك وعقيدة إسرائيل ، ولكنها أحدثت تغييرا جذريا فى التفكير العربى الرسمى . والنتيجة:

لا وجود فى العلاقة العربية- الاسرائيلية للأمن المتكافئ ، أو توازن القوى

نبيل زكى

والمصالح ، أو السلام بمفهومه الشامل ومعاييره العادلة.

والملاحظ انه فى الوقت الذى تشترط فيه إسرائيل على العرب تخفيض قدراتهم العسكرية ،وفى الوقت الذى تمارس فيه الولايات المتحدة رقابة فعلية على التسلح العربى.. وتحد من قدرة العرب على أى شكل من أشكال التسلح الموازى ، ..حتى فى درجاته الدنيا .. فإن إسرائيل تقوم بزيادة ميزانيتها الحربية وتقوية آلتها العسكرية ، سواء من الأسلحة التقليدية أو غير التقليدية ، وتعقد مع واشنطن اتفاقيات لاقامة مشروعات مشتركة لانتاج صواريخ متطورة بتمويل أمريكي وتطلق قمرا صناعيا للتجسس على المنطقة بكاملها.

مفهوم عسكرى للأمن

وإلى جانب ذلك ، فهناك الالتزام الأمريكي الدائم والمعروف بأن **تظل اسرائيل متفوقة عسكريا واستراتيجيا على الدول العربية مجتمعة.**

هذا التفوق العسكرى الاسرائيلى الشامل والنوعى على مجموع العرب- مع غياب قوة ردع عربية تمنع العدوان الاسرائيلى- من شأنه أن يشجع إسرائيل على اللجوء إلى قوة ردع استراتيجية ، لا يمتلكها العرب، هى السلاح النووى.

ولما كان النظام السياسى الاسرائيلى كله فى خدمة المؤسسة العسكرية الاسرائيلية وحلف العسكريين والحاخامات .. أى فى خدمة المفهوم العسكرى للأمن فى ظل التوجه التوراتى التوسعى وحلم إسرائيل الكبرى .. فاننا نستطيع أن نتصور مدى خطورة هذا الخلل الخطير فى توازن القوى . وحتى، مع افتراض ان السلام سوف يتحقق ،فإنه لن يستمر أو يصمد ما لم يكن هناك توازن عسكرى بين الأطراف.

القرار العربى رهينة

والهدف الرئيسى الذى تسعى إليه الولايات المتحدة هو إسقاط الصراع العربى- الاسرائيلى من مضمون « **أزمة الشرق الأوسط** » بحيث يصبح بعض العرب أعداء للبعض الآخر ، ويتحول العرب إلى فلول متشرذمة على هامش التاريخ يعانون من الضعف والتآكل والانهزامية الشاملة ولا يستطيعون اتخاذ زمام المبادرة. **وتزداد ،على مر الأيام ، قوة التأثير الأمريكى على عملية صنع القرار العربى،** الأمر الذى يكفل لاسرائيل حماية كاملة لأمنها على حساب الأمن العربي. **ورغم أن تجربة نصف قرن برهنت على أن القرار الأمريكى لا يتوافق مع المصالح والغايات العربية .. إلا أن الدول العربية فى مجموعها تتصرف على نحو يعوق ظهور عالم متعدد الأقطاب لأنها تضع كل إمكاناتها وثرواتها رهن مشيئة القطب الأوحد** ،مما يعزز مواقع الأخير على الساحة الدولية ويرجح كفته.

فالاستراتيجية الأمريكية ترتكز على عزل منطقة الخليج وشبه الجزيرة العربية لتكون تحت الهيمنة المطلقة ضمانا لموارد ومنابع البترول ومخزونه الهائل. **وهنا يصبح القرار العربى رهينة لمصالح الولايات المتحدة واستراتيجيتها.**

ولذلك لم يعد ، حتى قرار عقد القمة العربية .. قرارا عربيا فى الأساس وإنما قرار أمريكى.

ولا توجد نقطة بداية لتصحيح الخلل القائم والالتفات ، مرة أخرى ، إلى قضية الأمن القومى العربى سوى **الاعتماد على النفس وتعبئة كل الجهود الذاتية العربية ، واعادة النظر فى العلاقة الخاصة التى تربط بين أكبر دولة عربية- مصر- والولايات المتحدة الأمريكية بحيث تقوم على أسس جديدة تحكمها مصالح مصر القومية والتزاماتها نحو شعوب المنطقة أولا وقبل كل شئ.** وفى نفس الوقت ، توثيق العلاقات التى تربط العرب بدول مثل الصين والهند وروسيا والاتحاد الأوروبى ،ومحاولة تحسين العلاقات مع دول الجوار نظرا لوجود منابع الانهار ومصادر المياه خارج الحدود العربية ، الأمر الذى يؤدى إلى تفاقم الأخطار التى تهدد الأمن القومى العربى على المدى البعيد فى أحسن الأحوال.

ما فى نخوة.. فيه بديل أمريكانى مستورد



لا تفاجأوا.. إذا انتخب نتنياهو مرة أخرى

نتنياهو



رسالة حيفا

نظير مجلى

والسؤال الأكثر واقعية الذي يطرح فى الساحة الاسرائيلية، هذه الأيام هو : **هل يعود نتنياهو إلى الحكم بعد كل ما حصل خلال حكمه القصير؟!.**

قد يكون مذهلا أن يطرح هذا السؤال ، فقط بعد شهر واحد من قرار الكنيست الاسرائيلى حل نفسه والذهاب إلى انتخابات مبكرة . فهذا القرار جاء بعد سلسلة طويلة من الاخفاقات التى ميزت عمل هذه الحكومة واثبتت فشلها فى كل المجالات، وبعد ان فقد رئيس الحكومة ،**بنيامين نتنياهو** مصداقيته تماما حتى بين أقرب المقربين إليه.**ومع ذلك ، فان استطلاعات الرأى تدل على ارتفاع ما فى شعبيته وعلى تساوى القوى بينه وبين منافسه الرئيسى ، قائد حزب العمل أهود براك**.فهل استطاع **نتنياهو** ان يستعيد الثقة به ويسترجع القوى الجماهيرية التى فقدها خلال فترة حكمه وكيف ؟ وهل فعلا سينجح **نتنياهو** فى هزم كل منافسيه؟!.

الجواب على كل هذه التساؤلات هو: **نعم، قد يعود نتنياهو إلى الحكم.**وعلى الناس الواقعيين أن لا يفاجأوا بهذه النتيجة.

ولكن ، لماذا هذا الأمر ممكن؟.

فالانتخابات فى إسرائيل حرة وديمقراطية بشكل عام . ولا يستطيع إنسان مثل **نتنياهو** أن يشترى الأصوات أو يزور الانتخابات ،كما يحدث فى عدة بلدان قريبة منا باللغة أو بالوجدان..

والجمهور الاسرائيلى مسيس جدا ،ومطلع جدا حوالى **٩٠٪ من البيوت تدخلها صحيفة واحدة على الأقل**كل يوم (الصحف اليومية مجتمعة ، توزع مليون نسخة تقريبا ، بينما عدد السكان ٦ ملايين نسمة) وهناك عشر محطات اذاعة وثلاث قنوات تلفزيونية .والصحافة فى إسرائيل حرة ومفتوحة قلما تخفى شيئا على جمهور القراء أو المشاهدين أو المستمعين، بما فى ذلك وسائل الاعلام الرسمية.

المواطنون فى إسرائيل ، عمليا ، يعرفون تماما أن نتنياهو يعرقل مسيرة السلام وأن مواقفه هذه أعادت إسرائيل إلى أجواء العزلة الدولية والعزلة في المحيط العربى وادت إلى انخفاض الاستثمارات الأجنبية والسياحة . وهذا بدوره عمق أزمة الركود الاقتصادى ، المتواصلة خلال السنوات الثلاث الأخيرة ويحس بها المواطن على جلده ، خصوصا اثر الارتفاع الكبير فى نسبة البطالة عن العمل **(ارتفعت خلال حكم نتنياهو من ٦٪ إلى ٨٪) والارتفاع** فى نسبة الفقر**(ارتفعت نسبة الفقراء ١٦٪).**

والجمهور الاسرائيلى يعرف أن نتنياهو بسياسته وبأسلوب عمله وبرامجه وصفقاته السياسية، يهدد اهم اركان الديمقراطية .فقد بدأ حكمه قبل سنتين بصفقة هدفها المساس بنزاهة الجهاز القضائى والتى عرفت باسم «**فضيحة بار- أون**» (محاولة تعيين مستشار قضائى للحكومة له صلات مشبوهة مع مختلف القوى والاحزاب هو المحامى بار -أون). ثم جاءت عملية فرض أحد أقطاب اليمين ،**أورى بورات** ، رئيسا لسلطة الاذاعة والتلفزيون، وهذا بدوره حاول فرض مواقف يمينية على جهازى الاذاعة والتلفزيون (وقد تصدى له الصحفيون ونقابة الصحفيين ولم يسمحوا له بتنفيذ كل ما رغب به من تصفيات وضغوط) . ثم جاءت محاولات نتنياهو تنفيذ مطالب حلفائه من الأحزاب الاصولية اليهودية (المتدينة المتعصبة) ، بسن قوانين تضعف صلاحيات محكمة العدل العليا.

والجمهور الاسرائيلى يعرف أن سلوك نتنياهو الشخصى لا يزيده احتراما . فقد عافه وتركه عدد من أبرز مؤيديه وشركائه مثل: وزير العلوم **بينى بيغن**(الذى ترك الحكومة ثم ترك الليكود واقام حزبا جديدا يحمل الاسم الأصلى لليكود «**حيروت**» وينافس نتنياهو

حاليا على رئاسة الحكومة وعلى قيادة معسكر اليمين) ووزير المالية، **دان مريدور** (الذى ترك الحكومة ثم الليكود واقام حزب الوسط ، بالتعاون والشراكة مع رئيس اركان الجيش السابق ،**امنون شاحك** ، ورئيس بلدية تل أبيب -يافا-**رونى ميلو**) وميلو أيضا كان أحد قادة الليكود وشغل منصب وزير فى حكومة **شامير** وترك الحزب بسبب **نتنياهو**) ووزير الخارجية **دافيد ليفى** ،(الذى ترك الليكود وأقام حزبا خاصا به باسم«**غيشى**»)وانتقده جميع وزرائه الذين لم يستقيلوا بعد.. واعرب معظمهم عن نزع ثقتهم به ووصفوه بالكذاب وبالمراوغ.

وحتى معلمه البروفسور موشيه ارنس، الذى ادخل نتنياهو إلى عالم الليكود ، قرر منافسته والسعى لاسقاطه ،معتبرا اختياره هذا الشخص خطأ حياته.

وكانت آخر الضربات خروج وزير الدفاع،**اسحق مردخاى** عن صفه ، وقد رد نتنياهو على هذه الخطوة بقسوة ذات نغمة استعلاء عرقى (**مردخاى من أصل كردى ومولود فى العراق**)، إذ أقاله من الحكومة ومن وزارة الدفاع (وهو الأمر الذى لم يقدم عليه مع الوزراء الآخرين الذين شاغبوا فى ساحته، وجميعهم أقل شأنا من وزير الدفاع لكنهم من أصل اشكنازى) واتهمه بتفضيل مصلحته الشخصية على المصلحة الوطنية.

عمليا، تسبب نتنياهو فى تفسيخ صفوف اليمين وتمزيق حزب الليكود وشرذمته ولم يبق له صديقا أو حليفا مخلصاً ولم يعد هناك من يصدقه وخرج نخبة كبيرة من القيادات السياسية القديمة وكبار الجنرالات موحدين ضده.

وبالرغم عن كل ذلك ، فإن نتنياهو يخوض معركته الانتخابية واثقا من النصر ، والمعلقون السياسيون الذين يؤكدون سقوطه يحفظون خط الرجعة ويضيفون دائما: «**إلا اذا حصلت عجيبة. ونتنياهو هو أبو العجائب**». واستطلاعات الرأى تعطيه.

فما هو سره قوته؟! وعلى ماذا يعتمد؟!.

فنان فى البوكر السياسى

منذ أن دخل **نتنياهو** إلى الحياة السياسية فى أواسط الثمانينات، أظهر قدرة خارقة فى الديماغوغيا السياسية التى تستند إلى التضليل الاعلامى. هكذا بنى قوته الجماهيرية ، وبشكل خاص فى فترة توليه مهمة المندوب الدائم لاسرائيل فى الأمم المتحدة(٨٤-١٩٨٨)، **فقد انيطت به مهمة الدفاع عن السياسة الاسرائيلية التوسعية الاحتلالية أمام العالم . وظهر فنانا فى التضليل.**

ثم تألق أكثر من خلال تعيينه نائبا لوزير الخارجية(**دافيد ليفى**) لشئون الاعلام (٨٨-١٩٩١)، وبشكل خاص فى فترة انعقاد مؤتمر مدريد للسلام فى الشرق الأوسط. وهناك حول محادثات السلام إلى ساحة حرب إعلامية ، برز فيها تنافسه مع الناطقة بلسان الوفد الفلسطينى،**حنان عشراوى** وعقد بالمعدل مؤتمرين صحفيين كل يوم. وقد شهدته فى تلك المؤتمرات ،فى حينه ، وكان يتمتع فى العرض الذى يقدمه كل مرة ويتباهى بأنه «أفحم» الصحفى الفلانى ورد سؤاله المحرج إلى نحره وكيف ابدع فى الرد على **حنان عشراوى** فى تلك القضية ،كما يحصل للممثل الذى يعجب بنفسه بعد كل عرض.

وفى سنة ١٩٩٢ ، خلال تنافسه على رئاسة الليكود وهو فى المعارضة ، اقدم على تطوير ديماغوغيته الاعلامية إلى ما هو أخطر **فقد سرب إلى الصحافة نبأً يقول انه يخون زوجته . ثم اتهم منافسه على رئاسة الحزب فى حينه ، دافيد ليفى، بأنه يبث الشائعات ضده.** وقبل الانتخاب باسبوع، ظهر **نتنياهو** على شاشة التلفزيون بنفسه ، وماذا فعل؟ اعترف بأنه خان زوجته . وإن تلك زلة لمرة واحدة. اعتذر منها على الملأ وأعلن أنها قبلت اعتذاره . ثم راح يهاجم ..**ليفى** على أنه كشف هذه القصة حتى يفشله فى الانتخابات.

ونجح **نتنياهو** فى استدار عطف الجمهور عموما والناخبين خصوصا . وفاز برئاسة الليكود والمعارضة.

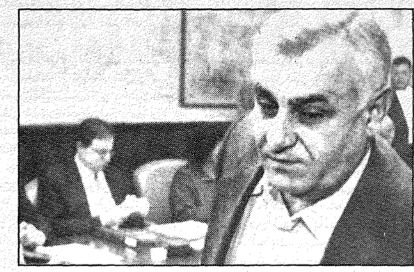
فى المعارضة **لم يغير نتنياهو من نهجه الدياغوغى بل أكسبه المزيد من الشراسة ، لدرجة التحريض الدموى على قادة حزب العمل (رئيس الحكومة ، اسحق رابين ، ونائبه شمعون بيرس) واتهامهم بالخيانة** :وقد القى خطبا ملتهبة ضدهم فى الكنيست وفى المهرجانات الجماهيرية وكان أنصاره يحملون صور **رابين** وهو يعتمد الكوفية(عندما وقع نتنياهو على اتفاق واى ، رفع هؤلاء صورا مشابهة له) وهو فى الزى العسكرى لضابط نازى.**وكلنا يعرف النتيجة ،فقد تم اغتيال رابين.**

وبدلا من أن تكون تلك ضربة قاضية **لنتناهو** وسياسته نجح فى الوصول إلى الحكم وهزم العمل بزعامة **شمعون بيرس،** فى انتخابات ١٩٩٦ . فقد نجح فى ظهوره الاعلامى بشكل خاص، مستندا إلى نصائح مستشاره الاعلامى الأمريكى، **آرثور فنكلشتاين** ، الذى يحرص على ارشاده بالظهور : قويا جدا لا يبث إلا القوة للجماهير ، ذا تصريحات قصيرة لها مغزى وليس القاء خطابات الاقناع والتفسير مثل: **سلام آمن أو «القدس لنا وفقط لنا» أو «مفاوضات السلام ، أخذ وعطاء .يعطون يأخذون لا يعطون .لا يأخذون» وغيرها من شعارات** يخاطب الغرائز العاطفية وليس العقل.

وساعده على النجاح ضعف حزب العمل

امنون شاحاك





موردخاى

، الذى لم يستغل اغتيال **رابين** خلال الانتخابات، وحاول منافسة نتنياهو فى اليمينية فأوقف الانسحاب من الخليل يومها واقدم(على توجيه ضربة عسكرية جنونية للبنان «عناقيد الغضب» أسفرت عن مجزرة قانا (أبريل / نيسان ١٩٩٦).

ولكن، عندما تسلم **نتنياهو** الحكم لم يعد يكتفى بالديماغوغيا ، واضاف إليها عنصر المغامرة الذى يشبه أسلوب لاعب البوكر الذى يقامر على حساب غيره.

لقد ارتكب كل الموبقات الممكنة ،كما هو ظاهر اعلاه ، واعاد إلى المنطقة اجواء التوتر الحربى والانتفاضى، وفسخ حتى حزبه ،ومع ذلك ، فإن شعبيته ثابتة .. نسبيا يهبط قليلا هنا أو هناك . ثم يستعيد ما يخسره بسرعة مذهلة.

والسبب: امران .الأول مرتبط به وبطبيعة الجمهور الاسرائيلى الذى يسانده ،والثانى مرتبط بمنافسيه.

هو وجمهوره

معروف ان جمهور مؤيدى الليكود عموما هو من : قدامى الحركة الإصلاحية فى الصهيونية ، أى اليمين التقليدى الذى هاجر إلى فلسطين فى فترة الانتداب البريطانى وقدم إليها حاملا افكار اليمين الأوروبى أصلا ، أو تطور فى إسرائيل بهذا الاتجاه الفكرى لاسباب اقتصادية (باعتبار ان حزب العمل كان يمثل فى بداياته الاشتراكية الديمقراطية وأخذ له الأمر عدة سنوات طوال حتى تحول إلى البرجوازية واقتصاد السوق) ، وكل الناقمين على السلطة خلال السنوات الثلاثين الأولى من إسرائيل والتى كانت بأيدى حزب العمل وحده حتى سنة ١٩٧٧ (ويضم هذا الجمهور بالاساس اليهود الشرقيين المغاربة والاكراد واليمنيين والفرس) والفقراء عموما والعاطلين عن العمل، وكذلك جمهور المتدينين المتعصبين والمستوطنين. **بكلمات أخرى : جمهوره مؤلف من العقائدين الايديولوجيين من جهة وبسطاء الناس من جهة ثانية ، قلما تجد مثقفين يؤيدونه** . الغالبية الساحقة من الصحفيين واساتذة الجامعات والمبدعين والفنانين تقف ضده علنا، وخلال حكم شامير ، ومن ثم خلال حكم **نتنياهو** ، إنضم إلى المعارضين قسم كبير من رجال الأعمال وأصحاب المال ورجال الاقتصاد والبنوك والبورصة . إذ رأوا أن سياسته المعادية للسلام تضر بالاقتصاد أيضا.

ونتنياهو يستغل هذا التقسيم للجمهور بسادية فهو يلتقى أولئك البسطاء ، ودائما يلتقيهم وحتى عبر الشاشة يوجه كلامه إليهم ،فقط إليهم ، فيفهمهم أن حزب العمل هو المسئول عن مشكلتهم وان الصحافة تحاول حجب الحقيقة عنهم ويحرضهم ويؤلبهم على كل تلك الفئات ، خصوصا الصحافة فهى دائما السبب فى المشاكل. فى لقاء صحفى لنا معه فى مطلع الشهر الماضى، سألناه ان كان مقتنعا فعلا بأن سياسته عال العال ولم يخطئ فى شئ وان المشكلة تكمن فقط فى الصحافة ، اجاب نتنياهو بملء الفم« **نعم سياستى صحيحة مائة بالمائة والمشكلة هى أن الصحافة تشوه صورتى الحقيقية الناصعة»** .

بالاضافة إلى ذلك ، فإن مستشاره الأمريكى المذكور، يعد له برامج الدعاية الانتخابية على الطريقة الأمريكية ، التى تبدو ناجعة حتى الآن.

-**على سبيل المثال : معروف ان عددا كبيرا من زعماء الليكود ، تركوه وذهبوا لأحزاب أخرى ومفروض أن هذا هو أكبر فشل لنتنياهو . إلا أنه يحاول تجيير هذا الخلل إلى نجاح .فيظهره الأمريكى المذكور على أنه رجل قوى ، يتركه الجميع ولا يضعف ، بل يهاجمهم واحدا واحدا ويحاول تحطيمهم .. مثل رامبو ،وبسطاء الناس يحبون قائدا كهذا ،مثلما يحب أطفالنا افلام رامبو.**

الخصوم

هنالك مشكلة حقيقية لدى خصوم نتنياهو خصوصا فى فترة حكمه.

حزب العمل ، لم ينجح فى طرح بديل مقنع لسياسة **نتنياهو** . زعيم حزب العمل **اهود براك** ، ما زال يهاجم نتنياهو من يمين الخارطة السياسية . فيتهمه بأنه هو الذى يقسم القدس وهو الذى بنى الدولة الفلسطينية ويهدد بالخطر مستقبل المستوطنات .ويطرح خطوطا حمراء ، لا تختلف كثيرا عن خطوط نتنياهو الحمراء ،مثل: **لا يمكن تقسيم القدس، لا عودة لحدود ١٩٦٧ ، غالبية المستوطنات تبقى تحت السيادة الاسرائيلية فى كل حل دائم، لا جيش ثالث بين اسرائيل والاردن.**

واهود براك، رغم أنه كان قائدا لنتنياهو فى الجيش ، وأصبح رئيسا للاركان (أعلى منصب عسكرى) ،لا يبدو أقوى من نتنياهو فى ظهوره أمام الناس. وفقط فى الأسابيع الأخيرة ، بدأ يظهر بعض القوة حسب ارشادات مستشاريه الاعلاميين الجدد وثلاثة منهم امريكيون ، احدهم كان المستشار الاعلامى للرئيس **بيل كلينتون** فى معركتى الانتخابات الاخيرتين ولرئيس الوزراء البريطانى **تونى بلير**.

وهناك تجمع جديد **لحزب الوسط فى إسرائيل** ، الذى بدأ برئاسة قائدين سابقين فى الليكود هما **دان مريدور وورونى ميلو** ثم انضم إليهما رئيس اركان الجيش السابق ،**امنون شاحاك** ثم وزير الدفاع **اسحق مردخاى هذا الحزب يجمع قوى مهمة جدا وذات شعبية لكنه لم يأت بأى جديد ،فكريا وبرنامجيا »** انه يحمل نفس برنامج حزب العمل وكل استطلاعات الرأى تؤكد أنه لن ينافس فى الجولة الثانية من انتخابات رئاسة الحكومة ، وسيظل التنافس بين **براك ونتنياهو** وفقط اذا اتحد هذا الحزب مع **براك** تبدوالإمكانية واقعية الاسقاط نتنياهو وهذا لا يبدو ،فى هذه المرحلة ، واقعيا.

من هنا ، فإن **نتنياهو لم يقل بعد كلمته الأخيرة وقد يعود إلى الحكم مرة أخرى فى الانتخابات القادمة خصوصا وانه فرض على إسرائيل والعالم معركة انتخابات طويلة جدا (خمسة أشهر) وفى فترة كهذه ،كل شئ محتمل ووارد.**



حتى لا تتحول القضية الفلسطينية إلى مجرد قضية داخلية إسرائيلية

الصراع والتنافس بين السياسيين الاسرائيليين ، والسباق على الظهور فى وسائل الاعلام ، وسياسة القفز من حزب إلى آخر ، وتشكيل أحزاب وتكتلات جديدة ، هى مظاهر باتت تميز الخارطة الحزبية فى إسرائيل، وخاصة بعد قرار الكنيست الاسرائيلى ، بتبكير موعد إجراء الانتخابات النيابية العامة إلى شهر أيار القادم، وذلك على خلفية فشل التحالف اليمينى الدينى الحاكم برئاسة **نتنياهو**، فى المحافظة علي وحدته التى تآكلت بصورة كبيرة، وحولته من تحالف يمثل الأكثرية **٦٨ عضو كنيست (من بين ١٢٠ عضوا) قبل سنتين ونصف ، إلى تحالف أقلية من ٥٨ عضو كنيست وربما أقل!.**

وفى ظل هذه الأزمة الاسرائيلية العميقة ، ولاسيما على الصعيد القيادى ،فقد باتت مؤسسات استطلاع الرأى تلعب دورا مركزيا فى تقديم المرشحين لقيادات الأحزاب المتنافسة ولرئاسة الحكومة الاسرائيلية القادمة. **فاستطلاعات الرأى ، على سبيل المثال، هى التى مهدت لظهور الجنرال «امنون شاحاك» رئيس الأركان السابق ومن قادة حزب الوسط الجديد، ، وهى التى شجعت وزير الدفاع السابق «اسحق مردخاى» للانتقال إلى زعامة هذا الحزب**. كما أن الطموحات الشخصية لسياسين وعسكريين سابقين هى التى مهدت لدخولهم إلى حلبة السباق الانتخابى ، إما من خلال الانضواء فى أحزاب قائمة أو تشكيل أحزاب جديدة .وفى نفس الوقت يتحدث الجميع عن أزمة عميقة ومتفاقمة فى قيادة حزب الليكود ، وإلى حد معين فى قيادة حزب العمل أيضا ، ويعتقدون أن الحل يتمثل فى تشكيل ائتلافات جديدة ، وتقديم منقذين جدد من قادة بدأوا يتوافدون ويبدلون أماكنهم السياسية فى الخارطة الحزبية الاسرائيلية.

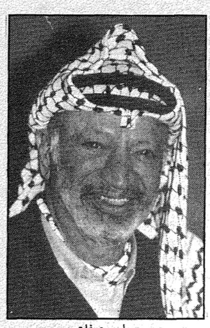
فالعملية الجارية داخل المجتمع الإسرائيلى ، ولا سيما التأثير الكبير لانتقال وزير الدفاع السابق «اسحق مردخاى» إلى زعامة حزب الوسط، وإقالته من الليكود ،والتى وصفها المراقبون بمثابة هزة أرضية أصابت هذا الحزب ، إضافة لعوامل أخرى ، قد تسفر عن تغيرات عميقة فى موازين القوة الحزبية فى إسرائيل ، ونهاية ما يسمى بمعادلة الحزبين الكبيرين- العمل والليكود لصالح ظهور ثلاث كتل متوسطة الحجم نسبيا ، ومتساوية تقريبا ،مما سيقلل من وزن الأحزاب الصغيرة من أقصى اليمين أو من اليسار فى اية تحالفات مقبلة ، بعد انتخابات ايار القادمة.

ولعل اللافت للانتباه بالنسبة لحزب الوسط ، انه بعكس أى حزب آخر ،فقد **تشكلت قيادته وأعلن عن قيامه قبل إقرار برنامجه !** فقيادة هذا الحزب التى تشكلت تدريجيا من الجنرال «امنون شاحاك» ،ومن «رونى ميلو» وزير الشرطة الأسبق فى حكومة الليكود ورئيس بلدية تل أبيب السابق ، ومن «دان مريدور» وزير المالية السابق فى حكومة الليكود ، وثم من «**اسحق مردخاى**» بالاضافة إلى عدد من قادة حزب العمل الذين عملوا مع رئيس الوزراء السابق **اسحق رابين**، ان هذه القيادة قامت أولا بتنسيق مسألة قيام هذا الحزب ، وبعدها اتجهت للاتفاق على برنامج له ،لقد اتفقوا على تشكيل قيادة هذا الحزب ،ومن ثم على صياغة برنامجه ، وكان شعارهم الموجه والأساسى على الشكل التالى : **هناك حاجة لقوة سياسية جديدة بعد فشل حزبى الليكود والعمل .. ونحن هذه القوة.**

وبالرغم من بروز العامل الشخصى فى هذا التشكيل ،وفى الصراعات المحتدمة بين قيادات مختلف الاحزاب الاسرائيلية وداخل هذه القيادات ، إلا أن هذا ما نراه على سطح الأحداث، وليس بالامكان عزل ما يجرى عن أسبابه السياسية العميقة ، وبالتحديد اقتراب موعد الامتحان الحقيقى فيما يتعلق بالعملية التفاوضية الجارية ، أى انتهاء المرحلة الانتقالية فى ٤ آيار القادم، حسب الجدول الزمنى "لاتفاق إعلان المبادئ" ،وعدم الانتهاء من تنفيذ الجزء الأكبر من هذه المرحلة ، وحلول

رسالة القدس

حنا عميرة


ياسر عرفات

موعد البدء بمفاوضات الوضع النهائى ، فى ظل تجميد كامل من جانب الحكومة الاسرائيلية الحالية لمجمل العملية التفاوضية ، وامتناعها عن تنفيذ معظم الالتزامات والاستحقاقات التى تمليها الاتفاقات المعقودة.

لقد ورثت حكومة نتنياهو من الحكومة السابقة عملية سياسية واتفاقات مرحلية ، لم تستطع الخلاص منها ، بسبب الظروف الاقليمية والدولية كما أنها لم تستطع التقدم على طريق تنفيذها .. بسبب مواقفها الايديولوجية المتطرفة ، **وبالتالى فقد حاولت المراوحة فى نفس المكان ، إلى أن وصلت سياسة المراوحة إلى نهايتها مع التوقيع على اتفاق «واى ريفر» الذى كانت إحدى نتائجه غير المباشرة نهاية هذه الحكومة.**

وبالتالى فقد تجلت ازمة الائتلاف اليمينى- الدينى من داخله ،وفى التصويت داخل الحكومة **صوت ٨ وزراء من بين ١٧ وزيرا مع اتفاق واى ،وفى الكنيست ، صوت ٢٩ عضوا فقط من بين ٦٨ عضوا هم أعضاء هذا الائتلاف لصالح هذا الاتفاق ، الذي أقر بأصوات المعارضة** .وفى خضم هذه الازمة ، وعما اذا كان على نتنياهو ان يختار المجازفة بخسارة حكومته والتقدم فى تنفيذ الاتفاق أم

أن يجمد تنفيذه على أمل المحافظة على هذه الحكومة .. فقد **اختار الخيار الثانى وكانت النتيجة التجميد والخسارة معا** .. بعد أن قرر أقصى اليمين فى ائتلافه عدم التصويت لصالحه.

وبهذه النتيجة وصل الموقف الايديولوجى المتطرف القائم على مبدأ أرض إسرائيل الكاملة .. وعدم التنازل عن أى شبر من أرض الميعاد .. واستمرار سياسة التوسع والاحتلال إلى نهايته ،ولم يعد مثل هذا البرنامج صالحا لا للحكومة الحالية ولا لأى حكومة قد تأتى بعد الانتخابات القادمة.

أما العبرة الثانية، من وراء سقوط هذه الحكومة فتتمثل فى تراجع ما يسمى «بالاجماع القومى الصهيونى» حتى داخل الليكود نفسه ، لصالح بروز بعض الاتجاهات البراغماتية ، وهذا ما يفسر الانقسام الحاصل فى هذا الحزب حول العديد من القضايا وخاصة تلك التى تتعلق بالموقف من تنفيذ الاتفاقات المرحلية الموقعة .. وهذه الظاهرة بالتحديد قد تتعمق أكثر ، إذا ما ازدادت الضغوط الخارجية والدولية على الحكومة الإسرائيلية ،وهى التى دفعت **باسحق مردخاى** وغيره إلى الانسحاب من حزب الليكود.

وما دامت الحالة كذلك فإن تمسك السلطة الوطنية الفلسطينية بأهداف العملية التفاوضية وبمرجعيتها الدولية وليس الأمريكية فقط، وبالموقف الداعى إلى تطبيق جميع استحقاقات المرحلة الانتقالية ، والعمل من أجل تجاوز الثغرات والقيود التى فرضها اتفاق «**واى ريفر**» ،من شأنه أن يعمق من اتساع الأزمة الداخلية فى إسرائيل ، وان يحول دون تحول القضية الفلسطينية إلى مجرد قضية داخلية اسرائيلية ، فى حدود حكم ذاتى مقلص للفلسطينين، وإنما أن تبقى قضية للتحرر الوطنى وان تمارس تأثيرها العميق على الرأى العام الإسرائيلى باتجاه الاعتراف بالحقوق الفلسطينية كاملة.

ان ممارسة مثل هذا التأثير يتطلب تحركا فلسطينيا وعربيا يستكمل ما ابتدأته القمة العربية التى عقدت فى القاهرة فى حزيران من عام ١٩٩٦- ففى ذلك العام عقد القادة العرب قمتهم **للرد على سياسة نتنياهو التوسعية المتطرفة** . وقد لوحت قرارات القمة المذكورة بوقف سياسة التطبيع وقطع العلاقات مع هذه الحكومة فى حالة عدم تنفيذها للاتفاقيات الموقعة، لكن القادة العرب لم يتابعوا تنفيذ هذه القرارات ،على الرغم من الالحاح الفلسطينى والدعوات الفلسطينية المتكررة لعقد قمة عربية.

إن القراءة الموضوعية للخارطة وللتفاعلات الداخلية فى إسرائيل ، تشير إلى أن فرصة التأثير على ما يجرى هى الآن أفضل من السابق، وهذا يتطلب صياغة خطاب فلسطينى وعربى واضح لمخاطبة الأحداث .. فهل الجانب العربى مستعد للقيام بدوره فى هذا المجال .. أم أننا سنواصل سياسة الانتظار .. إلى ما بعد انتخابات آيار؟.

لقد بات القيام بتحرك فلسطينى ،فى هذا الاتجاه ، ضرورة ملحة على الرغم من العقبات التى قد تعترضه . وليكن هدف هذا التحرك الاجابة على سؤالين رئيسيين الأول : **كيف يمكن تحويل العامل الفلسطينى والعربى ، إلى قوة ضاغطة على أية حكومة إسرائيلية قادمة**؟ حتى تبدى قدرا من المرونة فى التعامل مع القضية الفلسطينية ، وتتجاوب مع قرارات الشرعية الدولية بهذا الشأن ،وحتى تكون أكثر استعدادا لتنفيذ الاتفاقات المعقودة؟!.

والثانى : **هل يمكن الاتفاق على خطة مشتركة تحول اعلان الدولة الفلسطينية إلى مشروع قابل للتطبيق مع إنتهاء فترة المرحلة الانتقالية ، وكيف يمكن استخدام موعد الرابع من ايار (اعلان الدولة)للتأثير على موعد السابع عشر من آيار (موعد الانتخابات الاسرائيلية) وليس العكس؟!**.. ومن أجل أن يبقى تاريخ الرابع من آيار هو الأساس.

لقد أعلن نتنياهو بصراحة متناهية ، فى برنامجه الانتخابى ، ان الصراع الحقيقى سيبدأ غداة الانتخابات وسيدور حول طابع السلام والحدود الدائمة والقدس والطابع اليهودى للدولة وعلى وجود الشعب الاسرائيلى كشعب حر فى دولة حرة وقوية ، على أرض إسرائيل.

هذا ما أعلنه **نتنياهو** ويشاركه فى ذلك مختلف المتنافسين الرئيسيين فى الانتخابات الاسرائيلية ، ويترتب على الجانب الآخر أن يستعد لخوض هذا الصراع .. فهل نحسن الاستعداد هذه المرة .. ونبادر بتحرك يعبئ الفراغ الناشئ خلال الأشهر الخمسة أو الستة القادمة ، ويجند عوامل القوة الذاتية.. استعداداً لمواجهة كافة الاحتمالات.



مورداخاى .. بين نتنياهو وشارون

موشى ارينز



الخصوصية الفلسطينية فى العملية السلمية

اسـحق الخـطيب

" ليس أشق على المرء من أن يكون نهباً لعاطفتين ، وموضع صراع لنقيضين.

وليس أشد على النفس من أن تكون موزعة بين حلم يتربع كبد السماء ، وواقع يتردى ويغوص فى الوحل"

بهذه الكلمات بدأت مداخلتى فى جلسة المجلس المركزى الفلسطينى عند مناقشة اتفاق أوسلو.

وبهذه الكلمات استهل مقالتى للتعبير عن موقف صعب فى قضية وطن ومصير.

أقول هذا الكلام تنويهاً بالتعريف الذى أورده المحرر الصديق فى العدد الماضى من **"اليسار"** ، حين قدمنى باعتبارى من المؤيدين لأوسلو والسلطة الوطنية الفلسطينية" **وهو تعريف - فى اعتقادى - غير برئ! بل هو أقرب بالتعريض منه بالتعريف!** إذ ماالحاجة إليه وأنا فى المقالين الطويلين (**اليسار عدد ١٠٤ وعدد ١٠٦**) واضح كل الوضوح فى تأييدى الصريح للاتفاق والسلطة الفلسطينية وعلى رؤوس الأشهاد ؟!

ومع أننى لم أرغب فى البدء فى التوقف عند هذا كيلا يبدو الأمر شخصياً ، إلا أننى أجد نفسى مضطراً للوقوف طويلاً أمام الموضوع . ولأن أبدأ بالتنويه بأننى رغم اعتناقى الماركسية وانضوائى فى صفوف الحزب الشيوعى الأردنى ، **فقد بقيت - فى القضية الفلسطينية - متحفظاً على قرار تقسيم فلسطين من منطلق وطنى ومبدئى وأيديولوجى ، لأنه ينتزع وطناً من شعب وينكر عليه الحق فى تعزيز المصير ، مع اقرارى - فى الوقت نفسه - ببعد النظر الذى انفردت به الأحزاب الشيوعية العربية فى قبولها بالقرار من الناحية السياسية ، لأن ذلك كان سيدرأ كارثة أعظم** ، ويبقى على الشعب فوق أرضه ويجنبه اللجوء والتشرد ، ويقيم له دولة لأول مرة فى تاريخه .

رفض التقسيم كان تمسكاً بالوطن القائم والحق الموجود ، وقبول أوسلو كان استرجاعاً لبعض الوطن الضائع والحق المفقود . ولاأرى فى تحفظى - أنذاك - على قرار التقسيم مايتناقض مع قبولى الآن باتفاق أوسلو رغم البون الشاسع بين مايعطيه الأول ويتمنع عنه الثانى . **فأيام قرار التقسيم كانت فلسطين أرضاً وسكاناً للفلسطينيين العرب ، إذ لم يملك اليهود أكثر من ٦٪ من الأرض ولم يتجاوز عددهم ٣٠٪ من السكان** غالبيتهم العظمى وفدت للبلاد عشية وأثناء الحرب العالمية الثانية هرباً من القمع الهتلرى ، فى حين أن الأمر مختلف الآن بعد سقوط فلسطين بأكملها فى قبضة الاحتلال ، وتحول الفلسطينيين إلى أقلية قومية.

ليس هنالك من فلسطينى لايحتضن حلمه الوطنى ، ولكن لايجوز لهذا الحلم أن يقف عائقاً أمام استرجاع بعض الأرض بحجة ضآلة حجمها قياساً بحجم الحلم.

شعبنا الذى رفض التقسيم فى حينه كان على صواب من ناحية وطنية لأنه نما وترعرع على أرض الوطن الذى لم يعرف له وطناً غيره ، إلى أن جاءت الغزوة الصهيونية تشاركه فيه تم تنفرد به.

وأحزابنا الشيوعية العربية كانت بدورها أيضاً على صواب من ناحية سياسية ، لأنها أخذت فى الاعتبار حجم المؤامرة واختلال موازين القوى.

شعبنا كان يريد الوطن بالكامل ، وأحزابنا كانت تخشى فقدانه بالكامل . ولكن أحدهما فقط ، كان ذا نفع للقضية كما أثبتت الأحداث.

وكذلك الأمر فى رفض أوسلو أو قبوله ، فالرافضون والقابلون كلاهما على صواب لانطلاقهما من اجتهاد وطنى يظنونه الأفضل ، إلا أن أحد الفريقين فقط ذو نفع للقضية إذا استعاد أرضاً وأقام دولة ، وحقق بذلك مانص عليه البرنامج المرحلى فى" إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة على الأرض التى ينحسر عنها ظل الاحتلال الإسرائيلى".

إن قبول اتفاق أوسلو الذى يُنعت من قبل خصومه بالتفريط والاستسلام والتنازل ، هو - بالضبط - للحيلولة دون التفريط والتنازل عندما تستعاد بعض الأرض ويسترجع بعض الحق وتقام دولة تحفظ للشعب هويته وترسخ أقدامه على أرضه .

بل لعل موقف الرفض - بالذات - هو التنازل الفعلى حتى لو لم يمهر بالختم والتوقيع ، عندما يترفع أصحابه عن استرجاع الأرض بحجة ضآلتها ، ويتعففون عن إقامة الدولة بحجة ضعفها.

مدريد - أوسلو - واى ريفر

لقد دللت الأحداث منذ مدريد وحتى واى ريفر ، بأن **اتفاق أوسلو - على قباحته وهزال مردوده - مقارنة بالحق الفلسطينى الكامل ، كان فى صالح شعب فلسطين** خاصة فى ظروف مابعد حرب الخليج الثانية ، وتفكك التضامن العربى بعد اصطفاف حفر الباطن ، وتفرد الولايات المتحدة باعادة ترتيب أوضاع المنطقة بعد انهيار الاتحاد السوفيتى حليف العرب وصديقهم.

فلقد أتاح اتفاق أوسلو للصراع أن يجرى على الأرض الفلسطينية وليس من وراء الحدود ، وأن يتم مع م.ت.ف ممثلاً شرعياً للشعب الفلسطينى وليس مع سكان محليين أو منظمة ارهابيين ، وبأن تكون صيغة" **الأرض مقابل السلام"** هى جوهر الحل باعتبار الأرض محور الصراع.

ومهما قيل فى نواقص هذا الاتفاق وثغراته وعيوبه التى لاتحصى ، فان ذلك كله لايقلل من أهمية حقيقة واحدة ، هى أن **الاتفاق أعاد الهوية لشعب كان يخطط لطمسه ، واعترف بحق كاد يطويه التقادم والنسيان ، وأعاد أرضاً هى الأغلى على قلب الفلسطينى.**

وتتضح هذه الحقيقة من ردة الفعل الغاضبة لدى اليمين الإسرائيلى الذى لم يتورع عن اغتيال رئيس وزرائه **رابين** وإسقاط حكومة خليفته **بيريس** والاتيان بغلاة الصهاينة والتوراتيين للحكم من جراء إبرام هذا الاتفاق.

لقد حاول الليكود مافى وسعه لإجهاض الاتفاق وإفراغه من محتواه فلم يستطع . وعندما اضطر للتوقيع - بنفسه - على اتفاق الخليل وفيما بعد على **بروتوكول واى ريفر** ، اصطدم بعدم قدرته - وعدم رغبته - فى مواصلة التنفيذ ، الأمر الذى خلق مأزقاً أدى إلى حل الكنيست والدعوة لانتخابات مبكرة تشير كل الدلائل إلى أنها الأكثر سخونة والأشد حدة فى التاريخ الإسرائيلى ، نظراً لثقل الموضوع الفلسطينى الذى لم يعد هامشياً فى الفكر الإسرائيلى بعد أن فرض نفسه عليه واحتل جزءاً كبيراً من اهتمامه.

بين كامب ديفيد وأوسلو

من بين جملة الأسباب التى ساعدت على النظرة السلبية لاتفاق أوسلو هو ارتباطه فى الذهن العربى باتفاق **كامب ديفيد** وماجره على العالم العربى من تداعيات . ولكن الفرق شاسع بين اتفاقين قد يتشابهان فى

الشكل ويندرجان تحت نفس عنوان " المسيرة السلمية" إلا أنهما يختلفان فى المضمون.

وعلى رغم أن اتفاقية كامب ديفيد قد أعادت لمصر كامل الأرض المصرية ، واتفاق أوسلو لم يعد الا النزر اليسير من الأرض الفلسطينية ، فان مكاسب إسرائيل من الاتفاق الأول تفوق كثيراً مكاسب مصر ، فى حين أن مكاسبها فى الاتفاق الثانى تقل بكثير عن مكاسب الفلسطينيين.

ففى اتفاق كانب ديفيد هدفت إسرائيل إلى إخراج مصر من الصراع العربى - الإسرائيلى والتأثير على ميزان القوى العربى عسكرياً ومعنوياً لما لمصر من مكانة وزعامة ، وجعلت من صحراء سيناء أرضاً عازلة ومرصودة بالانذارات المبكرة مما يجعل منها حماية جغرافية لإسرائيل.

كما أن **أنور السادات** الذى أقدم على توقيع الاتفاق فأثار العالم العربى وأخرج مصر من الجامعة العربية كما أخرجها - إلى حين - عن زعامتها التقليدية للعالم العربى ، كان غير **جمال عبد الناصر** الذى قادت مصر فى عهده الأمة العربية على طريق التحرر ومقاومة الاستعمار . **وهكذا كان اتفاق كامب ديفيد اختراقاً إسرائيلياً للجبهة العربية وطعنه موجهة للنضال العربى ، ولهذا لم يكن صدفة أنه استقبل فى إسرائيل بالترحاب ومشاعر الانتصار.**

فى حين أن اتفاق أوسلو لاقى معارضة إسرائيلية شديدة وقوبل بالسخط والتنديد من نصف المجتمع الإسرائيلى ، لما قدمه من مكاسب للشعب الفلسطينى تمثلت فى استعادة أجزاء من الأرض واعتراف بمنظمة التحرير.

أن " الكرم" الإسرائيلى الذى تبدى فى الانسحاب من سيناء وتدمير مستعمرات **ياميت** ، يقابله تعنت شرس وتمنع من الانسحاب من الأرض الفلسطينية ، بل وفى تجنب استخدام تعبير " الانسحاب" والاستعاضة عنه بـ" إعادة الانتشار" وكأنه إعادة تموضع عسكرى داخل حدود الكيان نفسه . ففى المفهوم الصهيونى تعتبر الأراضى الفلسطينية فى الضفة والقطاع أرضاً إسرائيلية محررة، والتنازل عنها تنازل عن جزء من إسرائيل ، بل يذهب البعض فى إسرائيل فى الغلو والمبالغة إلى حد اعتباره تخلياً عن إسرائيل ويبدأ فى العد التنازلى لانهيار الكيان الإسرائيلى من جراء هذا الاتفاق.

لا سيناء تشكل جوهر الصراع المصرى - الإسرائيلى والنزاع العربى - الإسرائيلى ولا الجولان أو جنوب لبنان أو حتى الأراضى الأردنية التى كثيراً ماتعتبر فى الأدبيات الصهيونية أرضاً إسرائيلية (للأردن ضفتان ، الأولى لنا ،.. والثانية لنا) . **ان مايشكل جوهر الصراع هى الأرض الفلسطينية تحديداً لارتباطها فى الذهن الإسرائيلى بمملكة إسرائيل وأرض الميعاد** . فعندما يشترط اتفاق أوسلو إعادة الأرض لأصحابها فانه يقتطعها من" أرض إسرائيل".

بالمفهوم الصهيونى والتوراتى ، ويعيدها لشعب طالما جرى تجاهله وإنكار وجوده.

صحيح أن اتفاق أوسلو لم يلب حتى الحدود الدنيا من الحق الفلسطينى، وأنه إذا ماقورن بالحق المطلق والطموح القومى فانه يهبط إلى مستوى الخيانة الوطنية ، ولكن الأمور لاتقاس دائماً بما كان أفضل ، وإنما بما سيكون أسوأ . وفى ظروف الاتفاق وانكفاء الأوضاع رأساً على عقب فى منطقتنا ومنطقة أصدقائنا وحلفائنا الدوليين ، فان الاتفاق كان قارب النجاة للقضية الفلسطينية ، وهذا مايفسر غضب اليمين الإسرائيلى الذى ماأن استلم الحكم حتى عمل على التنصل منه بالتحايل والمماطلة واختراع الشروط.

هذه الفروقات التى تميز اتفاق أوسلو عن اتفاقية كامب ديفيد مع مصر ، وعن اتفاقية وادى عربة مع الأردن ، لم تؤخذ بعين الاعتبار ولم يولها أحد اهتمامه الجدى . فموقف الرفض الصحيح من كامب ديفيد والخلفية التى حكمته ، انسحبت تلقائياً - وبدون وجه حق - على اتفاق أوسلو . والموقف من اتفاق وادى عربة الذى اتسم بالريبة والشكوك بسبب من النظام الأردنى ارتبط بشكل من الأشكال بالموقف من اتفاق أوسلو . وهكذا اعتبرت الاتفاقات جميعها من نفس الطينة ووضعت ثلاثتها فى سلة واحدة.

الخصوصية الفلسطينية

لقد جرى تنفيذ الاتفاقية على المسارين المصرى والأردنى بيسر وسهولة ودونما عقبات ، فى حين يواجه الاتفاق على المسار الفلسطينى صعوبات وعثرات جمة كادت أن تودى به إلى طريق مسدود أكثر من مرة.

وتواجه السلطة الفلسطينية عقبات وعراقيل تضعها أمامها سلطات الاحتلال من جهة ، أو تنشأ من تلقاء ذاتها بحكم صعوبة الأوضاع وقلة الخبرة من جهة أخرى.

وهذا كله ينعكس سلباً على الاتفاق وعلى السلطة الفلسطينية التى قامت بموجبه ، فيتأثر أداؤها وترتبك أعمالها خاصة فى ظروف انعدام الخبرة والتجربة وغياب المؤسسات الموروثة والبنى التحتية وكل مايمكن أن ترثه الدولة الناشئة بالعادة من الوضع القديم.

فالسلطة ، على عكس كل الدول التى تنشأ وترث جهاز دولة متطوراً واقتصاداً قائماً ، تواجه وضعاً مأساوياً خلفته سنوات الاحتلال ، وتصارع عدواً لازال يتصرف بعقلية قوات الاحتلال ، وتصارع - مع هذا - ومن نقطة الصفر ، لخلق وطن وتأسيس كيان.

لقد حفلت السنوات الخمس من عمر الاتفاق بصعوبات لاحصر لها ، ولكنها - من جهة أخرى - من تدشين بداية مرحلة جديدة تتسم باستعادة الأرض بدل فقدانها ، وبالعودة إليها بدل هجرانها ، وبترسيخ أقدام الشعب الفلسطينى عليها ، فى إطار حكم ذاتى مؤقت يتطور لدولة مستقلة لأول مرة فى تاريخ هذا الشعب .

هذه الحقيقة التى فرضت نفسها على نطاق واسع فى أوروبا واليابان وأمريكا ، ناهيك عن روسيا والصين المؤيدتين أصلاً - وبحماس - للحق الفلسطينى والعربى ، قد فرضت نفسها أيضاً على المجتمع الإسرائيلى إلى حد أن أثارت فى داخله العواصف ، وباتت قضية يومية ومادة انتخابية وجزءا من الحياة السياسية ، وانفكت عقدة الدولة الفلسطينية عند الإسرائيليين وأصبحت تحظى بتأييد أوسع بكثير مما مضى .

وماكان لهذا أن يتولد وينشأ لولا اتفاق أوسلو الذى انبثق سراً من وراء ظهر مؤتمر مدريد ، وكان تجاوزاً له وخطوة متقدمه عليه ، لأنه كرس أهم نقطة تجاهلتها جلسات مدريد ومباحثات الكوريدور فى واشنطن ، وهى هوية الوفد الفلسطينى المفاوض برئاسة منظمة التحرير وهو أمر له دلالته الكبرى آنذاك. **ومع هذا فان اتفاق أوسلو يجب أن يقيم لا من حيث مايبدأ به ، بل بما سينتهى إليه لأنه مجرد إطار مبادئ انتقالى** . فاذا ماانتهى باسترداد أرض وإقامة دولة ، فقد نجح ، لأنه بذلك يكون قد حقق الحلقة المركزية فى نضال الشعب الفلسطينى ، وأنجز الهدف الرئيسى فى البرنامج المرحلى المقر عام ١٩٧٤ فى الدورة الرابعة عشرة للمجلس الوطنى الفلسطينى المنعقد فى القاهرة والموافق عليه بالإجماع.

وهذا ماهو مأمول به، فى ظل التفاعلات البالغة الأهمية فى الساحة الإسرائيلية أى الساحة الأهم فى معادلة الصراع الفلسطينى - الإسرائيلى.



الأردن .. والعراق
هل يبقى الاقتصاد على ماأفسدته السياسة

رسالة عمــــان

صلاح يوسف

من الواضح أن الضربات الجوية التى وجهتها القوات الأمريكية والبريطانية للعراق قد دفعت بغداد إلى إعادة النظر فى تعاملها مع بعض الدول العربية ، ولكن فى صورة سلبية ، فعادت إلى شن الهجمات الإعلامية على عدد من هذه الدول العربية وغير العربية ، بمن فيها دول اتخذت مواقف يمكن وصفها على الأقل بكونها غير عدائية تجاه العراق ، ليس فى أزمته الأخيرة فقط بل وفى الأزمات السابقة . وخص العراق مصر والمملكة العربية السعودية بهجمات إعلامية شرسة بعد توقف دام نحو ثمانى سنوات عجاف بالتمام والكمال يؤرخ لها بحرب الخليج المدمرة.

وبالرغم من أن الأردن لم يسلم من هجوم عراقى جاء مرة على لسان السيد طارق عزيز ، نائب رئيس الوزراء العراقى فى مقال بين سلسلة من المقالات استهدفت عددا من الدول العربية ، ومرة أخرى على شكل احتجاج عراقى بث بالصوت والصورة خلال اجتماع البرلمانيين العرب فى عمان بعد توقف الضربات الجوية على العراق ، فان العلاقات الأردنية العراقية حافظت ، وإلى حد كبير ، على ثباتها ، فهى علاقة خاصة بمقاييس عديدة.

ومن اللافت للنظر أن ثبات العلاقات الأردنية العراقية جاء بالرغم من التغير الواضح فى الموقف الأردنى من النظام فى العراق عما كان عليه فى العام ١٩٩٠ عندما نشبت أزمة الخليج بعد اجتياح العراق للكويت فى صيف العام المذكور ، ففى أثناء تلك الأزمة كان الموقف الأردنى أكثر قربا من العراقى . ولاينفى ذلك أن الموقف الرسمى الأردنى المعلن كان يشدد على أن الأردن ضد غزو العراق للكويت ، وأنه مع انسحابه منها . لكن ماعدا ذلك كان يشير إلى اقتراب الموقف الأردنى من العراقى بما فى ذلك إفساح المجال واسعا أمام الجماهير العريضة ، الحزبية وغير الحزبية ، المسيسة وغير المسيسة لتنظيم المظاهرات العارمة تأييدا للعراق ، مع مايعنيه ذلك من تأييد ضمنى لاحتلال الكويت وتجاهل لغزو هذا البلد العربى واعتباره مجرد محافظة تضاف إلى محافظاته الثمانى عشرة ،وبما فى ذلك إفراد مساحة واسعة نسبيا أمام الصحافة الأردنية لتأييد العراق والهجوم ليس على الكويت فقط بل وعلى دول عربية أخرى اتخذت موقفا غير مؤيد لاحتلال العراق للكويت وكان ذلك ينطبق على وسائل الإعلام الرسمية وإن فى شكل أقل.

نتيجة كارثية

وبالطبع فان هذا الموقف جر على الأردن مايمكن اعتباره كارثة حقيقية تمثلت أساسا فى **إخراج مايقرب من ربع المليون مواطن أردنى من الكويت وبلدان خليجية أخرى كانوا يرفدون الخزينة بنحو مليارى دولار كل عام . وتحولهم إلى عالة على الاقتصاد الأردنى** الذى كان يعانى من تدهور لم يسبق له مثيل.

وليس هناك من شك فى أن خروج هؤلاء تم على خلفية الموقف السياسى الأردنى وبسببه.

ومع عودة هؤلاء دخل الأردن مئات آلاف العراقيين الذين غادروا العراق لأسباب مختلفة ، بعضهم توزع على أنحاء العالم المختلفة وبعضهم الآخر بقى فى الأردن ، وهو ماشكل عبئا إضافيا على الاقتصاد الأردنى المتداعى أساسا . وربما كانت هذه التجربة المريرة أحد أهم الأسباب التى حدت بالأردن إلى تعديل موقفه من النظام العراقى ، لكنها بالتأكيد لم تكن السبب الوحيد لذلك .

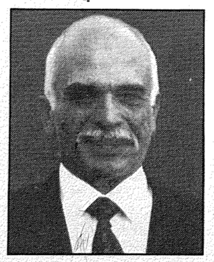
وللوقوف على مدى التغير الذى طرأ على الموقف الأردنى من العراق تكفى العودة إلى الخطاب الذى ألقاه " **ولى العهد الأردنى" الأمير حسن** فى اجتماع البرلمانيين العرب الذى عقد فى عمان فى أواخر العام الماضى بمبادرة من مجلس النواب الأردنى الذى كان اتخذ موقفا مؤيدا للعراق ومنددا بالضربات الجوية الأمريكية البريطانية له.

فى الخطاب الذى ألقاه **الأمير حسن** فى الاجتماع الذى عقد تحت شعار واضح فى فصله بين الشعب العراقى وقيادته هو **"التضامن مع شعب العراق"** أعرب الأمير حسن عن" تضامنه مع الشعب العراقى الذى تعرض للقصف العنيف وعانى موت أبنائه وبناته" وطالب بأن يتمتع الشعب العراقى بحقه فى الحرية والديمقراطية وحقوق الانسان ، قائلا" **نريد لهذا الشعب أن تبقى كرامته مرفوعة وحقوقه فى الحياة الأبية محفوظة"** .

ولم ينس **الأمير حسن** أن يشير إلى قضية الأسرى الكويتيين مطالبا باطلاق سراحهم ووضع حد لهذا الفصل الإنسانى المأسوى . وفى المقابل فان خطاب **الأمير حسن لم يضمن إدانة** " للعدوان الأمريكى" كما كان يطمح الوفد العراقى الذى كان برئاسة **سعدون حمادى** ، رئيس المجلس الوطنى العراقى الذى لم يعجبه خطاب الأمير وبخاصة ماتعلق منه بالفصل بين الشعب العراقى والنظام العراقى وقال معلقا " إن من غير الجائز الفصل بين الشعب وقيادته"

ولم يكن هذا كل شئ فقد استفزت كلمات **الأمير حسن** عن حقوق الانسان وضرورة تمتع الشعب العراقى بها أحد أعضاء الوفد العراقى ، فما أن انتهى الأمير من

الملك حسين



خطابه حتى نهض صارخا " إن الشعب العراقي ليس في حاجة لحقوق الانسان " وقاد مايشبه المظاهرة من زملائه من أعضاء الوفد العراقي الذين رددوا هتافات ضد أمريكا وحقوق الانسان فيما كان الأمير يغادر القاعة التي عقد فيها اجتماع البرلمانيين العرب.

أما الموقف العراقي الرسمي تجاه خطاب الأمير حسن فقد جاء على لسان السيد طارق عزيز ، نائب رئيس الوزراء العراقي - وهو بالمناسبة صدام حسين نفسه - والذي اتهم الأمير حسن بالتدخل في شئون العراق الداخلية مشيرا إلى أنه ، أي الأمير حسن، تصرف باعتباره وصيا على الشعب العراقي من دون أن يدين الضربات العسكرية الأمريكية البريطانية . وحول مطالبة **الأمير حسن** بالديمقراطية للشعب العراقي قال **طارق عزيز**" إن الأمير حسن نسي أنه ، حتى الديمقراطيين الحقيقيين لديهم أولويات ".

ولكي تكتمل صورة الموقف الأردني الجديد حيال العراق فان من المجدي الإشارة إلى أن خطاب **الأمير حسن** قد لقي صدى طيبا لدى الكويت التي بادرت ولأول مرة منذ حرب الخليج بارسال وزير خارجيتها **عبد العزيز الدخيل** إلى الأردن لتسليم رسالة إلى **الأمير حسن** ، في الوقت الذي وجهت فيه دعوة لوزير الخارجية الأردني السيد **عبد الإله الخطيب** لزيارة الكويت . لذا يمكن القول إن تغير الموقف الأردني من العراق في إتجاه سالب هو الوجه الآخر لتغيرها مع الكويت في اتجاه ايجابي.

تغير تدريجي

وقد كان التغير الذي طرأ على الموقف الأردني من النظام العراقي تدريجيا ، فقد بدأ منذ العام ١٩٩٢ يرسل إشارات عدم الرضى عن النظام في بغداد ، وبخاصة مايتعلق بأوضاع حقوق الانسان في العراق ، خاصة أن النظام العراقي ، وبالرغم من كل ماتقدم ، استخدم الأردن كساحة لتصفية خصومه السياسيين ، ففي العام ١٩٩٢ أقدم رجال المخابرات العراقية ، وفي وضح النهار ، على اغتيال عالم عراقي في ميدان يقع في وسط عمان الغربية غير بعيد عن وزارة الداخلية الأردنية. غير أن النقلة الأكبر في هذا الاتجاه كانت في صيف العام ١٩٩٥ حين لجأ إلى الأردن **حسين كامل** وشقيقه صدام وزوجتاهما ابنتا الرئيس العراقي **صدام حسين** وبدأ الاثنان ومن معهما يعملان ضد النظام العراقي انطلاقا من الأردن الذي وفر لهما الإمكانات لذلك .أما بقية القصة التي انتهت بعودة حسين وصدام كامل إلى العراق ومقتلهما على أيدي رجال النظام العراقي فمعروفة.

وفي نهاية العام ١٩٩٧ توترت العلاقات بين البلدين عندما أقدمت السلطات العراقية على إعدام أربعة مواطنين أردنيين اتهموا بالتهريب . لكن النظام العراقي تجاوز الأزمة حين أعفى عن المحكوم بالاعدام الخامس وأطلق سراح كافة السجناء الأردنيين في العراق بعد وساطة قام بها المعارض الإسلامي الأردني **ليث شبيلات**.

وبالرغم من ذلك فان العلاقات الأردنية العراقية لم تصل بين البلدين حد القطيعة فبعد أيام من الاجتماع العاصف للبرلمانيين العرب في عمان وفيما كان طارق عزيز يكتب مقالته مهاجما الأمير حسن كان وفد أردني من وزارة الطاقة يبرم في بغداد اتفاقا يزود بموجبه العراق الأردن بحاجته من النفط ومشتقاته لمدة عام كامل . وأهم من ذلك أن نصف هذا النفط مجاني والنصف الآخر يباع للأردن بأسعار خاصة تقل عن الأسعار العالمية.

وخلال فترة القصف الجوي الأمريكي البريطاني للعراق توقفت امدادات الأردن من الغاز المسال والتي يحصل عليها من العراق . فما كان من وزير الطاقة والثروة المعدنية الأردني إلا واتصل بنظيره العراقي طالبا المساعدة في حل أزمة الغاز المسال التي عاني منها الأردن خلال أيام القصف ومابعدها . وهذا ماحدث فعلا.

إن الأردن والعراق وبالرغم من الاختلافات والخلافات بينهما لايملكان ترف إعلان الخصومة.

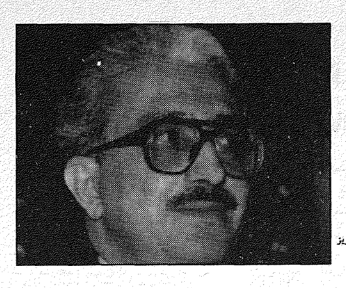
فان كانت المواقف السياسية لهما مختلفة فان اشتباك علاقاتهما الاقتصادية ، وهو اشتباك مضى عليه نحو عشرين عاما، جعلت كلا منهما مرتبطا بالآخر بشكل لافكاك منه . فالعراق عدا عن أنه الشريك التجاري الأول للأردن فانه المزود الرئيسي للأردن بالنفط ومشتقاته منذ العام ١٩٨٠.

وقبل أن يبرم اتفاق النفط مقابل الغذاء مع الأمم المتحدة ، كان الجزء الأعظم من مستورداته يأتي عبر ميناء العقبة الأردني ، وهو ميناء تحول خلال سنوات الحرب العراقية الإيرانية إلى أكبر موانى البحر الأحمر وذلك كله بفضل السلع والبضائع التي كان العراق يستوردها عبر الميناء الأردني بما في ذلك العسكري منها.

وعبر السنوات العشرين الماضية تحول الأردن إلى دولة دائنة للعراق ، ويبلغ مجمل هذه الديون نحو **١ر٣ مليار دولار** . وخلال السنوات الثماني الماضية كان الأردن هو البوابة الوحيدة للعراق ونافذته الرسمية على العالم الخارجي.

إلى متى؟

ويعرف الطرفان حق المعرفة أن دخولهما في مواجهة مع بعضهما البعض يعني خسارة فادحة لكليهما ، ومن هنا كان هذا الاتفاق الضمني وغير المعلن على أن يختلفا في المواقف السياسية ويبقيا على علاقات اقتصادية جيدة بقدر الإمكان في الوقت نفسه . **وخلال السنوات الثماني الماضية صمدت هذه الصيغة ، وهي مازالت صامدة حتى الآن . ولكن السؤال هو إلى متى ؟ هل يمكن لهذه الصيغة أن تستمر في منطقة اختلط فيها كل شئ بكل شئ ؟**



طارق عزيز



توقعات التغيير فى سوريا

تنتهى ولاية الرئيس **حافظ الأسد** الحالية فى الحادى عشر من آذار -مارس المقبل ،وحسب نصوص الدستور السورى يجرى استفتاء على اختيار رئيس الجمهورية لفترة رئاسية جديدة قبل شهر على الأقل من إنتهاء الولاية ،ولمدة **سبع سنوات** . وتتم اجراءات الاستفتاء حسب الدستور أيضا بأن تختار القيادة القطرية **لحزب البعث العربى الاشتراكى المرشح للرئاسة** ، ويقر مجلس الشعب هذا الترشيح ثم يعرض على الاستفتاء الشعبى .وفى ضوء ذلك من المقرر أن يجرى الاستفتاء فى مطلع شهر شباط -فبراير.

ومع أن **النصوص الدستورية لا تلزم بتغيير الحكومة ، فإن التقليد المتبع أنها تغير بعد كل استفتاء** (ولا تحتاج الحكومة للحصول على ثقة مجلس الشعب ، ولكن له سحب الثقة منها أو من بعض أعضائها) **،ومن المتوقع أن هذا التقليد سيبقى سارى المفعول ، وأن حكومة السيد محمود الزغبى رئيس مجلس الوزراء ، ستتغير بعد الاستفتاء بمدة ليست بعيدة.**

يرى كثير من المراقبين أن الإطار العام للسياسة السورية، لن يشهد تغييرا كبيراً ، سواء فى المجال الداخلى أو الاقليمى والدولى ، ولكنهم يتوقعون تغييرات كبيرة فى القيادات السياسية والحزبية وربما غيرها ، وكذلك تغيير أساليب العمل **،من خلال تجديد القيادات وتنشيط ادارة الدولة والقطاع العام وجعلها أكثر فعالية ،وخاصة فى مجال تنفيذ الخطط ، وتطوير الخدمات ، وتشديد الرقابة ومكافحة الفساد ، بهدف إتاحة الفرصة للاستفادة من الإمكانيات الذاتية ، الاقتصادية والاجتماعية ، ومواجهة المصاعب- متعددة الجوانب- التي يلاقيها السوريون.**

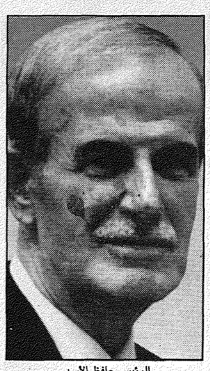
فى ضوء ذلك ، من المتوقع أن يعقد المؤتمر القطرى **لحزب البعث العربى الاشتراكى** فى النصف الأول من العام الحالى**(عقد آخر مؤتمر عام ١٩٨٥)** ، وينص النظام الداخلى لحزب البعث أن المؤتمرات العادية للحزب تناقش التقارير السياسية والاقتصادية والداخلية التى تقدمها القيادة، وتتخذ قرارات بشأنها ، كما ينتخب كل من هذه المؤتمرات لجنة مركزية وقيادة قطرية ،وعليه فإن المؤتمر المقبل **-إذ عقد- سيتخذ مثل هذه القرارات ، التى ستتركز غالبا ،حسب التوقعات ،على الأوضاع الاقتصادية والداخلية** ،باعتبار أن السياسة العربية والدولية لحزب البعث صارت مستقرة وثابتة ، وستكون القرارات المتعلقة بها تحصيل حاصل ، **أما الأوضاع الاقتصادية والداخلية الأخرى ، فستحظى بالاهتمام الأكبر ، دون أن تشكل انعطافات فى السياسات الحالية ، فمن غير المنتظر مثلا تغيير الموقف من القطاع العام الذى يتمسك به النظام حتى الآن ، ويعتبره دعامة أساسية للاقتصاد الوطنى، أو تغيير السياسات المصرفية (لا توجد بنوك أو مصارف غير بنوك الدولة فى سورية) أو المالية (سواء الضريبة أم غيرها)** ، وإنما من المتوقع اتخاذ قرارات تدعم التعاون الاقتصادى مع البلدان العربية، ومع السوق الأوروبية ، وتركز على ضرورة تجديد أساليب عمل القطاع العام، وتنظيم عمل القطاع الخاص ، والعلاقة بين القطاعين، وقبل ذلك **محاربة الفساد فى هذا القطاع** الذى صار كبيراً وزيادة انتاجيته . ثم انتخاب لجنة مركزية جديدة وقيادة قطرية جديدة، وربما كان للشباب نصيب كبير فيهما.

إذا تم انتخاب لجنة مركزية وقيادة قطرية جديدتين ، فمن المؤكد تغيير الحكومة (جرى التقليد أن يكون رئيس مجلس الوزراء عضو قيادة قطرية) خاصة وأن **حكومة السيد الزغبى شكلت عام ١٩٨٧ وما زالت حتى الآن، رغم أنه جرى عليها تعديلان جزئيان ، ولكن معظم وزرائها لم يتغيروا ، كما لم يتغير نهج عملها.** ولا شك أن الحكومة الجديدة تتحمل مسئوليات كبيرة فى مجال فساد الادارة وترهلها وتخلفها فى بعض الأحيان، وعدم استجابتها- نتيجة لذلك- لحاجات الناس، وخاصة في مجال تنفيذ السياسات الاقتصادية، والخدمية والادارية وغيرها ،حتى أصبحت -كما يرى البعض -عبئا على النظام السياسى بدلا من أن تكون عوناً له.

من التغييرات التى قد تشهدها سورية خلال هذا العام، **بعض التغييرات فى قيادات المؤسسات العسكرية والأمنية**، بسبب أن عدداً من قادة هذه المؤسسات سيحالون على التقاعد بحكم القانون، وبالتالى لابد من بدائل شابة لهم ،فى إطار السياسات والاجراءات الداخلية المحتملة.

وتواجه سورية مصاعب اقتصادية واضحة ،ناتجة عن انخفاض أسعار النفط **(يشكل الدخل من النفط أكثر من ٤٠٪ من الموازنة العامة)** ، وضعف الآداء الاقتصادى للقطاع العام ،وسوء الادارة الاقتصادية عامة، وجشع القطاع الخاص وعدم احترامه لمسئولياته تجاه الاقتصاد الوطنى ، أو التزامه بالسياسات الاقتصادية للبلاد ، ومحاولته اللف على القوانين والأنظمة ، وتهربه من الضرائب . فضلا عن بطء الادارة في مواجهة المشاكل وحلها ،وعن الفساد المستشرى فى جسمها ،وهذه من المهام الأساسية التى سوف توكل إلى الحكومة الجديدة.

على أية حال ، ومهما كان حجم التغييرات المتوقعة ، فإن سورية مقبلة خلال السنة الحالية على وقفة مع الذات، وتقويم الادارة والسياسات ، واتخاذ اجراءات جديدة ، بهدف الاستفادة من امكانياتها كلها لمواجهة الظروف المحلية والدولية المحيطة بها.


الرئيس حافظ الأسد

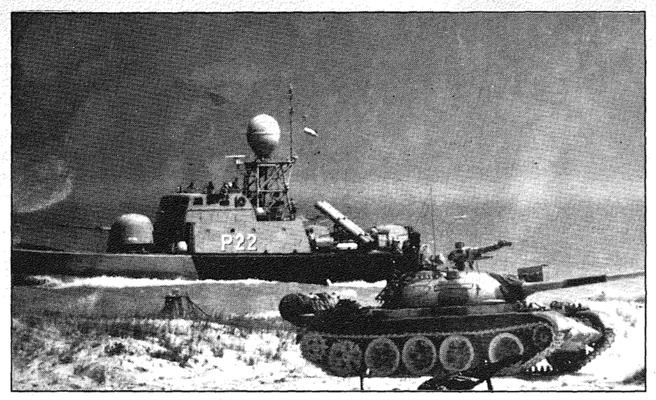
رسالة دمشق

حسين العوادات



لماذا الزيادة الهائلة فى ميزانية البنتاجون؟

تمويل حروب أمريكا المقبلة فى العالم الثالث



رسالة واشنطن

سمير كرم

عندما كانت الولايات المتحدة فى أسوأ أحوالها الاقتصادية ، وكان العجز فى ميزانيتها (بين الايرادات والنفقات) يتجاوز **٢٥٠ مليار دولار** ، وكان العجز التجارى (بين الصادرات والواردات) يربو على **٤٠ مليار دولار** .. كان الوجه الأوحد للانفاق من ميزانية الحكومة الاتحادية الذى يزيد ولا يمكن أن ينقص هو الانفاق العسكرى.

هكذا كان الحال حتى حينما بلغت أزمة الاقتصاد الأمريكى حد الركود فى سنوات رئاسة **رونالد ريجان** الأولى (١٩٨١-١٩٨٥) وقتها بلغت الميزانية العسكرية أقصى ارتفاع لها . وكانت ذريعة المدافعين عن زيادتهم الانفاق العسكرى -خارج إطار الحديث عن خطر «**امبراطورية -الشر**» السوفياتية- **هو أن النفقات العسكرية بطبيعتها «تخدم الاقتصاد وتخلق فرص عمل للأمريكيين. ولم ينقطع تبرير زيادة الميزانية العسكرية بهذه الحجة حتى حينما كان واضحا أنها لم تنجح في خلق وظائف جديدة . أو حتى خفض معدل البطالة.**

وهكذا كان الحال بعد أن أنهارت «**امبراطورية الشر**» تحت وطأة الانفاق العسكرى أكثر من أى سبب آخر. وبقى التبرير القائل بأهمية الصناعات الحربية للاقتصاد الأمريكى ولرخاء الأمريكيين .. فضلا عن ضرورة الاستمرار فى حالة التفوق الاستراتيجى أمام أخطار أخرى مثل **العراق وكوريا الشمالية وإيران** .. والارهاب الدولى وعصابات تهريب المخدرات.

والآن وقد أتاحت ظروف جديدة للاقتصاد الأمريكى أن ينتعش وللميزانية الأمريكية أن تحقق **فائضا قدر فى السنة المالية الحالية بنحو ٩٥ مليار دولار** لا يعود من المنطقى أن يتوقع الأمريكيون أن يرضى العسكريون من قادة «**البنتاجون**» وحلفاؤهم فى قطاع الصناعات الحربية بأى حديث من الادارة أو من «**الكونجرس**» عن خفض الانفاق العسكرى لأى سبب ..حتى لو كان ، استتباب الهيمنة الأمريكية وغياب أى خطر ذى طبيعة استراتيجية على الأمن القومى الأمريكى.

لكن هل يتوقع أحد أن يطلب العسكريون زيادة فى الميزانية العسكرية تبتلع كل الفائض

المالى الذى تحقق فى الميزانية الاتحادية لأول مرة منذ عقد الخمسينيات؟.

وهل يتوقع أحد أن يلبى هذا الطلب الرئيس **كلينتون** وهو الذى انتخب فى المرة الأولى عام ١٩٩٢ والثانية عام ١٩٩٦ ،على أساس برنامج يدعو للاهتمام بالجوانب الاجتماعية واللحاق بالدول الصناعية الأخرى بعد تخلف طويل ومحرج فى مجالات التأمينات الاجتماعية والرعاية الصحية والتربية .. إلخ؟.

ليست كل ما يتوقعه الأمريكيون على أساس المنطق والتفكير السليم والأمانى التى يطول انتظارهم لها طويلا هو ما يحدث.

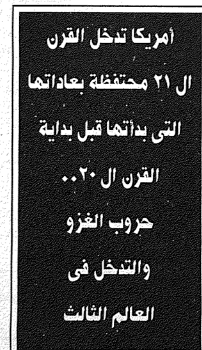
لقد حدث ما لم يكن متوقعا.

فيما اعتبر هدية رأس السنة الميلادية الجديدة من الرئيس كلينتون للمؤسسة العسكرية ، أعلن يوم ٢ يناير الماضى أنه سيطلب من الكونجرس اعتماد زيادة فى الميزانية العسكرية بقيمة ١١٠ مليارات من الدولارات خلال السنوات الست التالية ، وزيادة فى ميزانية السنة المالية المقبلة (التى تبدأ فى أول سبتمبر ١٩٩٩) بقيمة ١٢ مليار دولار.

وهكذا أنهى **كلينتون** فى لحظة نحو عشر سنوات من سياسة الخفض التدريجى للانفاق العسكرى .. ليبدأ فترة طويلة يزداد فيها هذا الانفاق سنويا بصورة ثابتة، دون سؤال عن الدواعى وحتى عما إذا كانت هناك حاجات فعلية «دفاعية» تلزم الولايات المتحدة بمواصلة الانفاق على آلتها الحربية بهذه الصورة وخاصة لانتاج أجيال جديدة من الأسلحة . وصحيح أن ذلك الخفض التدريجى كان بنسبة ضئيلة تراوحت سنويا بين ٢ بالمائة و٣ بالمائة فقط ، ولكنه كان استجابة -ولو رمزية -لضغوط رأى عام كان ينتظر الكثير من وراء نهاية الحرب الباردة، **كان ينتظر أن يحصل على « أرباح أسهم السلام» بعد أن ظل يدفع عن أسهم الحرب بصورة متواصلة منذ بدايات القرن الحالى.**

لكن توقيت قرار كلينتون بزيادة الميزانية العسكرية أولا بقيمة **١٢ مليار دولار** للسنة المالية المقبلة ثم بقيمة **١١٠ مليارات** من الدولارات تقسم على السنوات الست التالية ينبغى أن لا تخفى دلاته على أحد. فقد أعلن هذا القرار بعد أيام من تناقل الحديث عن النفقات التى تكبدتها الولايات المتحدة فى السنوات الأخيرة بسبب أزمتها مع العراق .. فقد تكبدت مليارات الدولارات لحشد أساطيلها البحرية والجوية فى منطقة الخليج . ثم تكبدت مليارات أخرى بوضعها فى حالة تأهب كامل . ومزيدا من المليارات لاستخدامها فى ضرب عشرات الأهداف العراقية (كل صاروخ أمريكى من طراز **«توماهوك»** يكلف **«البنتاجون»** أكثر من مليون دولار).

لقد أضفى استخدام القوة العسكرية ضد العراق ، وابقاء التهديد باستخدامها مرة أخرى وثالثة ورابعة اذا اقتضت الضرورة ،جوا ملائما لقرار زيادة الميزانية العسكرية ، وجوا أكثر ملاءمة لردع المطالبين بخفض الانفاق العسكرى.



ولكن الحقيقة التى يعلمها صانعو السياسة الأمريكية ،هى أن هذه الزيادة الكبيرة فى الميزانية العسكرية ستذهب فى معظمها إلى المجال نفسه الذى يبتلع معظم الانفاق العسكرى الأمريكى ، وهو انتاج الأسلحة الجديدة بما يستلزمه من نفقات للأبحاث والتطوير ونفقات للاختبارات والتجارب قبل أن تبدأ النفقات الأكبر للانتاج . إنها الظاهرة التى يعتبرها المناهضون للانفاق العسكرى الباهظ ، ومنهم جنرالات متقاعدون وعلماء وأكاديميون وسياسيون **«شغف القادة العسكريين الأمريكيين بالأسلحة الجديدة .. شغف الأطفال باللعب التى تلفت أنظارهم فى المجلات ولا يستطيعون مقاومة الرغبة فى الحصول عليها .. مهما تراكمت عندهم أنواع اللعب الأخرى** (..).

مع ذلك لم نسمع أحدا يقول إن **كلينتون** وصل إلى مرحلة من صراعه مع خصومه الداخليين تستوجب -من وجهة نظره على الأقل -أن يرضى الجنرالات باعطائهم كل ما يلزم من نقود ليشتروا كل**«اللعب»** التى يشتهون.

ولم نسمع أحدا يقول أن استمالة العسكريين بهذه الزيادة الضخمة فى ميزانيتهم هى الطلقة الأولى فى الحملة الانتخابية القادمة للرئاسة .. حملة نائبه **البرت جور** .. أى حملة استمرار بقاء الديمقراطيين فى البيت الأبيض.

وهذا أكثر التفسيرات منطقية. ان

كلينتون بهذا القرار يستميل عددا من الشيوخ الجمهوريين والديمقراطيين الذين يرتبط مصيرهم بمصالح الصناعات الحربية فى ولاياتهم .. والذين يؤيدون على طول الخط كل برنامج لانتاج جيل جديد من الأسلحة . وربما لا يضع كلينتون عينه على الكيفية التى سيصوت بها الشيوخ معه أو ضده بعد أسابيع قليلة فى نهاية محاكمته.. لكنه لا يملك أن يتجاهل طريقة تعامل المجلس معه فى العامين الباقيين من فترة رئاسته، ولا يملك -وهذا أهم كثيرا- أن لا يضع كل جهده وراء ضمان انتخاب نائبه جور (وان لم يكن فأى مرشح ديمقراطى قوى) للرئاسة. **فالرئيس الذى سيخلف كلينتون هو الذى يملك القرار بشأن مستقبله عندما يصبح الرئيس السابق كلينتون . فهو الذى يملك اصدار عفو تام عنه ، وهو الذى يملك قرار إمداده بالحراسة الأمنية اللازمة ، والذى يملك تحديد طريقة التعامل معه على النحو الذى يخفف وطأة الفضيحة والمحاكمة على سيرته وتاريخه.**

بل الحقيقة إن قرار **كلينتون** هو حلقة -قد لا تكون الأخيرة- فى سلسلة قرارات ومواقف اتخذها تجاه العسكريين منذ توليه الرئاسة أظهرت رغبته فى التقرب إليهم وإظهار اهتمامه بشؤنهم العامة والخاصة . وهو لم يترك مناسبة ليكون فيها وسط الجنود فى الأعياد أو فى الأوقات الصعبة إلا وانتهزها : **فى البوسنة ، فى هاييتى ،فى الخليج ، وحتى فى كوريا** حيث ذهب إلى أقرب نقطة إلى المنطقة المجردة من السلاح بين كوريا الجنوبية والشمالية ،مع أنها تعد من وجهة نظر العسكريين الأمريكيين المنطقة الأخطر أمنيا فى العالم كله.

ولقد سبق قرار زيادة الميزانيات العسكرية الأمريكية للسنوات الست التالية بما قيمته **١١٠ مليارات من الدولارات بأيام قليلة قرار برفع مرتبات العسكريين الأمريكيين بمعدل لم يسبق له مثيل منذ سنوات السبعينيات** ، وهو معدل فاق ضعف العلاوة التى منحت للموظفين المدنيين فى الحكومة الاتحادية فى الوقت نفسه .

إنما يجدر بالملاحظة أن **الزيادة الضخمة التى حصل عليها «البنتاجون» لميزانياته الست التالية لا تمثل استجابة كاملة لمطالب**



كلينتون

القادة العسكريين .**فقد طالبوا الكونجرس بزيادة الميزانية العسكرية لعام ٢٠٠٠ وحده بما قيمته ٢٧ر٥ مليار دولار (جعلها كلينتون ١٢ مليارا) وطالبوا بزيادة اجمالية للسنوات الست التالية مقدارها ١٤٨ مليار دولار يجعلها كلينتون ١١٢).**

ومعنى هذا أنه لا يزال هناك مجال للشكوى من «**بيل كلينتون**» إلى خفض الميزانية العسكرية ،فلقد كان هذا هو التعبير الذى استخدموه دائما لاظهار غضبهم من قصور ميزانية كلينتون عن تلبية مطالب رؤساء الأركان.

والأهم من هذا أن الاحتمال قائم بأن يزيد الكونجرس الميزانيات العسكرية لتكون أقرب إلى الأرقام التى طالب بها رؤساء أمريكا من القوات المسلحة. والكونجرس يملك هذا . إنه صاحب القرار الأخير فى تحديد كل ما له علاقة بالمال ،والواقع أن الكونجرس لم يقطع طوال السنوات العشر الماضية عادة اعتماد ميزانية للبنتاجون تزيد عن الميزانية التى يطلبها الرئيس .. بل أحيانا ما أعتمد ميزانية فاقت ما طلبته هيئة رئاسة الأركان المشتركة(...).

ولقد أعلن البيت الأبيض -فى «**بيان حقائق**» عن قرار **كلينتون** هذا أن الزيادة فى الميزانية العسكرية ستستخدم فى تحسين حالة الاستعداد القتالى للقوات الأمريكية ، وزيادة التدريب ، وشراء مزيد من قطع الغيار ، وتوفير الأموال اللازمة لتحديث الأسلحة ..

كلينتون يعكس اتجاه الانفاق العسكرى إلى الانخفاض خلال السنوات العشر الماضية.. بمنح المؤسسة العسكرية علاوة قيمتها ١١٢ مليار دولار.

وعقب بعض القادة العسكريين فعلا بأن الزيادة «لن تكفى» (..) .

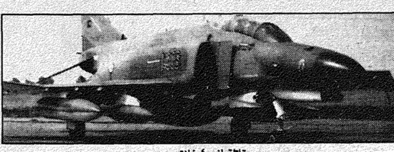
ويعيدنا هذا السؤال المطروح الآن فى الأوساط المعارضة للانفاق العسكرى الباهظ بعد أن انتهت الحرب الباردة عن مبررات هذه الزيادة الضخمة.

لقد أعلن «**مركز المعلومات الدفاعية**» -وهو أحد أبرز المعارضين للانفاق العسكرى الباهظ ويحظى باحترام فى كافة الأوساط السياسية كمركز للبحوث الدفاعية- أن الولايات المتحدة ليست بحاجة- إلى زيادة نفقاتها العسكرية لتلبية احتياجاتها الأمنية . إذ لا أخطار كبيرة على أمننا القومى، والاحتياجات الداخلية . مثل التعليم وحماية البيئة والمحافظة على القانون أكثر تعاظما وخطورة ،حتى أننا نرى أن من العدل أن نسأل الادارة والكونجرس لماذا يبحثان العودة إلى المستوى العسكرى لحقبة الحرب الباردة؟ ».

ويجيب المركز -فى مذكرة اذاعها بعد أيام من قرار **كلينتون**- إنها اللعبة السياسية إن المسئولين المنتخبين يعرفون أنهم نادرا م يفقدون أصوات الناخبين بانفاق المزيد على الشئون العسكرية .. والصناعة الدفاعية مستمرة بنجاح فى القارة بحجة «توفير الوظائف» مع أعضاء الكونجرس..».

ويقدم المركز إجابة أكثر تحديدا . فالاجابة السابقة هى الاجابة الدائمة الصالحة لكل السنوات .. ما مضى منها وما هو آت . أما بالنسبة للزيادة الجديدة للسنوات التالية فيقول «**مركز المعلومات الدفاعية**» : «ما كان يمكن للادارة ولا للبنتاجون أن يسعى لزيادة بهذه الضخامة -ولا أن يبحثها الكونجرس -لو لم يكن فائض الميزانية الذى تحقق فى العام الماضى بمبلغ ٧٣ مليار دولار ، والذى ينتظر أن يتحقق فائض أكبر منه هذا العام».

العراق .. وكوريا الشمالية المسرحان المفضلان لاستراتيجية الاستعداد لخوض حربين كبيرتين في وقت واحد.



مقاتلة اف ٤ فانتوم

ان السياق العريض الذى تدور فيه كل المناقشات بشأن الاستراتيجية العسكرية الأمريكية فى الآونة الأخيرة، سواء كانت تتناول الميزانية أو الاستعداد القتالى أو برامج الأسلحة« **هو ما يسمى باستراتيجية التهيؤ لخوض حربين كبيرتين فى مسرحين بعيدين فى وقت واحد»**. ومن الواضح أن رأى القادة العسكريين الأمريكيين فى مختلف فروع القوات المسلحة (الجيش- السلاح الجوى -البحرية- وسلاح المارينز) قد استقر على هذه الاستراتيجية كأساس لدرجة الاستعداد اللازمة للقوات المسلحة الأمريكية -وهناك مثلان منفصلان عندما يتحدث العسكريون الأمريكيون عن استراتيجية خوض حربين كبيرتين -بحجم حرب الخليج عام ١٩٩١ (التى حشدت لها الولايات المتحدة أكثر من **٥٠٠ ألف جندى وآلاف الدبابات والسفن وحاملات الجنود والصواريخ) هما مسرحان محددان : العراق وكوريا الشمالية.**

ولهذا أصبح من المسلم به عند مناقشة احتياجات الميزانية العسكرية أن تؤخذ هذه الاستراتيجية فى الاعتبار ، وأن تحسب على أساسها النفقات.

ولم يعد من المستبعد -حتى بعد أن وافق كلينتون على كل الزيادات التى ذكرناها- أن يعتمد الكونجرس ميزانية أكبر من تلك التى طالب بها رؤساء أركان القوات المسلحة عندما تحدثوا أمام لجنة القوات المسلحة فى مجلس الشيوخ فى يوم ٤ يناير (بعد يومين من اعلان كلينتون قرار الزيادة ،حيث قال الجنرال شلتون رئيس هيئة رئاسة الأركان أن الزيادة التى يطلبها البنتاجون هذه «لن تلبى كل متطلباتنا ، إلا أنها ستلبى معظم احتياجاتنا الحيوية(..).

والملاحظ أيضا أنه عندما يقرر الرئيس زيادة الميزانية العسكرية ،وعندما يقرر الكونجرس المزايدة على زيادته فيقرر ميزانية عسكرية أكبر من تلك التى تطلبها المؤسسة العسكرية نفسها فإن أحد فى الكونجرس أو فى الاعلام لا يطرح السؤال الذى يثار عادة : **من أين ستوفرون هذا المال ؟** فهذا السؤال يطرح إذا كان القرار يتعلق بمساعدة منكوبين فى الأعاصير داخل الولايات المتحدة نفسها مثلا ، أو مساعدة الفلسطينيين لجعل ابتلاع التنازلات التى تقدم لاسرائيل أسهل على قيادتهم .

ربما لا يتساءل هؤلاء-فى الكونجرس وفى الإعلام -لأن مصالحهم ترتبط بالانفاق العسكرى بصورة مباشرة أو غير مباشرة.

انما يتساءل الذين يقع عليهم الضرر مرتين: مرة لأنهم هم الذين يدفعون بضرائبهم كل زيادة في الميزانية العسكرية ،ومرة لأن زيادة الانفاق العسكرى تعنى غالبا إنقاصا للانفاق الاجتماعى الذى يحتاجون إليه فى مراحل البطالة أو المرض أو الشيخوخة.

فى السنة المالية القادمة سيتعين على دافعى الضرائب الأمريكيين أن يوفروا ميزانية عسكرية بقيمة **٢٩٦ مليار دولار.. وهو رقم يزيد على رقم الميزانية العامة لمعظم بلدان العالم** . وهو رقم يمثل نسبة **٤٩ بالمائة** من الميزانية الاتحادية الأمريكية ، وأوجه إنفاقه تتعلق أكثر ما تتعلق بحروب لا علاقة لها أبدا بالدفاع عن «الأمن الأمريكى» حروب ضد العراق أو كوريا الشمالية أو كوبا .. ثلاث دول صغيرة اذا جمعت قواتها المسلحة معا لا تتعدى جزءا ضئيلا من القوات المسلحة الأمريكية.

هل المسألة فعلا عبث ، وهوى بالأسلحة شبيه بولع الأطفال باللعب الجديدة؟.

هذا مجرد الجانب الساخر من الموضوع.

جديا .. زيادة الميزانية العسكرية الأمريكية **مؤشر بالغ الخطورة على نوايا الولايات المتحدة وخططها للهيمنة على العالم.** وهو خطر يواجه العالم الثالث أكثر مما يواجه غيره .وهى عادة أمريكا القديمة منذ نهايات القرن الماضى ،منذ أن شرعت فى الاستيلاء على البلدان التى كانت أجزاء من الامبراطورية الأسبانية بادئة بأمريكا اللاتينية **(الاسبانية قبل ذلك)** ثم الفلبين فى أقصى الشرق. ودخلت حربا ضد العالم الثالث مرحلة أخرى أعنف بعد الحرب العالمية الثانية. أولا فى حرب كوريا من **١٩٥٠ إلى ١٩٥٣ وبعد ذلك فى حرب فيتنام من ١٩٦٠ إلى ١٩٧٣.**

الهجمات الأخيرة ضد العراق خلقت الجو الملائم لاعلان الزيادة فى الميزانية العسكرية ..

لم تنقطع الولايات المتحدة عن ممارسة حروب الغزو والتدخل العسكرى فى بلدان العالم الثالث طوال القرن العشرين على امتداد أمريكا اللاتينية وآسيا وأفريقيا .. والآن فى أوروبا (ضد يوجوسلافيا السابقة). والدلائل تشير إلى أنها تتطلع إلى ممارسة العنف باستخدام قواتها المسلحة مع مطلع القرن الحادى والعشرين .. والعالم الثالث كله مسرح عملياتها تختار أولويات اهتمامها فيه.

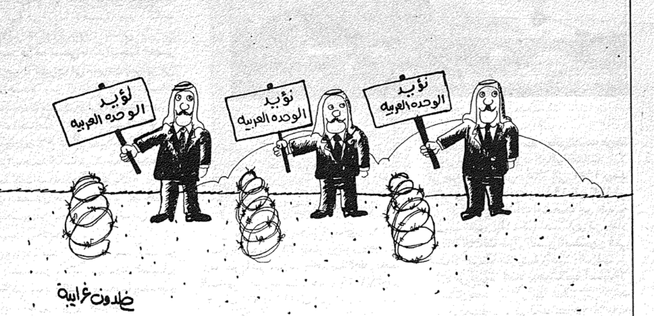
ولا تزال أولويات الاهتمام الأمريكى تتعلق بالبترول.

وما دام العراق «يجلس فوق واحد من أضخم احتياطات النفط فى باطن الأرض فى العالم» كما يصفه الخبراء الأمريكيون ،فإن معنى هذا أن يحتل مكانة متقدمة على سلم الأولويات الأمريكية .. ليس للادارة الأمريكية وحدها ، ولا للمؤسسة العسكرية (البنتاجون) وحدها ، إنما أيضا على سلم أولويات مؤسسات **إكسون وموبيل وتكساكو..الخ.**

وزيادة ميزانية البنتاجون بما قيمته ١١٠ مليارات أو حتى ١٤٠ ملياراً خلال ست سنوات لابد أن يكون استثماراً تعرف هذه المؤسسات أنها ستكسب من ورائه أضعاف أضعاف هذا الرقم.

..حتى وان لم ينطو هذا الاستثمار ومكاسبه على خير لدافعى الضرائب الأمريكيين فى شريحتهم الأكبر : **عمال أمريكا وأصحاب الدخول المحدودة فى مواقعهم المختلفة.**

.. وحتى وإن كان نصيب الولايات المتحدة من الهزائم فى العالم الثالث أكبر من نصيبها من الانتصارات - خاصة فى النصف الثانى من هذا القرن -فإن استراتيجية استخدام القوة تفرض نفسها.



نؤيد الوحده العربيه
نؤيد الوحده العربيه
لؤيد الوحده العربيه
خلدون غرايبة

نحنا اكثر بلد ديمقراطي والي مش عاجبه يبلط البحر!
بدي ابلط البحر!!
خلدون غرايبة



الطبقة العاملة فى آخر معاركها ضد الطبقة الوسطى

كنت سأبدأ موضوعى هذا بالاعراب عن مرارة الخيبة والهزيمة التى أستشعرها حين أرى ماركسيا يهوى من عليائه ليقوم بدور الحارس للطبقة الوسطى .منعنى عن هذا التساؤل الذى أراه مشروعا خاصة وأن الماركسى المعنى ينتمى أصلا لشريحة المثقفين ، الشريحة الرئيسية بين الشرائح الكثيرة للطبقى الوسطى. والتساؤل الذى يبدو غريبا وغير مقبول على الكثيرين من أهل الفكر والسياسة يقول: **هل سقوط المثقفين من بين صفوف الماركسيين يأتى تعبيرا عن تراجع فى جبهة الثورة الاشتراكية أم بسبب تقدم نوعى تحقق للثورة جراء إعادة ترتيب صفوفها وكوادرها؟؟.**

كاسترو أوحى مؤخرا بالسبب الثانى ، وثمة قرائن تدعو لتأكيد هذا رغم الهزائم البادية للعيان.

أولى هذه القرائن وأهمها هى أن الانتكاسة الكبرى التى ألمت بالثورة الاشتراكية بدءا بمركزها **الاتحاد السوفياتى** كانت النتيجة المباشرة لعجز النموذج الاشتراكى للانتاج عن التغلب على نموذج الانتاج الخاص بالطبقة الوسطى، الانتاج الفردى البرجوازى ،الذى تضاعف بمقدار ما تضاعف الانتاج الاشتراكى كما اقتضى التطور الخاص بالمجتمع الروسى .**لم ينهزم نظام الانتاج الاشتراكى أمام نظام الانتاج الرأسمالى -بل إنه كان قد تغلب عليه بسهولة فائقة -إنما انهزم أمام نظام انتاج الطبقة الوسطى وهى الطبقة الأشد عداوة من سائر الطبقات الأخرى للطبقة العاملة والوحيدة التى ساكنتها فى المجتمع السوفياتى.**

وهكذا فاننا نرى اليوم عامة المثقفين ومنهم الذين كانواماركسيين ولم يعلنوا صراحة تخليهم عن الماركسية يشنون أشد الحملات ضراوة على الماركسية واللينينية وعلى ثورة أكتوبر الاشتراكية بل وحتى على الطبقة العاملة ونموذج إنتاجها ويسخرون لأجل ذلك كل أشكال المنطق الذى حذقوا به **زاعمين بتقادم الماركسية وبلا تاريخية لينين وبفردية وطغيان ستالين وبتخلف البروليتاريا ونموذج إنتاجها** .كل هذه المزاعم وردت بصيغة أو بأخرى فيما كتب **الماركسى العتيق رفعت السعيد** حول لزوم **ستالين** فى السابق كما فى اللاحق.

لم استشعر أى مرارة وأنا أقرأ **رفعت السعيد** بل إن شيئا من السعادة تسرب إلى نفسى بعد أن تذكرت جميع مؤسسى الفكر الاشتراكى وبلا استثناء كانوا قد أكدوا مسبقا **أن شارات الانتصار النهائى للاشتراكية على الصعيد العالمى ستتمثل فى معارك شرسة ودموية تخوضها الطبقة العاملة ضد الطبقة الوسطى وطلائعها من المثقفين** .وها نحن نرى اليوم فى قارات العالم الخمس هجوم الطبقة الوسطى الكاسح على الطبقة العاملة بدعوى لم يجرؤ الرأسماليون على الادعاء بمثلها ،تقول إن العامل الحدى فى العملية الانتاجية قد غدا اليوم المعرفة وليس الشغل مثلما كان الأمر قبل الثورة التقنية المعاصرة أن تخلى مركز القيادة الذى قصرته عليها الثورة الاشتراكية كما فى التصور والترتيب الماركسى . المعرفة والتقنية تقودان الانتاج وتقود الطبقة الوسطى الثورة وتشكل النظام الاجتماعى المناسب والذى ترغب بتسميته ب **«الاشتراكية المستقبلية»** تمييزاً له عن الاشتراكية التى تنبأ بها **ماركس** والتى تخص العمال ولا تناسب الطبقات الأخرى ذوات الامتيازات .**فهل الطبقة العاملة العالمية فى وطيس آخر المعارك الحاسمة لانتصار دولى للاشتراكية؟.**

الماركسى المثقف **رفعت السعيد** وبعد أن لم يعد لديه حيلة فى الدفاع عن« **اشتراكيته المستقبلية»** التى هى النموذج الأمثل لعلاقات الانتاج التى تطمح الطبقة الوسطى لبنائها ،هذا المثقف الذى نما وترعرع فى حضون الثورة الاشتراكية يشحذ اليوم كل أسلحته ليغتال بها الماركسية . ونظراً لادراكه صعوبة المهمة يبدأ بتوجيه سهامه إلى **ستالين** محتذيا حذو الأعداء الامبرياليين الذين أدركوا مبكرا قبل **خروتشوف** أن اغتيال **ستالين** إنما هو اغتيال للاشتراكية على صعيد الواقع قبل الصعيد النظرى .لهذا السبب تحديداً كتب السيد **السعيد** متسائلا.. **«ستالين.. هل يلزمنا؟».**

يمثل هذا الاختيار لموقع المعركة ضد الاشتراكيين الماركسيين جلب **السعيد** الشبهة فى سلامة أهدافه .**فمن قال إن ستالين يلزمنا ؟ لا أحد اللهم إلا اذا اعتبر السعيد الذين يرجهون النقد إلى اشتراكيته المستقبلية منطلقين من رؤيا ماركسية لينينية مجرد ستالينين .وإذا كان ما يسمى بالستالينية عيبا ونقيصة ،كما اقتنع السعيد من الدعاية الغربية فما عساه يتعذر اذا ما كان هو نفسه**



د. رفعت السعيد

*** وجهة نظر ***

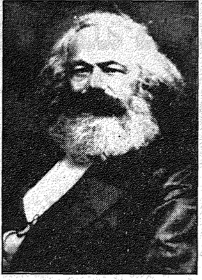
فؤاد النمرى

ستالينيا قبل منتقديه وأكثر منهم حيث تبنى مشروعاً ستالينيا صرفا واشترطه مرحله سابقة ل«الاشتراكية المستقبلية» وهو مشروع التنمية المستقلة الذى هو نسخة طبق الأصل عن المشروع المرتبط باسم ستالين وحده دون الآخرين وهو مشروع «دولة الديمقراطية الشعبية».

بعد تحرير الجيش الأحمر لبلدان أوروبا الشرقية وجد **ستالين** أن هذه البلدان متخلفة اقتصاديا واجتماعيا وليس بوسعها أن تقيم دولة «**دكتاتورية البروليتاريا**» كما الحال فى الاتحاد السوفياتى فنصح القوى الاجتماعية البارزة فى تلك البلدان فى أن تقيم دولة الديمقراطية الشعبية التى تتشكل من تحالف بين العمال والفلاحين والبرجوازية الوطنية يأخذ على عاتقه تنفيذ برنامج تنمية وطنية مستقلة مرتكزة على الذات ..**وهذا هو نفس البرنامج الذى تبناه رفعت السعيد ورفاقه فى قيادة التجمع كمرحلة سابقة لمرحلة الاشتراكية المستقبلية .فهل يعترف السعيد ورفاقه بأنهم ستالينيون** ؟؟.

قبل أن يزج بأحدهم فى زاوية الاحراج فإن الرفاق الذين عملوا على تشكيل برنامج التنمية المستقلة وتبنيه من قبل المؤتمر العام لحزب التجمع -يستحقون من التقدميين العرب خاصة أعظم التقدير .**لكن رفعت السعيد يدافع عن «الاشتراكية المستقبلية وليس عن «التنمية المستقلة»**.وادراكا منه أن هذه الاشتراكية المنسوخة عن الاشتراكية المسيحية التى خلص إليها **غورباتشوف** وعن الاشتراكية الضبابية التى تنازل عنها من غدوا يسمون أنفسهم «**الديمقراطيين الاجتماعيين**»وليس الديمقراطيين الاشتراكيين ، إدراكا منه بأن هذه الاشتراكية تقع خارج إطار الاشتراكية العلمية التى تجسد النظرية الماركسية ،فقد سارع إلى الهجوم على **ماركس** نفسه وعلى الماركسيين واللينينيين وعلى من يسميهم الستالينيين آخذا فى اعتباره أن خير وسيلة للدفاع هى الهجوم.

لنصف قرن وأنا أنقب فى كتابات **ماركس** وفيما كتب عن **ماركس** ومع ذلك لم أعثر فى كل ما نقبت فيه على قول **لماركس** أثناء لهوه مع أطفاله يقول فيه أن أحب الأطعمة إلى نفسه هو السمك وأحب ما فى المرأة هو ضعفها .**رفعت السعيد** أجهد نفسه كثيرا ليلمح ولو بالاشارة الخفية أن **ماركس** نفسه قد يقول أشياء بغير مسئولية .**ويتضح هنا قصد السيد السعيد غير البرئ .وهو يكاد يتساءل: لماذا لا يكون انتصار ماركس لديكتاتورية**



كارل ماركس

البروليتاريا مثل حبه للسمك أو للضعف فى المرأة.

يقول صراحة أن ليس على الاشتراكيين أن ينتصروا لديكتاتورية البروليتاريا كما انتصر لها ماركس طالما أنه ليس كل الاشتراكيين يحبون السمك وقد لا يوجد اشتراكيون أبدا يحبون الضعف فى المرأة. ثم يبتعد أكثر فى التشكيك بماركس بالقول إنه ..**لم يقدم لنا سوى عبارات مبهمة عن مجتمع الاشتراكية ثم وصل أخيرا لان يقر بأن ماركس كان طوباويا(؟).**

وهكذا فإن الماركسى العتيق **رفعت السعيد** وبعد عمر مديد يرتد عن الماركسية مكتشفا أنها طوباوية .الماركسية تؤكد أن الطبقات تتزول لكن **رفعت السعيد** يقول بأن الاشتراكية المستقبلية هى اشتراكية طبقية **وبما أن رفعت السعيد ليس طوباويا فلابد إذا من أن يكون ماركس طوباوياً.** جريمة **ستالين** أنه تقيد بارشاد **لينين** القائل مراراً وتكراراً .. الاشتراكية إنما هى محو الطبقات ولذلك وبه تجاوزستالين طبقة الفلاحين وضمائرالمثقفين الضمائر فقط لأنه رحل قبل أن يتجاوزهم كطبقة- لسوء حظ البشرية.

الخلل الفاضح فى خطاب الطبقة الوسطى والذى تتجاوزه ولو استخدمت من أجل ذلك كل عبقرية طلائعها من المثقفين والعلماء. **إنها تتجاهل العلاقة المباشرة بين تقسيم العمل الاجتماعى المتمثل بالتراتب الطبقى من جهة وأدوات الانتاج ومستوى تطورها من جهة أخرى.** فمن المعروف تماما أن أول ظهور للانقسام الطبقى فى المجتمعات البشرية تولد مباشرة من بؤس أدوات الانتاج ومحدوديتها .من هنا لنا أن نؤكد أن الفورة التقنية التى تتفاخر بها الطبقة الوسطى بالزعم أنها من إنتاجها ،هذه **الفورة من شأنها أن تمحى(بتعبير لينين) كل انقسام طبقى فى نهاية الأمر** على عكس ما تدعى الطبقة الوسطى من أن انتاجها من التقنية يؤسس لها حقا فى تبوء رأس الهرم الطبقى.

وبافتراض صحة دعاوى الطبقة الوسطى فى انتاج التكنولوجيا .وفى أن التكنولوجيا غدت العامل الحدى فى الانتاج وأن التكنولوجيا سترسخ الانقسام الطبقى ولا تلغيه- وجميعها دعاوى ملفقة وزائفة- بافتراض صحتها **فما عساها تكون حجة الطبقة الوسطى ومثقفيها فى تسمية مثل هذا النظام الاجتماعى المتخيل ب«الاشتراكية»؟** ثمة تقسيم اجتماعى للعمل- الفلاحة والشغل للعمال والابداع والاختراع للطبقة الوسطى، مثقفين ومهنيين فمن يشارك من فى انتاجه؟**هل ستتنازل الطبقة الوسطى عن كامل حقوقها فى الانتاج باعتبار أن مساهمتها فيه حدية ؟ وإلى أى حد ستتنازل ؟؟ ومن يضمن هذه الحدود؟ الدولة ؟؟ دولة من؟؟** الدولة الديمقراطية؟ لئن كانت الديمقراطية انعكاسا لموازين قوى الانتاج فى المجتمع فان هذه الديمقراطية المزعومة ستكون ديمقراطية الطبقة الوسطى تفصلها على مقاسها .. **أم هى دولة مرسلة من عند الله لتقيم العدل بين الناس؟.**

الاشتراكية كما فى النظرية الماركسية ليست نظاما اجتماعيا مستقرا إنما هى محو للطبقات كما ظل **لينين** يؤكد ،وإنما هى فترة انتقالية يعبرها المجتمع من النظام الرأسمالى إلى النظام الشيوعى ولا يتم العبور إلا بدولة ديكتاتورية البروليتاريا قصرا كما افترض **ماركس** بداهة .**إن تطويب الاشتراكية كنظام اجتماعى من قبل كهنة الطبقة الوسطى إنما هو تضليل لجماهير الكادحين والاجراء.**

إننا ونحن نقرأ **رفعت السعيد** يطعن فى فكر **ماركس** ومقدرته العلمية بعبارات من مثل «**ماركس لم يدرك**» و«**ماركس توهم**».. و«**ماركس المبهم**» و**ماركس الخيالى** و«**ماركس الطوباوى** .. إلخ ،فليس باستطاعتنا أن نغمض العينين فلا نرى الماركسى العتيق **رفعت السعيد** منكفيا على طريق العودة إلى الأم الذي ولدته أصلا وهى الطبقة الوسطى .ولعل رفيقنا السابق يتذكر على طريق العودة المسألة المفصلية فى النظرية الماركسية وهى«مفهوم الدولة» وكلمات **لينين** حولها- **«ولا تكاد توجد مسألة شوشها عن عمد وعن غير عمد ممثلا العلم البرجوازى والفلسفة البرجوازية والحقوق البرجوازية والاقتصاد السياسى البرجوازى والصحافة**

البرجوازية بمقدار تشويشهم لمسألة الدولة، فرأى رفيقنا المنكفي أن مساهمة منه بهذا التشويش ستكون أغلى هدية يحملها معه إلى أمه الغفورة.

وهكذا بدأ السعيد تشويشه بالادعاء أن «ديكتاتورية البروليتاريا» ربما كانت تعبيراً فلسفياً أو حتى أدبياً .ثم يعمد إلى إساءة تفسير لينين فيقول بأن .. «لينين قدم الدليل؟ على أن تعبير ديكتاتورية البروليتاريا هو تعبير أدبي محض يمكن بل يجب (؟) الاستغناء عنه كي لا يساء فهمه فيساء استخدامه».حقا إني أشفق على هؤلاء المرتدين فإنهم يفقدون المنطق حالما يرتدون وحينئذ ينطبق عليهم المثل العربي القائل: في الصيف ضيعت اللبن. **ثم هب أننا قبلنا هذا التحريف الفاضح للينين فهل يقبل الدكتور السعيد المبدأ اللينيني المعلن الذي يقرر أن الاشتراكية إنما هي محو الطبقات** ؟.

بالطبع لن يقبل لأن محو الطبقات يستحيل أن يتم على يد أي دولة أخرى غير دولة ديكتاتورية البروليتاريا.كان عليه بداية أن يشكك **بماركس** وإلا فكيف له أن يعارض ماركس الذي يقول في نقده لبرنامج (جوته) «مرحلة التحول السياسي فيما بعد الرأسمالية تتم بوساطة دولة لا يمكن إلا أن تكون ديكتاتورية البروليتاريا» . ماركس لم يقرر هذا إلا بعد أن تصور المشاق الكبرى التي سينوء بها كاهل دولة البروليتاريا» في تخليص كل أبناء البشرية من آثار الوحشية المنحدرة إليهم من أصولهم السحيقة والتي من أبسطها مصادرة ممتلكات الرأسماليين من أدوات الانتاج. **فهل يستطيع رفعت السعيد أن يخبرنا كيف سيعبر المجتمع المصري من مرحلة التنمية المستقلة وهي المرحلة المتقدمة من برنامج حزب التجمع الوحدوي حيث يشارك الرأسماليون مشاركة رئيسية في التنمية إلى المرحلة التالية وهي الاشتراكية المستقبلية التي تغيب عنها نهائيا طبقة الرأسماليين؟ وما هي الديمقراطية التي ستقذف بالرأسماليين ليس إلى خارج النظام السياسي والاجتماعي فقط بل وإلى خارج العملية الانتاجية والنظام الاقتصادي ككل؟**.الطبقات الأخرى غير الطبقة العاملة لا تدرك ولا ترغب أن تدرك فحوى الانتقال إلى الاشتراكية. بل وحتى الطبقة العاملة لا تدرك هذا إلا من خلال الدفاع عن مصالحها المباشرة وبالتالي فرض نموذج انتاجها بقوة السلطة على الطبقات الأخرى.

في رجعة الابن الضال يذبح العجل المسمن **والعجل الذي يختاره رفعت السعيد هو ثورة أكتوبر الاشتراكية والدولة السوفياتية** قبل أن يلم بها الهزال فيما بعد **ستالين**. يستل خناجره الصدئة ويطعن قائلا.. وعندما أتي السوفيتات اقتبسوا من **ماركس** وأقاموا مؤسستهم وتوجوا فوقها هذا العالم الفذ الذي هز أركان الفكر والتطبيق الرأسمالي .. وتحت تاج ماركس وبمعونته ، أو بالدقة بالتستر خلفه توجوا أنفسهم كعباقرة هم أيضا ومنحوا كل ما يقولون وما يفعلون صفة الصحة المطلقة، ويدلل على ذلك بقول لينين.. إن نظرية ماركس مطلقة القوة لأنها صحيحة تماما.

الطعنات الغادرة التي يوجهها **رفعت السعيد** من خلال هذا النص فقط إلى جسد الشيوعية والشيوعيين تتمثل في مفاهيمه الجديدة التالية:

– ماركس ليس كلي القدرة ونصوصه حمالة للخطأ وعدم الادراك والابهام والطوباوية .ومنذ البداية نسب السعيد كل هذه المثالب إلى ماركس.

–لذلك يجب ألا ينصب ماركس ملكا على المملكة السوفياتية حتى وإن كان عالماً فذا .. فلا ملك للفكر.

– لا صلة لثورة أكتوبر بالماركسية وما تتويج ماركس ملكاً فوقها إلا لاكتساب مشروعية الطغيان.


ستالين

–لم يكن لينين عبقريا ولا أي من رفاقه الآخرين.

– اقترف لينين ورفاقه تجاوزات على حقوق الشعب الروسي والشعوب الأخرى المشتركة معه.

ليعذرني رفيقي القديم **رفعت السعيد** ان مرّ في خيالي رغما عني تصوره جنديا متطوعا في جيوش **كولتشاك ودينيكين** يقاتل الجيش الأحمر بشراسة لخنق أول جمهورية وليدة للعمال ،الجمهورية السوفياتية .أعلم أن هذا قاس جدا عليه ومرفوض تماما مثلما كان مرفوضا على الماركسي العتيق **بليخانوف** حين عرض عليه الانضمام إلى أعداء الثورة وكان مثل **رفعت السعيد يعتقد أن لينين لم يكن ماركسيا بل ثوريا مغامرا يتلبس لبوس ماركس**. لربما يكتفي بأن يفعل ما فعله رفيقا **لينين كامينيف وزينوفييف**، افشاء ساعة الصفر للثورة إلى الشرطة السرية لحكومة **كيرنسكي** البرجوازية مؤملين افشال الثورة لأنهما اعتقدا أن ساعة الثورة لم تأت بعد والرفيق **رفعت** كما وضح يشاركهما هذا الاعتقاد.

ما كتب **رفعت السعيد** تحت العنوان التساؤل: .**ستالين ..هل كان لازماً.. وهل يلزمنا اليوم؟**. لا يخص **ستالين** فقط بل يتسع ليتساءل حول ثورة أكتوبر نفسها **.ولو أستبدل اسم ستالين بكلمتي (ثورة أكتوبر)**

في العنوان لما احتاج النص اطلاقا لأي تغيير أو تبديل. أما أن النص قد تعامل في معظمه مع ستالين فذلك لأن الاتحاد السوفياتي بكل ما عرف به ،كمركز للثورة العالمية وكنموذج للاشتراكية ولدولة دكتاتورية البروليتاريا وكقوى عظمى بهرت العالم بانجازاتها الكبرى الاقتصادية والثقافية والعسكرية سحقت النازية بكل جبروتها وتحاصر الامبريالية في عقر دارها ، كل ذلك كان من بناء الحزب الشيوعي البولشفي بقيادة **ستالين** .من هنا تحديدا لا يجد المرتدون على الاشتراكية والماركسية بدا من مهاجمة ستالين بكل الوسائل والحجج .ومن أجل التقدم ولو بضع بوصات في الهجوم لا يأنفون من اللجوء إلى المراوغة والمخاتلة ، يتزيون بالزي الاشتراكي الماركسي قبل أن يبدأوا الهجوم.

هل كانت ثورة أكتوبر لازمة؟؟

بامكاننا هنا أن نكتفي بكلمة صغيرة واحدة قاطعة وهي**«نعم»** على أساس عدم القبول بمبدأ محاكمة التاريخ الذي ينطوي عليه التساؤل . فالتاريخ هو من أتى بثورة أكتوبر فيكون بذلك قد أجاب على التساؤل بنعم . إلا أننا سنتجاوز هذا الحق وهذه الحقيقة من أجل أن نكشف عن النتائج القريبة والبعيدة لثورة أكتوبر والتطور النوعي الذي حققته في حياة الانسانية .

يخطئ من يظن ولو للحظة أن المجتمع الدولي المعاصر بكل ايجابياته في حياة الشعوب ليس من صناعة ثورة أكتوبر الاشتراكية.

١- كانت البشرية قبل ثورة أكتوبر. تعيش في غابة تحكمها وحوش ضارية هي الدول الامبريالية .كانت هذه الوحوش تحيل الغابة من حين لاخر إلى جحيم حقيقي أو مستنقع يغوص تحت الدماء الآدمية. **في الحرب العالمية الأولى ١٩١٤-١٩١٧ لم يبق آدمي على وجه الأرض إلا ونزف كثيرا كي تشرب هذه الوحوش العطشى للدماء.** لذلك كان« **مرسوم السلام**» أول المراسيم التي أصدرتها السلطة السوفياتية الجديدة . ومفهوم السلام الذي جاء به المرسوم لم يؤسس للسلام الوطني فقط بل أرسى أيضا قواعد السلم العالمي الأولى في التاريخ فالدولة الاشتراكية الجديدة لن تعتدي على الدول والشعوب الأخرى وسوف تعارض هذه الحروب العدوانية الاستعمارية ولن تسمح بها . **إن السلام هو المناخ المناسب لنمو المجتمعات وتقدم حياة الشعوب.**

وحين أصيب الوحش الالماني بالسعار وشرع يهاجم الشعوب ويقترف من المذابح ما لم يسبقه إليها أي وحش آخر **لم يجد من يضع حدا لسعاره ويصرعه الا الجيش الأحمر** جيش ثورة أكتوبر ولم يكن بمقدور كل الجيوش الأخرى أن تقوم بمثل هذه المأثرة الخالدة التي حالت دون تحقيق **الرايخ الهتلري** هدفه المعلن الكبير وهو استعباد البشرية لألف عام إلا الجيش الأحمر.

السؤال الذي يقطع بلزومية ثورة أكتوبر هو: **هل لو لم تكن روسيا اشتراكية كان بمقدورها مع أمريكا وبريطانيا أن تهزم وحش النازية المسعور؟** الاستراتيجيون الغربيون أولا قبل الشرقيين يجيبون بالنفي . فهل بعد هذا لعاقل أن يتساءل ،مجرد تساؤل ،عن لزومية ثورة أكتوبر؟.

مثلت ثورة أكتوبر في روسيا الانطلاقة الأولى للثورة الاشتراكية العالمية ، ثورة البروليتاريا التي كان ماركس قد تنبأ بها . وشكلت الدولة السوفياتية القيادة العامة لصراع البروليتاريا ضد كل الطبقات الأخرى على صعيد العالم كله. بعد سحق كومونة باريس عام ١٨٧١ تحقق **ماركس** من رثاثة وضعف جبهة البروليتاريا العالمية قياسا إلى جبهة القوى الرجعية والرأسمالية العريضة فكان أن بادر إلى حل الأممية الأولى عام ١٨٧٣ التي كان هو نفسه قد أقامها للقيام بالثورة العالمية المأمولة.وفي عام ١٩١٤ تحقق **لينين** من ذات الأمر حين رأى زعماء الأممية الثانية التي أنشأها انجلز عام ١٨٩١ يخونون الطبقة العاملة ويسوقونها وراء جيوش الامبرياليين في حروبهم الاستعمارية . لكن الدمار كان شاملا بسبب تلك الحرب الشاملة وطال الدمار كافة مراكز الامبريالية ذاتها وبذلك تهيأت فرصة حقيقية لقيام الطبقة العاملة وحلفائها من الفلاحين بالثورة الاشتراكية أضعف مراكز الامبريالية ، روسيا .انتصار عمال روسيا في أكتوبر ١٩١٧ وتشكيلهم أول دولة لهم في التاريخ مد عمال العالم بقوة إضافية كبيرة لم تكن لديهم من قبل الأمر الذي مكنهم من التقدم إلى مواقع متقدمة على جبهة الثورة ومنها تحقيق تحسينات ملموسة في الأجور وشروط العمل **.ولعل الهجمة الشرسة على مكاسب العمال التي بدأت بقوة حال انهيار الاتحاد السوفياتي تقوم كبرهان قاطع على ذلك** .أما أحوال العمال في الاتحاد السوفياتي نفسه، وهم يشكلون نسبة كبيرة من عمال العالم ،فالتحسن الذي طرأ عليها لم يوازه أي تحسن تحقق في العالم حتى أن الصحافة الأمريكية ذاتها أطرت الرفاه الذي ينعم به العمال السوفييات عام ١٩٣٦ ولا غرو في ذلك **فخلال عشر سنوات فقط ١٩٢٩-١٩٣٨ تضاعفت أعداد الطبقة العاملة عشر مرات وتضاعف الانتاج الوطني عشر مرات أيضا.**

٣- في الثاني والعشرين من تشرين الثاني ١٩١٩ خطب **لينين** بممثلي الأحزاب الشيوعية لشعوب المشرق الاسلامي ليقرر أمامهم.. **ترتب علينا أن نأخذ على عاتقنا كل عبء المبادرين إلى النضال العالمي ضد الامبريالية** ثم ليلاحظ أن هذا النضال «سيكون على اتصال بنضال الجمهورية السوفيتية ضد قوى الامبريالية الموحدة ثم يوضح »الثورة الاشتراكية لن تكون لا كليا ولا بصورة رئيسية عبارة عن نضال البروليتاريين الثوريين في كل بلد ضد بورجوازيتهم وأخيرا يوصيهم بأن يتبنوا قضايا شعوبهم و أن يعلنوا لها باللغة التي تفهمها أنه لا سبيل إلى التحرر غير سبيل انتصار الثورة العالمية.

في هذه المقتطفات من خطابه التاريخي أمام ممثلي شعوب البلدان التابعة والمستعمرة والتي على سائر الثوريين من وطنيين وقوميين واشتراكيين أن يتوقفوا عندها طويلا خاصة في هذا العصر ،عصر الانهيارات، **لا يتطرق لينين إلى مجرد أفكار أو مشاريع للعمل بل إلى قوانين موضوعية تحكم حركة التاريخ إلى الأمام وحتى تفكيك النظام الرأسمالي الامبريالي والقائه في متحف التاريخ** .فالثورة الاشتراكية وثورة التحرر الوطني هما ذات الثورة ضد ذات العدو وهو الرأسمالية الامبريالية. **إن التحرر الوطني والقومي والانفكاك من ربقة التبعية الاستعمارية لا يتم إلا بالاستناد إلى ثورة اشتراكية منتصرة**

هل يعترف قادة حزب التجمع .. أنهم ستالينيون؟!

على الصعيد العالمي.

لد أثبتت الحياة صحة هذه القوانين ومشروعيتها التاريخية. **فدول آسيا وأفريقيا وأمريكا اللاتينية لم تنجز استقلالها الوطني وتشكل عالما ثالثا مستقلا وغير منحاز (قانونيا) إلا بعد انتصار الاتحاد السوفياتي على ألمانيا النازية التي** كانت قد صفت أكبر امبراطوريتين استعماريتين حينذاك. ليس بمقدور أي باحث سياسي أو مؤرخ إنكار هذه الحقيقة التاريخية الكبرى حيث أن انتصارات ثورة التحرر الوطني العالمية بدأت تتوالى فقط في السنة التالية لانتهاء الحرب ١٩٤٦ ولم تتوقف قبل أن تكتمل عام ١٩٧٢ . ربع قرن كامل سمي بحق عصر التحرر الوطني.

ومرة أخرى تتأكد هذه الحقيقة حيث بعد انهيار المعسكر الاشتراكي تتدافع هذه الدول التي كانت قد قدمت التضحيات الجسام لتحقيق استقلالها ، تتدافع اليوم في دعوة الرساميل الأجنبية للعودة إلى بلدانها بعد أن كانت قد طردتها بالقوة قبلئذ ببضع سنوات ،كما أنها لا تتوانى عن الدخول في منظمة التجارة العالمية والانصياع إلى متطلباتها الجائرة ، ثم مستقبل العولة القهرية بابتسامة باهتة تنم عن الخيبة.

فهل بعد كل هذا تبلغ الوقاحة بأي من مثقفي الطبقة الوسطى ليتساءل عن لزومية ثورة أكتوبر؟.

ستالين .. هل كان لازما؟

لم يطرح علينا **رفعت السعيد** هذا التساؤل إلا لأنه كان قد غدا بفعل الاعلام الامبريالي لغزا سيكولوجيا .وهذا بحد ذاته يستدعي أول ما يستدعي الاشتباه والحذر وليس الاجابة السريعة بالنفي التي توقعها بالتأكيد **رفعت السعيد** من الذين يقرأون مشروحاته حول التساؤل قبل الذين لا يقرأونها. **الإعلام الغربي انتهج نهج جوبلز في هذه المسألة تحديداً- اكذب ثم اكذب حتى يصدقك الناس- حتى صدق الناس الصورة المشوهة التي قدمها لستالين،** صورة مدير مسلخ بشري صفي كما آخر رواية خمسين مليونا من البشر -جريمة تتعدى كل تصور ولا يبررها حتى فردوس حقيقي كان سيبنيه ستالين على الأرض.

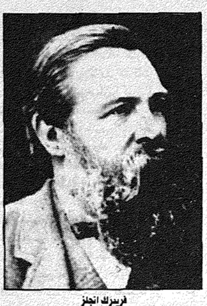
لو كان ستالين على هذه الصورة جزاراً مستهيناً بحياة البشر لما كان شيوعيا أصلا، شيوعيا عنيدا في الدفاع عن الناس المسحوقين والمستغلين الذين يعيشون على هامش الحياة . رجل كرس كل حياته بكل دقائقها للانتصار للطبقة العاملة والذود عن مشروع لينين في بناء الاشتراكية وإنجاز الثورة العالمية، لا يمكن أن يختزن في أعماقه إلا تكريم الانسان من حيث هو إنسان قبل كل شئ .لأنه كان كذلك لم يجد بدا من استخدام كل الحزم في الدفاع عن الجمهورية السوفياتية الوليد كأول دولة للعمال في التاريخ في وسط غابة ظلماء، تحكمها وحوش الرأسمالية الضارية.

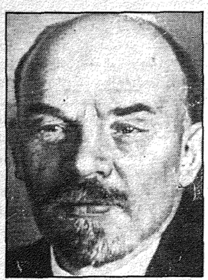
القاضي **رفعت السعيد** وقد تكفل بالعدالة في محاكمته **لستالين** يرى أن صعوبة هذه المهمة ، حماية الجمهورية السوفياتية الوليد ، لم تستوجب بالضرورة كل ذلك الحذر الشديد والشك المفرط اللذين طبعا قيادة **ستالين** لتنفيذها حتى وان تعلق الأمر بحماية مستقبل البشرية جمعاء . ويلوم **ستالين** على مطالبته كوادر الحزب باليقظة والشك حتى في الذين لا تظهر عليهم علائم الريب ويتخفون وراء مظاهر الاخلاص للثورة. **وقائع الأيام لم تسعف قاضينا العادل وتزكي عدالته** .فكل الحذر والشك موضوعي الملامة والادانة لم يكفيا ستالين لاكتشاف **لافرنتي بيريا** وزير الداخلية ومسئول أمن الدولة، وقد كان الرجل الثاني في الحزب والدولة والموكل إليها تصفية عدد منهم وأظنها بل أجزم أنها نجحت في حالة موت **ستالين** المفاجئ والمشبوه -كل يقظته الثورية لم تسعفه في المحافظة على حياته هو بالذات(؟).

بل ثمة ما هو أبلغ من كل هذا بكثير وينسف هذه الادانة من أساسها .فكل التقارير الواردة **لستالين** من الخارج خلال الأسابيع الثلاثة الأولى من شهر حزيران ١٩٤١ كانت تحذر من انتهاك **هتلر** لمعاهدة عدم الاعتداء المعقودة مع الاتحاد السوفياتي ومن أنه سيشن قريبا عدوانا واسعا على الاتحاد السوفيتي. لكن **ستالين** كان يرى الا تأخذه الشكوك بعيدا لاقتراف خطأ مصيري يعرض مستقبل الثورة للخطر وقاوم هذه الشكوك حتى عندما وردته برقية الملحق الصحفي الألماني في سفارة **هتلر في طوكيو ، زورغه،** تحدد له ساعة الصفر للعدوان .**مقاومة ستالين للشكوك هنا قادته لاقتراف الخطأ الكبير الذي خشي اقتراف مثيله جراء المبالغة بالشكوك .وهكذا عندما فاجأه العدوان النازي فجر ٢٢ حزيران ١٩٤١ وجد نفسه حقيقا بالعزل وربما بالمحاكمة لولا اصرار جميع رفاقه في القيادة على أنه ما زال رغم جسامة الخطأ أفضل من يقود البلاد.**

مقاومة **ستالين** للشك اللازم في نوايا **هتلر** كانت السبب المؤكد للأزمة التي بدأت تتشكل منذ بداية النصف الثاني من هذا القرن واستفحلت لتمسك بخناق العالم في نهايته.

خروتشوف الجاهل بالفباء الماركسية اللينية ومن باب خيانة رفاقته **لستالين** حاول تطهير **بوخارين وكامينيف وزينوفييف** من عار الخيانة الذي وصموا به مثلما اليوم **رفعت**


فريدرك انجلز


لينين

السعيد وشكل لأجل ذلك لجنة من الاخصائيين تقوم بدراسة ملفات محاكماتهم بكامل تفاصيلها إلا أن **اللجنة لسوء حظ السعيد وخروتشوف وسائر المرتدين عن الماركسية لم تجد أي ثغرة مهما كانت ضيقة تنفذ من خلالها تبرئة هؤلاء الخونة.**

القاضي الليبرالي (**العادل رفعت السعيد**) تذكر **بوخارين** الذي عارض البرنامج الزراعي للحزب ١٩٢٩ ، البرنامج الذي كان **لينين** يطمح لتحقيقه بهدف التخلص نهائيا من الانتاج البرجوازي البضاعي للفلاحين ، ولم يتذكر كبار البلاشفة الأربعة الذين طردهم **خروتشوف** وعصابته من المكتب السياسي ومن الحزب عام ١٩٥٧ وهم **مالنكوف ومولوتوف وبولغانين وكاغانوفتش** بحجة معارضتهم لبرنامجه الزراعي مع أن الفارق

بين الحالتين أن برنامج ١٩٢٩ شكل نقلة نوعية لا غنى عنها فى البناء الاشتراكى ونتج عن برنامج خروتشوف ١٩٥٧ كارثة حقيقية للاقتصاد السوفياتى باعتراف ذات العصابة التى تبنته ، وأن **بوخارين** كان قد شكل عصابة عملياتية لتعطيل البرنامج بينما **مالنكوف** ورفاقه لم يقوموا بأى اجراء عملى ضد برنامج **خروتشوف** .**فأين عدالتكم المزعومة أيها القاضى العادل؟؟.**

استلم **ستالين** قيادة الثورة الاشتراكية العالمية عام ١٩٢٢ حين

كانت الثورة بالكاد تثبت اقدامها فى الجمهورية السوفياتية المحاصرة من جميع الجهات وحين كان شعبها ،كما وصف **لينين** ،يبيت على الطوى . ورحل عن هذا العالم والثورة الاشتراكية تبنى نفسها فى العالم وتفيض قوة وعنفواناً لتفجر ثورة التحرر الوطنى وتسحق قوى الرأسمالية الامبريالية فى ثلثه الثانى وتحاصر قوى الثورة فلول الرأسمالية فى مراكز رئيسية من الثلث الثالث . **لو كان ستالين نصف إله ، أوامره املاءات لا تناقش ولا ترد لما استطاع أن يحقق كل هذا ثم اننا** هنا نتحدث عن ثورة وليس عن فتوحات عسكرية ،والثورة فعل ذاتى تماما لا ينطلق إلا تعبيرا عن الحرية **فكيف لعاقل أن يزعم أن ثورة عالمية تستهدف تحرير الانسان من كل استغلال وتسلط تنمو وتتقدم وتحقق كل هذه الانتصارات المذهلة فى ثلاثين عاما فقط بفعل دكتاتور فرد متسلط وقاتل ولا يرحم؟**

إنهم يريدوننا أن نعبد **ستالين** رغما عنا مع أننا نعلم تماما أن أى قائد **ماركسى لينينى** ذكى ويقظ، يكرس كل حياته لقضية البروليتاريا الثورة الاشتراكية ،كان سيحقق كل ذلك ولربما أكثر منه .**غورباتشوف وبعدائه الصريح لستالين لم يوافق على تفسير رفعت السعيد لما يسمى تزويرا بـ الظاهرة الستالينية**. فهو يزعم فى كتابه «**البريسترويكا**» أن النجاحات المذهلة التى تحققت فى عهد ستالين والتى أهمها برأيه إعادة اعمار ما هدمته الحرب بفترة قياسية إنما كانت بسبب إيمان الشعب الروسى الراسخ بالحلم (الطوباوى) الكبير فى العدالة والحرية والمساواة المطلقة الذى صوره البلاشفة الأوائل وعلى رأسهم **ستالين** . هذا التفسير الصحيح فى أحد جانبيه لا ينطوى على أى معنى من معانى التعسف والطغيان بل على العكس هو الصحيح إذ أن **فعل الايمان بحد ذاته ينبع أساسا من ارادة حرة.**

أما ما يشترك فيه رفعت السعيد مع غورباتشوف فهو تشكيكهما فى النتائج المتحققة حيث توصل غورباتشو وقبل انتخابه لاشغال مركز لينين في الحزب والدولة إلى (حقيقة) أن مشروع لينين الذى تجسد بثورة أكتوبر وبناء الاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى إنما كان مجرد أضغاث أحلام- ورغم ذلك انتخبه أقرانه ؟- أما رفعت السعيد فقد اكتشف مؤخرا -بعد الانهيار فقط- أن البناء بالرغم من كل صروحه الشامخة كان مصطنعا وغير قابل للحياة لأن من بناه لم يكن ديمقراطيا (!) ويرهن على اكتشافه بانهيار الناصرية(!).

- ثمة مغالطات ذكية يصعب دحضها أما مثل هذه المغالطة فلا تمتلك أسباب الوقوف. قال لنا **السعيد** بصراحة أن **ستالينية ستالين** نجحت نجاحاً منقطع النظير أما ستالينية **خروتشوف ، بريجينيف وغورباتشوف** فقد فشلت فشلا ذريعا لأنها ستالينية وحسب -من يصدق مثل هذه النظرية ؟ لا أحد البتة ، ليس لأنها لا تمتلك بناء النظرية فقط بل أيضا لأن هؤلاء الخلفاء الثلاثة أعلنوا جهارا نهارا دون تردد استنكارهم للستالينية وكان **خروتشوف** قد رفع عقيرته عاليا عام ١٩٥٦ يشرع الديمقراطية فقيدة **السعيد** وأخيرا أضاف **غورباتشوف** الشفافية ضمانة الديمقراطية . لكن السعيد يريدنا أن نصدق (أنها عنزة حتى ولو طارت).

إذا ما عكس **رفعت السعيد** مفهومه البرجوازى للديمقراطية ليصبح مفهوما ماركسيا أى أن الديمقراطية هى ديكتاتورية الطبقة المطلقة حينئذ فقط تقف نظريته بقوة وثبات على قدميها . فمنذ أن أغتال **خروتشوف** وعصابته ديكتاتورية البروليتاريا وأسقطها بموافقة الهيئة العامة لما كان يسمى بالحزب الشيوعى السوفياتى عام ١٩٥٩ منذ تلك اللحظة بدأت علائم الانهيار تظهر فى بناء الاشتراكية-إننا هنا نعتمد على الوقائع وليس التنظيرات كما فعل **السعيد** .فالبرنامج الزراعى لعام ١٩٥٧ انتهى إلى كارثة عام ١٩٦١ وخطة التنمية السباعية- أول خطة ليست خماسية -فشلت فشلا ذريعا ولم تحقق أهدافها وان وكان ذلك أول فشل يسجل للخطط التنموية . هذا عدا الانتكاسات السياسية التى توالت فى كوبا وفى العراق وفى مصر ١٩٦٧ وفى تشيكوسلوفاكيا وأخيرا فى أفغانستان حيث انهزم الاتحاد السوفياتى قاهر النازية أمام عصابات من المتخلفين تؤجرهم المخابرات الأمريكية.

كانت الديمقراطية الاشتراكية أو ديكتاتورية البروليتاريا العنوان الأكبر لمختلف المؤسسات السوفياتية خلال فترة قيادة ستالين للحزب والدولة وفي منتصف الخمسينات نقض هذا العنوان ليحل محله (ديمقراطية) هجينة لا هى بالاشتراكية ولا هى بالبرجوازية المعروفة بل(ديمقراطية) من نوع جديد هى ديكتاتورية الطبقة الوسطى .انكار الكتاب البرجوازيين للحقائق الكبيرة لن يعود عليهم إلا بفقدان المصداقية . فالحرب الشاملة هى أصعب اختبار يدخله مجتمع ما والمجتمع السوفياتى دخل أشرس حروب العالم قاطبة وخرج منها بنجاح مذهل وبعد كل هذا يأتى **غورباتشوف ورفعت السعيد** ليزعما أن هذا المجتمع كان مجتمعا مصطنعا ،من صناعة خيال بادعاء غورباتشوف أو البطش بادعاء **السعيد.**

هذان الشيوعيان القديمان يخالفان جميع الاستراتيجيين الغربين الذين يعترفون بملء أفواههم أن الحرب ما كانت لتحسم لصالح الحلفاء - الاتحاد السوفياتى والولايات المتحدة وبريطانيا -لو لم يكن النظام السوفياتى نظاما اشتراكيا بكل معنى الكلمة- وبالمناسبة فان هذا يؤكد وجهة النظر القائلة بأن **انهيار الاشتراكية كان بسبب الأعداء الداخليين أى عداء قسم كبير من الأحزاب الشيوعية للشيوعية.**الاشتراكية كانت منغرسة عميقا جذورها فى التربة السوفياتية وليس بمقدور أحد نزعها من هناك لذلك نرى اليوم الهاوية السحيقة التى تجرالطبقة الوسطى المجتمع الروسى اليها.

العلاقات الدولية القائمة الآن هى إنتاج ثورة أكتوبر وتطوراتها .وليس من شك في أن **تراجع وانهيار الثورة الاشتراكية قد أدي إلى كل الكوارث والتشوهات الغريبة التى نشهدها اليوم فى مختلف الجهات فى العالم** وفى مجتمعات بشرية متباينة كالانقسامات التى تميز الطبقة الوسطى عن غيرها من الطبقات وتتمظهر في حروب عرقية وطائفية وثقافية كالارهاب والأصولية والمجاعات والأزمات الاقتصادية وانحسار الانتاج السلعى وتراجع الطبقات العاملة واضطراب تقسيم العمل وتلوث البيئة وتفشى الأوبئة والمخدرات والجريمة والنخاسة والرذيلة وغيرها كثير.

يجب ألا يدهش المرء بأناس مثل **رفعت السعيد** يجدون أنفسهم بحاجة ماسة لشن هجوم عنيف علي **ستالين** رغم انقضاء نصف قرن غنى بالأحداث علي رحيله .**فستالين هو أولا وأخيرا التجسيد الحى الكامل لكل السياسات التى طرحها لينين أمام الثورة والذى غدا بذلك رمز نجاح الثورة، ثورة البروليتاريا ،الثورة الاشتراكية العالمية** .لا غرو إذا أن يتبارى كتاب البرجوازية ، البرجوازية التى يجن جنونها كلما ذكر الغاء تقسيم العمل ومحو الطبقات أن يتباروا فى ذم ستالين وتصويره بأبشع الصور التى يمكن لمخيلاتهم المريضة أن تتخيلها .

ولو كان **ستالين** مجرد دكتاتور طاغية لما

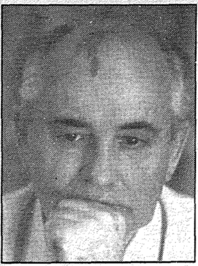
احتاج أن يذكره أحد كما هو حال الطغاة .

ولنا في الهجوم الأخير **لرفعت السعيد** مثال على هذا .**فرفعت السعيد ورفاقه في حزب التجمع الوحدوي ابتنوا لحزبهم حديثا اشتراكية مستقبلية وقد واجه بناؤهم هذا لدى عرضه هجوما واسعا من قبل الماركسيين اللينينيين في مصر وحين لم يبق في جعبة السعيد ما يرد به عمد إلى تفجير لغم بهم يقضي عليهم ويسكتهم مرة واحدة وإلى الأبد وليس أفضل من لغم «الستالينية» عالي التقنية من الصناعة الغربية لاحداث مثل هذا التدمير الفكري** . المؤسف بل المؤلم في هذا الأمر أن رفيقنا المناضل القديم يعلم ما يفعل تماما وهو لذلك تعمق فيما وراء ستالين ليستخف **بماركس وبلينين.**

للحاقدين على **ستالين** أسباب متباينة في الظاهر لكنها تنطلق جميعها من نقطة واحدة وحيدة وهي نجاحه الخارق في توظيف كل القدرات الكامنة في الشعوب السوفياتية في بناء الاشتراكية وبأقرب الطرق وأسهلها . وأي استعراض شامل لهذه الأسباب يوضح ذلك أيما إيضاح.

أولا: تصفية تروتسكي والمجموعات الفوضوية .فقد شكل هؤلاء بعد رحيل لينين عقبة كأداء أمام برامج تطوير الدولة والاقتصاد السوفياتي الاشتراكي واهتموا فقط بنقل الثورة إلى ما وراء الحدود بهدف القضاء على الرأسمالية العالمية مرة واحدة وإلى الأبد وكل ذلك لتحقيق شعار **الثورة الدائمة** ، شعار **تروتسكي** الأثير . لكن **لينين** كان قد اتخذ موقفا حازما لمنع مثل هذه المغامرة الخطرة مما رتب على **ستالين** النضال المستميت حتى تمكن من إقصائهم من الحزب ثم من البلاد فقط عام ١٩٢٧ .فكان أن تلقف الاستعمار **تروتسكي** وجماعته من الفوضويين واستخدمهم بفعالية في الدعاية ضد الثورة الاشتراكية وخطها اللينيني .وما زال التروتسكيون يؤدون هذا الدور.

ثانيا: تقطعت نياط قلوب الامبرياليين وعملائهم شفقة على الفلاحين السوفيات من آثار الثورة الزراعية ٢٩-١٩٣١ التي يصورونها بمصادرة الأراضي وباعدامات ونفي إلى سيبريا وبمجاعات وبأهوال شتى .حقيقة الأمر أن الثورة الزراعية كانت عكس ذلك تماما .ففي البلدان الرأسمالية المتقدمة كانت المصارف والشركات الكبرى قد استولت على أراضي الفلاحين دون مقابل (مقابل فوائدالقروض المتراكمة) وحولت بذلك الانتاج الفلاحي البرجوازي الصغير إلى انتاج كبير على الطريق الرأسمالية وهو النموذج الأنسب لتحويله إلى إنتاج اشتراكي. ما جرى في الاتحاد السوفياتي هو تجميع الفلاحين في تعاونيه كيما ينتجوا انتاجا كبيرا وقد تضمن


جورباتشوف

ذلك تعويم ملكية الفلاحين لأراضيهم وليس مصادرتها كما حدث في الدول الرأسمالية . **أما الحديث حول مجاعات مزعومة كابدها الفلاحون السوفيات وتدني مستوى الانتاج الزراعي فإنما هو حديث إفك إذ أن شعوب أوروبا الغربية كانت تتغذى على القمح الروسي في تلك الحقبة ٣٠-١٩٤٠** .مشروع الثورة الزراعية هذا كان الخطوة الاشتراكية غير القابلة للرجوع عنها ولذلك كانت على الدوام منطلق اعداء الاشتراكية في الهجوم الشرس على ستالين.

ثالثا: برنامج التصنيع الكثيف ٢٩-١٩٣٨ في الخطة الخمسية الأولى والثانية كان خطوة حاسمة في بناء الاشتراكية ولدى اعلان الخطة الأولى كتب **تشرتشل** في إحدى الصحف اللندنية حول الخطة متحديا يقول .. لو استطاع هذا الحالم في الكرملين(**ستالين**) تحقيق برنامجه المعلن في الوقت المحدد لصرت شيوعيا مثله . تحقق البرنامج في ثلاث سنوات وبضعة أشهر فقط وبدل أن يصير **تشرتشل** شيوعيا صار أكثر حقداً على الاشتراكية وعلى الاتحاد السوفياتي. **البناء الذي أعلاه العمال السوفيات خلال هذه السنوات العشر هو تحديدا ما حمى الانسانية قاطبة من غول الهتلرية** ، ويأتي اليوم **رفعت السعيد** ليدين ستالين بتجاوز (ضمائر المثقفين) في عملية التصنيع(؟؟) الناس اعتادوا أن يهاجموا رئيسا ما لأنه لم يصنع بلده أما **أن يهاجم رئيس لأنه صنع بلاده فهذا أمر عجب.**

رابعا: الانتصار السوفياتي الرائع على المانيا النازية هذا الانتصار الذي كان محط اعجاب وتقدير سائر بني البشر بمن فيهم أرباب النظام الرأسمالي الامبريالي من مثل **روزفلت** الرئيس الأعظم للولايات المتحدة الأمريكية والملك **جورج السادس** ملك بريطانيا العظمى وحتى **تشرتشل** فارس الامبريالية الأعظم ومع ذلك لم يسلم هذا الانتصار العظيم والمأثرة التاريخية الخالدة من التشوية بادعاءات وتخرصات شتى همها القدح في شخص **ستالين** . فمنهم من يدعى أن **ستالين** كسب الحرب بالتضحية بحياة العسكريين والمدنيين السوفيات والتي مبعثها الاستخفاف بحياة الأفراد ويتساءلون عن أهمية تحرير وارسو من الألمان الذي كلف الجيش الأحمر نصف مليون جندي وضابط .هؤلاء الغيورون على أرواح السوفياتيين والذين يريدون كسب أوحش الحروب بدون تقديم تضحيات، هؤلاء هم أنفسهم أو من ذات طينه الذين يتهمون **ستالين** بأنه تآمر على البولنديين وتلكأ في تحرير وارسو وتقديم التضحيات اللازمة من أجل وارسو الحرة الجميلة .

وثمة **مأجورون آخرون يعارضون رفاقهم ويقسمون غليظا أن ستالين رغب في توقيع صلح ذليل مع هتلر** .لعل هؤلاء من المنجمين فعلموا ما لم يعلمه رفاق **ستالين** في القيادة العسكرية والحزبية. وخان هؤلاء روح التحدي التي دفعت بستالين إلى القول في خطابه الاحتفالي بثورة أكتوبر عام ١٩٤١ وكان الألمان قد بلغوا أقرب نقطة إلى موسكو .. **«لقد أرادها حرباً تدميرية ،فليتلق إذا**. فهل يشي مثل هذا التحدي الكبير بأي روح ذليلة أو مهادنة للطغيان؟؟.

خامسا: أما الذين يتباكون على الديمقراطية والتعددية ولا يرتون من شتم ستالين صباح مساء فإن الواجب يقتضيهم أن يشتموا أنفسهم أولا لأنهم لم ينتصروا للديمقراطية والتعددية حال قيام ثورة أكتوبر حين جيش كبار الملاك والنبلاء والرأسماليون والكومبرادور وحتى الجمهوريون والديمقراطيون الشعبيون جيشوا جيوشهم وانقضوا على الثورة الوليد يفتكون بها، بل وصلت بهم الخيانة لاستدعاء قوات أجنبية من أربع عشرة بلدا بكامل عددها وعتادها تبيد فيالق العمال والفلاحين الذين ربطوا مصيرهم بالثورة ودافعوا عنها حتى النهاية.**كل مرحلة الديمقراطية والتعددية اختصرها هؤلاء الخونة في أربع سنوات مريرة طافحة بالدماء وبالقتل وبالجوع وبالتشريد امتدت منذ قيام الثورة ١٩١٧ إلى ١٩٢١** . لم تسمح كل الطبقات والفئات المعادية للعمال والفلاحين لأي ديمقراطية إلا لديمقراطية السيف والمدفع التي أتت على آخرهم .فهل كان على العمال والفلاحين الروس أن يستوردوا طبقات معارضة لهم من خارج الحدود كما فعل الخونة واستوردوا قوات أجنبية كيلا يسبهم الندابون البكاؤون على الديمقراطية والتعددية ؟؟ أم أن هؤلاء غيورون على يسر تطور الاشتراكية؟ لئن كان هذا **هو هدفهم فان** التنمية الاشتراكية التي تحققت في ظل ديكتاتورية البروليتاريا

١٩٢١ -١٩٥٣ لم يسبق ولم يلحق لها نظير فى التاريخ رغم كل الدمار المروع الذى ألحقه الجنون الهتلرى بالاتحاد السوفياتى.

أحد مساوئ التاريخ المفجعة هو أن وراء كل عظيم صغير ولمقتضى الاستمرارية يترتب على الصغير أن يتعاظم ليتناسب مع سلفه . ولما كان ذلك متعذراً فان الصغير لا يجد حيلة إلاأن يلجأ إلى غير العظيم بكل وسيلة. حدث هذا مرتين فى تاريخ الثورة الاشتراكية العالمية انعكستا بنكستين خطيرتين حملتا الثورة قرناً أو أكثر إلى الخلف .**الأولى عندما خلف ستالين خروتشوف ١٩٥٤ ،والثانية عندما خلف عبد الناصر أنور السادات ١٩٧٠ خروتشوف والسادات لم يكونا صغيرين فقط بل ومنافقين أيضا ،فخروتشوف كان يخاطب ستالين .. أنت معلمى ومثالى والسادات كان يقدم ناصر للجماهير.. هذا زعيمى وزعيمكم** ،كما كان خائنين فالأول اغتال معلمه بعد سنتين من رحيله والثانى اغتال زعيمه بعد أقل من سنة .ففى أكتوبر ١٩٥٦ قال **خروتشوف** أن ستالين كان يمارس طقوس العبادة الفردية ،وفى يوليو ١٩٧١ قال السادات عن عبد الناصر .. **الراجل مات الله يرحمه** فكما لو أن عبد الناصر لم يترك لمصر إلا الرزايا لكن شهامة السادات تقتضيه مسامحة **عبد الناصر** وطلب الرحمه لروحه- بهكذا خسة يغتال الصغار الكبار.

إن أى مكلف باغتيال **ستالين** يمكنه أن يختار اغتياله، بعد دراسة كل أعماله ودقائق حياته ،من كل الجهات إلا من جهة طقوس عبادة الفرد . لكن خروتشوف المعروف بالمزارع الأوكرانى الغبى اختار هذه الجهة كيما يقول للسوفياتيين أن عبادتهم لستالين منافية للأخلاق الشيوعية وهذا صحيح- هكذا قال أبو بكر للمسلمين بعد موت النبى من كان يعبد محمدا فإن محمدا قد مات ومن كان يعبد الله فإن الله حى لا يموت -ليس من واقعة تشى بأن ستالين كان يمارس طقوس العبادة الفردية باستثناء احترامه غير المحدود الذى وصل حد العبادة للينين واللينينية وقد شكل هذا محور حياته كلها ومكنه من احراز نجاحات كبرى لم يحلم بمثلها غيره من قادة الانسانية.**لكن أحدا يمارس هذه العبادة لا يطلب ولا يجوز له أن يطلب أن يكون موضع عبادة الآخرين.**

المقابلة الصحفية الوحيدة التى قبل **ستالين** اجراءها خلال حياته كلهابعد إلحاح شديد من أحد الكتاب المشهورين عام ١٩٥١ حين كانت قوته الشخصية تترك آثارا عميقة على مجمل الأوضاع الدولية ، أجاب **ستالين** على أحد الأسئلة بأن **أقصى ما يطمع إليه أن يكون تلميذا نجيبا للينين** . ولدى استفسار الصحفى عن مدى ما تحقق من هذا الطموح أجاب ستالين ..ما زلت مجرد نقطة صغيرة فى محيط اللينينية العظيم -روح التواضع الجم المتجسدة فى هذه الأقوال والانكار الكلى للذات لا يمكن أن يتصف بهما إلا مناضل بروليتارى قصر كل اهتماماته على تحرير البروليتاريا بالثورة الاشتراكية العالمية ، مشروع **كل من ماركس ولينين.**

لم تكن تصريحات **ستالين** هذه مجرد أقوال تطلق فى الهواء بقصد الدعاية والتضليل بل كانت أفعالا على الأرض فبعد **رحيل لينين** واستلامه رئاسة الدولة والحزب أصدر أوامره بأن لا تستبدل صورة لينين فى مكاتب ودوائر الدولة الرسمية بصورته ولا حتى أن تعلق صورته بجانب صورة لينين.**قاد ستالين الاتحاد السوفياتى لأكثر من ثلاثين عاما دون أن تعلق صورته رسميا فى الدوائر ومات هو نفسه وليس فوق مكتبه سوى صورة لينين** -أليس في هذا ما يكفى لأن يخرس كل الألسنة التى تحدثت وتتحدث عن ممارسة ستالين لطقوس العبادة الفردية؟.

وفى ذات السياق لابد أن يتذكر المرء **ستالين** فى القطار متجهاً إلى برلين أواخر يوليو ١٩٤٥ يملى أمره لجوكوف قائد القوات السوفياتية التى احتلت برلين طالبا اليه عدم تنظيم أى استقبال له فى المحطة لدى وصوله . إن أحدا غير ستالين لا يمكن أن يملى أو حتى يفكر بإملاء مثل هذا الأمرا وأن اقتحام الجيش الأحمر لبرلين وسحق **هتلر** فى وكره كان أعظم انتصار عسكرى سجله التاريخ وأسماها لخير البشرية جمعاء . لم يرغب ستالين أن يكرر الصورة النمطية ، صورة الفاتح المنتصر يدخل عاصمة البلد المقهور بكل ضوضاء كبرياء المنتصر ونشوة الانتصار فقد كان يشارك الشعب الألمانى الشعور بمرارة وعمق المأساة التى جرّ المانيا إليها هتلر.لقد أفصح عن شعوره هذا إلى رفاقه الألمان كما عبر عنه فى محادثاته مع **ترومان وتشرتشل** فى بوتسدام موضحا لهما **أنه لم يأت إليهما لتقاسم الغنائم كما قد يفهما بل لتكريس حق الشعب الألمانى فى حياة حرة وديمقراطية رغم كل ما جرى.**

وعندما قطع المحادثات وعاد إلى موسكو ليحتفل مع قادة الحزب والدولة بالانتصار العظيم وهتف جميع المحتفلين-مرحى للرفيق ستالين المنتصر الأعظم «مرتين متتاليتين قاطعهما ستالين فى كل مرة ليصحح أن الشعب الروسى الروسى وليس السوفياتى- هو المنتصر الأعظم وليس ستالين (تصوروا مدى فرديته)؟ ثم حالا طلب من سائر الحضور مشاركته فى شرب نخب الشعب الروسى- صانع الانتصار مؤكدا على هذا المعنى . **إن تعصبه للقومية الروسية كان محل توجس من لينين علماً بأنه لم يكن روسيا بل جيورجيا وهو دلالة قاطعة خصيلة إنكار الذات.**لقد أخذ عن لينين قناعته بأن منظومة القيم لدى الشعب الروسى هى الأقرب إلى القيم الشيوعية.

لم يقم **ستالين** حياة عائلية على خلاف عامة القادة التاريخيين .كان طلائعيو الطبقة العاملة هم عائلته ولما تيقنت زوجته من هذا الأمر انتحرت كيداً له . وعندما وقع ابنه الكابتن الطيار فى الأسر اغتنم الألمان الفرصة وعرضوا مبادلته بضابط المانى برتبة جنرال . رفض ستالين توقيع أمر المبادلة لمخالفته النظام المتفق عليه وهو مبادلة العسكرى بعسكرى يوازيه بالرتبة. كان ستالين يعلم تماما أن رفضه توقيع أمر المبادلة كان يعنى التضحية بابنه وفعلا كان ذلك.

سخر **رفعت السعيد** من(غرور) **ستالين** ،كما هزئ بقدرته وأهليته فى تعليم الشيوعيين ، وأى شيوعيين ؟ شيوعيى العالم الثالث .لنقارن بين غرور **ستالين** وتواضع **رفعت السعيد** .كان أقصى ما يطمح إليه ستالين هو أن يصير تلميذا نجيبا للينين وكان يبدأ خطبه عادة بالقول : علمنا لينين إذ قال.. أما أخونا رفعت السعيد فانه يخجل من أن يكون ستالين معلما له(؟) **فهل المسافة بين رفعت السعيد ولينين ،على الصعيد النظرى ،أقصر من المسافة بين ستالين ولينين.**

هنا ليس لنا إلا أن نترك الاجابة لرفيقنا **رفعت** فهو الأقدر منا عليها دون شك. لقد شاءت الاقدار العادلة أو غير العادلة أن يكون ستالين في مركز قيادة الثورة الاشتراكية العالمية وبذلك على الأقل يستحق أن يوجه قوى الثورة إلى أهدافها فان اقتنعت هذه القوى بسلامة التوجيه فذلك خير وبركة وإن لم تقتنع فلها أن تتجه حيثما تشاء. وهنا على أن أعترف بكل أمانة: أننى لم أتعلم من كتاب واحد كما تعلمت من كتاب **ستالين** «القضايا الاقتصادية للاشتراكية فى الاتحاد السوفياتى: وأملى بالمقابل من رفعت السعيد أن يعترف بكل أمانة فى أن التنمية المستقلة التى تبناها حزب التجمع بذكاء وبعد نظر وإخلاص تام لجماهير الشعب إنما هى ذات الديمقراطية الشعبية نموذج الدولة الذى صاغه ستالين للبلدان المتخلفة بحال انفكاكها من ربقة التبعية والاستعمار.

وأخيرا لا يجب أن تفجأنا كراهية الطبقة الوسطى **لستالين** التى لا تقل ، إن لم تزد ، عن كراهية سيئة الذكر الرأسمالية الامبريالية.

أخيرا تحدث **هنرى كسينجر** أحد ساسة اليمين والامبريالية المخضرمين فضم صوته إلى أصوات القوميين واليساريين فى المجتمعات النامية على وجه الخصوص الذين ظلوا لفترة طويلة يحاولون دون جدوى لفت الأنظار إلى التكلفة الاجتماعية الباهظة والأخطار السياسية والاقتصادية المتوقعة من اتباع روشتة صندوق النقد الدولى التى أصبحت معلبة (Canned) توصف لشفاء كل الأمراض الاقتصادية فى كل مكان ، ألا وهى.. المزيد من التقشف ، المزيد من فتح الاسواق ، المزيد من التحرر من قيود حركة الأموال والبضائع والمزيد من حرية آليات السوق والخصخصة.

وقد كان ضجيج «الصهللة» على حد تعبير «آلان جرنيسبان» يطغى على أصوات الحكمة والاتزان ويغرقها.

وبالرغم من أن صوت **كيسنجر** قد علا الآن- ليس تضامنا مع الاقتصاديات الناشئة وشفقة على شعوبها التى تعصرها الأزمة بل لأن تلك **الأزمة «وقد أصبحت الآن تهدد العالم الصناعى نفسه»**،على حد تعبيره -بالرغم من ذلك فإن أهمية **هذا المقال -إلى جانب توجهات صاحبه السياسية ترجع إلى كونه تحليلا شاملا ودقيقا للوضع الخطير الذى يسود حركة أسواق العملة والأوراق المالية فى ظل العولمة والذى وصفه بول سامولسون مؤخرا بقوله«إننا جميعا فى نفس القارب ،ولكن ليس هناك أحد على الدفة!».**

ورغم أن **كسينجر** قد سبقه آخرون مثل **جون كينيث جالبريث** إلى المطالبة بإنشاء هيئة دولية للرقابة على حركة رؤوس الأموال فى وقت أصبحت التمويلات الدولية **اليومية** تزيد كثيرا على تريلبون (**مليون مليون**) دولار ، ١٠٪ منها فقط لتمويل نشاط التجارة الدولية والباقى للمضاربة فى العملة وأسواق المال، بالرغم من ذلك فإن مقال **كسينجر** جدير جدا بالاهتمام والدراسة.

محمود الشاذلى

علاج صندوق النقد الدولى يحدث ضررا أكثر من نفعه

هنرى كيسنجر

المشكلة التى بدأت منذ ١٥ شهراً فى شكل أزمة عمله فى تايلاند ، ثم انتشرت عبر آسيا قد أصبحت الآن تهدد العالم الصناعى، فى حين لم تستطع أى حكومة أو خبير اقتصادى أن يتنبأ مسبقا ، أو يتفهم مداها أو توقع قدرتها على البقاء والاستمرار. ولم تستطع سلسلة من إجراءات الانقاذ من صندوق النقد الدولى إيقاف انتشارها بل أصبحت تهدد المؤسسات السياسية التى قامت بتطبيقها. **ففى أندونيسيا تم قلب نظام حاكم ملوث بالمحسوبية ،أما فى البرازيل فقد أصبحت الأزمة تهدد ما يعتبر أكثر الحكومات توجها للاصلاح هناك منذ عقود.**لا زالت رأسمالية السوق الحر أكثر الآليات فاعلية للنمو الاقتصادى ولرفع مستوى معيشة معظم المواطنين. ولكن ..كما أن الرأسمالية الجانحة التى تتسم بعدم المسئولية ،والتى كان من شأنها أن ساعدت على ميلاد الماركسية فى القرن التاسع عشر، فإن **العولمة المطلقة للتسعينات من هذا القرن قد تولد هجوما عالميا على مبدأ الاسواق المالية الحرة نفسها.**

إن العولمة تفترض أن آليات السوق الحر سوف تعزل الكفء من غير الكفء بلا هوادة حتى على حساب تكلفة اقتصادية واجتماعية معينة . ولكن **درجة العولمة المبالغ فيها تهمل**

عدم التوافق الحتمى بين المؤسسات السياسية والاقتصادية فى العالم.

السياسة -بعكس الاقتصاد- تقوم بتقسيم العالم إلى وحدات قومية .وفى حين أن القادة السياسيين قد يقبلون درجة معينة من المعاناة من أجل استقرار اقتصادهم فإنهم **لن يستطيعوا البقاء كدعاة إلى تقشف شبه مستديم ، بناء على تعليمات مملاة من الخارج** . وبذلك فإن الاغراء للرجوع عن التقشف أو تخفيف آثاره بإجراءات سياسية يصبح من الصعب أن يقاوم.

حتى الديمقراطيات ذات اقتصاديات السوق الحر الراسخ لا تقبل معاناة بلا حدود باسم السوق وقد اتخذت بالفعل إجراءات لخلق شبكة أمان اجتماعى ، وكذلك وضعت اللوائح والانظمة للحد من مغالاة السوق **ولكن النظام النقدى العالمى ليس لديه هذه الضمانات بعد.**

وصندوق النقد الدولى الذى يعتبر المؤسسة الرئيسية لمعالجة الأزمة ، هو الآخر كثيرا ما يعقد عدم الاستقرار السياسى. فباضطراره لتحمل صلاحيات لم يصمم لتحملها فقد **فشل الصندوق فشلا ذريعا فى تفهم النتائج السياسية لتصرفاته.**

فباسم **أصولية السوق الحر** ، عادة ما يحاول الصندوق علاج كل نواحى الضعف فى النظام الاقتصادى للدولة المتأزمة بغض النظر عن كون هذه النواحى هى سبب الأزمة أم لا . وبالتالى كثيرا ما تتسبب فى اضعاف المؤسسات السياسية ومعها مستلزمات أى إصلاح مثل الطبيب الذى فى جعبته دواء واحد لكل داء يمكن تصوره،فدواء الصندوق الذى لا يكاد يتغير هو التقشف ورفع سعر الفائدة لمنع تدفق الأموال إلى الخارج وتخفيض حاد فى سعر صرف العملة لتشجيع التصدير ، والحد من الاستيراد. والنتيجة الحتمية هى خفض حاد لمستوى المعيشة وانفجار البطالة وزيادة المعاناة مما من شأنه إضعاف **المؤسسات السياسية اللازمة لتطبيق برامج الصندوق.**

فمثلا فى **جنوب شرقى آسيا** كانت رأسمالية المحسوبية والفساد والاشراف غير الكافى على المصارف نواقص خطيرة. ولكنها لم تسبب الأزمة .كانت تكلفة من تكاليف النشاط وليست حواجز له . فقد كانت آسيا أكثر المناطق نموا فى العالم حتى ما يزيد قليلا عن سنة واحدة .وكان تقدمها يعتمد على معدل ادخار مرتفع وعادات عمل منضبطة وتصرف موازنى مسئول Responsible Flscalbehavior.



هنرى كيسنجر

لقد فجر الازمة عوامل خارجة عن تحكم الدولة أو المنطقة فالدول المختلفة ربطت عملاءها بسعر صرف الدولار فلما خفضت الصين عملتها في ١٩٩٤ ارتفع الدولار ارتفاعا كبيرا وانخفض الين بحدة. وبذلك أصبحت صادرات جنوب شرق آسيا غير منافسة وانخفضت عائدات التصدير .وفي نفس الوقت نتج عن ثبوت سعر صرف عملاتها مع الدولار فرصة غير مسبوقة للمضاربة . فالعملات المحلية أصبحت مغالي في قيمتها فحول حاملوها ما لديهم منها إلى دولارات ، مفسحين المجال لهجمات مضاربي العملة .كل ذلك بدون أي تحذير يذكر من المؤسسات المالية الدولية.

وعندما امتدت الازمة إلى اندونيسيا أكبر دولة في جنوب شرق آسيا ، أصبح من غير الممكن تجاهل الخطر على النظام المالي العالمي. فتدخل صندوق النقد الدولي بايعاز من الولايات المتحدة بعلاجه التقليدي محدثا تقشفا على نطاق واسع .وقد أثبتت المؤسسات الديمقراطية في **تايلاند** أنها قادرة نسبيا على التحمل حتي الآن ، ولكن إلى متى تستطيع **تحمل سعر فائدة ٤٠٪ وانكماش في معدل النمو يعادل ٨٪ و٤٢٪ خفض في قيمة العملة؟**

•وفي **اندونيسيا** قرر الصندوق بمشورة حكومية أمريكية تخشى أن تتهم بعلاقات مع المؤسسات المالية الاندونيسية -أن يجعل مساعدته مشروطة باصلاح كل قرض في المجتمع الاندونيسي. فطلب إغلاق ١٥ مصرفا وإنهاء الاحتكارات في تجارة الغذاء وزيت التدفئة وإنهاء الدعم.

وكان من نتيجة انهاء الدعم ارتفاع أسعار الغذاء والوقود مما سبب مظاهرات عدائية موجهة إلى الأقلية الصينية التي تسيطر على معظم النشاط الاقتصادي ، أدت إلى **هروب نحو ٦٠ مليار دولار من رؤوس الأموال الصينية من اندونيسيا وبذا تحولت أزمة مالية إلى مصيبة اقتصادية.**

ولبضع شهور كان ممثل من وزارة الخزانة(الأمريكية) يعمل مع الحكومة (الاندونيسية) ومع الصندوق لتخفيف حدة الازمة . ولكن في أبريل عاد الصندوق إلى موقفه الأول. وفي هذه المرة أطاح الانفجار بحكومة **سوهارتو** وأوضحت الأزمة المالية التي تحولت إلى أزمة اقتصادية أزمة مؤسسات سياسية . وبالتالي توقف أي إصلاح اقتصادي حقيقي في الوقت الحاضر.

كل ذلك قد يمكن تفهمه إذا انتجت برامج الصندوق أي تحسن ملموس . ولكن **البرامج المتتالية في كل دولة نفذت برامج الصندوق كانت النتيجة هو خفض معدل النمو المتوقع.** من المحتمل أن يكون الحال أكثر سوءاً بدون برامج الصندوق وحتى في هذه الحالة فإن ذلك لا يدعو إلى الارتياح.

إن عدم مقدرة الصندوق على التعامل عندما يختلط الاقتصاد بالسياسة تظهرها تجربته في روسيا . ففي اندونيسيا اسهم الصندوق في تحطيم الهيكل السياسي بالتركيز الزائد على النواحي الاقتصادية . أما في روسيا فقد أسرع في إنهيار الاقتصاد بالتركيز الزائد على النواحي السياسية، **إن الصندوق -ببساطة -غير مؤهل للمهام التي اضطلع بها.**

إن التحدي الفوري يتمثل في اجتياز الأزمة في البرازيل والحفاظ على نظام اقتصاد السوق الحر والديمقراطية في أمريكا اللاتينية . إن تعهدا راسخا من قبل الديمقراطيات الصناعية بزعامة الولايات المتحدة لهو ضروري لدعم برنامج الاصلاح البرازيلي.كما أن مفتاح إعادة النمو العالمي هو نمو الاقتصاد الأمريكي سواء كان ذلك من خلال خفض سعر الفائدة أو تخفيض في الضرائب فإن من الضروري الالتزام القوي بإنعاش النمو الاقتصادي الأمريكي.

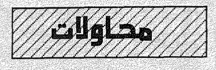
وقبل كل شئ فإن المؤسسات التي تعالج الأزمات المالية العالمية في حاجة إلى إصلاح ، فمن الضروري إيجاد إدارة مالية جديدة لتحل محل **برتون وودز** "**Bretton Woods**" ، يكون في مقدورها التمييز بين رأس المال طويل المدى ورأس المال المضارب ، وتحمي النظام العالمي من مغالاة الأخير.

لابد من تغيير جذري في طبيعة الصندوق بحيث يعود إلى غرضه الأصلي وهو تقديم المشورة ذات الخبرة معززة بالسيولة قصيرة المدى **.فعندما يركز الصندوق على تقديم القروض بالمليارات فإنه يلعب البوكر في ملابسات لا يمكن له فيها أن يكسب** . فإن «الكازينو» -في هذه الحالة هو السوق -لديه من النقود أكثر بكثير.

ويجب على الكونجرس في الولايات المتحدة أن ينتهز حاجة الصندوق إلى المزيد من التمويل لكي يملي شروطه لإحداث هذا التغيير.

إضافة إلى ذلك فإن البنوك المركزية والمؤسسات الاشرافية في الديمقراطيات الصناعية يجب أن تولي اهتمامها إلى أسواق الأوراق المالية الدولية. فلابد من تقوية المؤسسات الاشرافية والتنسيق بينها ،كما يجب أن تكون المخاطر التي يقدم عليها المستثمرون أكثر شفافية.

وفي النهاية . فلابد أن يتعلم القطاع الخاص أن يحترم انتماءه إلى المستلزمات السياسية للدول المضيفة . فلابد من العمل مع شركاء محليين كلما أمكن ذلك، ويتحول ضم المنشآت إلى مشروعات تعاونية حقيقية.



محاولات

سنحاول فى هذه المحاولات إعمال العقل فيما يحيط بنا من قضايا ومشكلات . نعمل العقل دونما قيد سوى العقل ذاته . فمن وجد فى إعمال العقل شططا أو نقيصه فليعرض عن هذه الكتابة.

د. رفعت السعيد

رأسمالية " قزمية " النمو

د. رفعت السعيد

..فمنذ محاولة نشوء مصر الحديثة على زمن **محمد على**، وجد الجنين الرأسمالى نفسه فى مأزق، **فمحمد على** احتكر تجارة الصادر والوارد ، واحتكر ملكية المصانع التى أنشأها ، **وهكذا وجد" جنين للرأسمالية" دون رأسماليين** . لاحظ أن **عبد الناصر** قال يوما: (نبنى إشتراكية دون إشتراكيين)

وفى زمن **سعيد** ثم من تلاه هبط إلى أرض مصر مئات الآلاف من الأجانب تمتعوا بالامتيازات الأجنبية ومارس الكثيرون منهم التجارة ، **فسرت منافسة غير متكافئة بين تجار تقليديين ، وآخرين وافدين يمتلكون القدرة على تحديث السوق بسلع مبهرة ، ويتمتعون بحماية إمتيازاتهم ..** وسيطر التجار الأجانب على قلب المدينة ولمعت أسماء أجنبية (**صيدناوى - عدس - ريقولى - هانو - ريبو - شيكوريل .. إلخ**).(**وإنقسم سوق القاهرة إلى سوقين الحد الفاصل بينهما ميدان العتبة ، الموسكى وماتلاه سوق الفقراء والتجار المصريين ، وقلب المدينة للأجانب** إلى درجةأن **محمد التابعى** كتب عام ١٩٤٦ فى مجلة آخر ساعة يقترح إنشاء **سفارة مصرية فى قلب القاهرة الأجنبى.** وتجار الفقراء هم أيضا فقراء.

لكن ثروات " ما" تراكمت فى أيدى تجار المدينة ربما بسبب إنفرادهم بتجارة سلع الفقراء مع السلع التقليدية كالبهارات والأقمشة التقليدية .. إلخ **فلماذا لم يتحول هؤلاء التجار إلى رأسماليين؟**

- هناك أولا نهوض الزراعة حيث قامت شبكة الرى والصرف برفع ريع الأرض الزراعية إرتفاعاً كبيراً.

- وثانيا هناك الحذر الاستعمارى الذى ظل يعيق حركة النمو الرأسمالى، بتحذيرات متشددة من جانب المعتمد البريطانى ضد محاولات المصريين إنشاء شركات مساهمة كسبيل لتجميع ثرواتهم معا فى مشروعات رأسمالية .

- وثالثا هناك الوهم الخاطئ بأن الاسلام يحرم التعامل المصرفى والتأمين .. وما إلى ذلك من مكونات " **رأس المال**" بمفهومه الرأسمالى . وذلك برغم فتاوى متحررة للأستاذ الأمام **محمد عبده.**

وإذا كانت" الرأسمالية" كنظام يتكون جنينها من: مدنية تتطور + حرفى يتحول إلى مبتكر أو إلى عامل ماهر+ تاجر يتحول إلى رأسمالى. فاننا نلاحظ أنه برغم نشوء مدن جديدة (**بور سعيد - الاسماعيلية - بور فؤاد - بور توفيق**) فان مدنا أخرى كانت فى الأساس مدنا صناعية وتجارية قد ذبلت **(أخميم - رشيد .. إلخ)** وأن نسبة المقيمين بالمدن قد تناقصت فى نهايات القرن ١٩ .

ونلاحظ أن" الحرفى" المصرى قد تجمد . فهو يواجه بما يعيق تطويره لنفسه ولمنتجه ، فالمنتج الجديد يأتى جاهزاً ومتقنا عبر تجار أجانب وحرفيين تخصصوا فى صناعات حرفية حديثة أو مستحدثة **(الايطاليون فى البناء والميكانيكا وتفصيل الملابس ، الأرمن لصناعة الأحذية واصلاح الساعات ، اليونانيون للتجارة وإدارة المقاهى ومهنة الحلاقة ..إلخ)** بينما ينزوى الحرفى التقليدى عاجزا عن المنافسة منتجا ذات السلع القديمة التى يتضاءل مستهلكوها مع الانطلاق نحو الحداثة .(الطرابيشى يبقى فى سوق الطرابيش حتى آخر مستهلك ، وصانع البلغ لايتحول إلى صانع أحذية .. **وحرفيو الفقراء هم أيضا فقراء**) والتجار الذين تراكمت لديهم أموال إرتدوا بها أو إرتدت بهم نحو حيازة الأراضى الزراعية التى تدر دخلا عاليا والتى زاد المعروض منها بالسوق بسبب تصفية أملاك الدائرة السنية وزيادة الرقعة الزراعية ..

وهكذا يفقد الجنين الرأسمالى القدرة ليس فقط على النمو وإنما على التمايز عن كبار الملاك العقاريين.

الشيخ محمد عبده



ومن هنا فان **ثورة ١٩١٩** قد لحقها هذا الوضع الخلاسى ، **فأنت لاتستطيع أن تفصل فصلا حاسماً بين تيارات كبار الملاك وبين الحاملين فى طموحاتهم لجنين الرأسمالية. وحزب الوفد** بقى مثالا على ذلك (ربما حتى الآن) ونلاحظ أننا جميعا لم نكتشف هذه المفارقة .. وهى أن **الرأسمالية المصرية أتت من رحم كبار الملاك وليس عبر التناقض معهم.** ولأنها رأسمالية خلاسية ممتزجة مع امتلاك الأراضى الزراعية فقد تركت كثيراً من همومها فى عملية الانتاج إلى وكلاء سواء فى الزراعة (ناظر العزبة) أو فى الصناعة **(شريك أجنبى)** أو فى البورصة (**سمسار أجنبى).**

أنها رأسمالية تنشأ من رحم كبار الملاك وتعتمد فى أنشطتها على وسادة أجنبية.

ولهذا ظلت دوما عاجزة عن الوفاء بمتطلبات الثورة الوطنية الديمقراطية ، فلا هى راغبة حقا فى ديمقراطية ، ولاهى تمتلك القدر الكافى من" ثورية" الرأسمالى الخالص ، ولاهى براغبة فى التصادم مع شركائها الأجانب.

مصطفى النحاس (باشا)

وزاد من مضاعفة هذه الحالةأن **الطبقة العاملة المصرية كانت أكثر قدرة على التقدم من الرأسماليين** ، فالعمال المصريين وجدوا وسط مناخ من العمال الأجانب الذين أتوا إلى مصر محملين بتجاربهم النقابية والاضرابية والثورية .. ونقل العمال المصريون هذه التجارب على الفور .. بما دفع الرأسمالية المصرية / الأجنبية إلى مزيد من الاستناد إلى المستعمر والقصر والقهر.

ومع فشل الرأسمالية المصرية فى حل معضلات وحاجيات الثورة الوطنية الديمقراطية ، ومع تصاعد المد الثورى فى الفترة من(١٩٤٦ - وحتى ١٩٥٢) تحول الأمر من يدها إلى جماعة الضباط الأحرار التى حملت عبء محاولة انجاز مهام الثورة الوطنية الديمقراطية..

وبصعوبة بالغة اكتشفت الثورة حقيقة هذه الطبقة **(١٩٥٢ كان الاصلاح الزراعى،** فاذا بالرأسماليين ينتحون جانبا ويرفضون الاسهام فى التنمية ، لكن الدهشة تزول فى ١٩٦١ عندما تكون التأميمات فتكون المقارنة المذهلة ..أنها **ذات الأسماء، الذين خضعوا للاصلاح الزراعى هم الذين خضعوا للتأميمات)**

وتجتث ثورة يوليو الرأسمالية المهجنة من جذورها أو تحاول .. ويأتى الجيل الجديد من رأسماليين جدد لكننا نكتشف أنهم مازالوا يتجهون إلى الاستثمار العقارى وإلى الاستثمار العائلى وإلى المشاركة الأجنبية وإلى الموقف المتخلف ازاء الليبرالية والحريات العامة وحقوق العمال النقابية وغيرها..

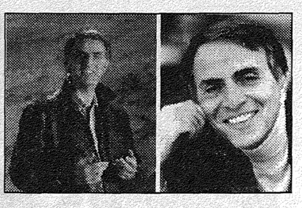
فهل هى مصادفة ؟



جمال عبد الناصر

رحيق السنين

كارل ساجان ١٩٣٤-١٩٩٦



منذ ما يزيد قليلا عن عشر سنوات ، أهدانى الصديق العزيز الدكتور **ابراهيم سعد الدين** عشر شرائط فيديو سجلها نجله الطبيب المرموق فى لندن عن برامج ال **بى بى سى**B.B.C .كانت الشرائط تحتوى على مادة تغطى في حوالى عشرين ساعة برنامج بعنوان **« Cosmos » (الكون)** وكان صانع البرنامج ومقدمه عالم فلك أمريكى لم أسمع عنه من قبل، يدعى **كارل ساجان**Carl Sagan.

احتوت الشرائط على نظرة عميقة وواسعة عن كافة ما يهم البشر عن الكون: نشأته ، نشأة المجموعة الشمسية ،نشأة كوكب الأرض، الكواكب الأخرى فى المجموعة الشمسية ، نشأة الحياة على كوكب الأرض، إمكانية وجود الحياة على كواكب أو فى مجرات أخرى.

إلى جانب هذه العناوين الهامة ومن خلال بعضها ، احتوى البرنامج على نظرة دقيقة لكثير من المواضيع : فقد قدم **ساجان** دراسة رائعة عن نظرية التطور موضحا الدور الهام الذى لعبته هذه النظرية فى تقدم علوم البيلوجيا التى تعيش اليوم ازدهارها ، وقدم دراسة عن قوانين الوراثة ،وعن الكروموسومات والجينات وشرائط الوراثة**(ال د**D. N. A) بل وقدم مفهوما مبسطا عن البعد الرابع **لاينشتين** وعن إمكانية وجود أبعاد خامسة وسادسة ، وقدم مثالا بديعا عن المعيشة فى بعدين فقط، وتحدث عن **«انحناء الفراغ»** ،وقدم تبسيطا لمكونات الذرة وللعناصر المختلفة ، وقدم كذلك دراسة وافية ورائعة عن المخ البشرى وطريقة عمله واختزانه للمعلومات كما قدم تصوره لصور الحياة إن وجدت على الكواكب الأخرى.

ولعل أجمل وأروع ما قدمه ساجان ، بالنسبة لى على الأقل ، هو اهتمامه بالحضارة المصرية ،فقد قام بدراسة وافية عن مكتبة الاسكندرية ،التى قال عنها أنها كانت «أول مركز للبحوث العلمية فى العالم ، وأنها كانت مكان ازدهار العبقريات Genius flourished there **هذا إلى جانب وظيفتها كمكتبة اختزن فيها روائع الكتب.**

وعرفنا ساجان بأمجادنا القديمة وبعلماء سوف يخلدهم تاريخ العلم (وقد نسيناهم نحن) ، أمثال **ايراتواسثينوس**Eratosthenes الذى اثبت كروية الأرض وقاس محيطها بطريقة عبقرية سهلة بخطأ لا يتجاوز **٤٠ كيلو متر ،وهيباشيا**Hypatia أول العلماء الإناث وأول ضحايا المجرمين المتمسحين بالدين .ومن أجل أن ينال هذا الموضوع ما يستحق من اهتمام ، أقام العاملون على البرنامج نموذجا ضخما لتصورهم لما كانت عليه المكتبة وما كان بها من قاعات .**وإلى جانب وصف ساجان للمكتبة ، فقد قدم دراسة عن حضارة مصر القديمة وحجر رشيد وفك طلاسم اللغة الهيروغليفية.**

كان **كارل ساجان** هو الراوى فى هذا البرنامج. وكان يبدأ فى تقديم مادته بشرح بسيط عميق يستعمل فيه لغة سهلة واشارات واضحة معبرة من يديه، ثم يستمر فى التعليق بعد ذلك على النماذج المتحركة أو المناظر المصورة أو الرسوم البيانية ، بلغة جميلة يشع منها حبه للإنسان وللكوكب وللكون كله.

شاهدت بعض أجزاء من هذا البرنامج عشرات المرات ،وكان حبى لهذه الأجزاء يتزايد بتكرار المشاهدة ، مثل تكرار سماع سيمفونية رائعة لأحد كبار الموسيقيين . وزاد من حبى أن أهدانى صديق آخر نسخة من الكتاب الضخم**Cosmos : Carl Sagan 1980** المسجلة**Random house, New York,** فيه أحاديث كارل ساجان فى هذه البرامج.

ولقد ترك هذا البرنامج فى نفسى شعورا بالمرارة للظلم الذى يتعرض له أبناؤنا وبناتنا بحرمانهم من رؤية مثل هذه البرامج العلمية القيمة. فكل ما شاهدوه فى هذا المجال هو استعارات مشوهة من بعض هذه البرامج العلمية ، تلغى ما عليها من تعليقات ذكية مثيرة للتساؤل البناء ، وتضع بدلا منها تعليقات سطحية خفيفة تحتوى على الكثير من الأخطاء وتصب دلوا من الماء البارد على ما كان يمكن أن تثيره هذه البرامج من نشاط عقلى.

ولد **كارل ادوارد ساجان** فى ٩ نوفمبر ١٩٣٤ فى بروكلين بنيويورك بالولايات المتحدة الأمريكية.

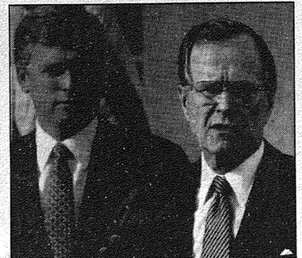
بعد حصوله على درجة الدكتوراة من جامعة شيكاغو ١٩٦٠ ، قام **ساجان** بالتدريس فى **جامعة بيركلى** فى ولاية كاليفورنيا وفى **جامعة هارفارد فى** ولاية مساشوسيتس، وكان فى نفس الوقت يقوم بوظيفة فيزيائى فلكى **Astrophysicit**فى **مرصد سميثسون الفيزيائى الفلكى** Smithsonian Astrophysical Observatory

وهناك أضاف ساجان إلى مسئولياته مهمة انشاء وحدة البحث عن الذكاء خارج الأرض.-Search for extraterrestrial intelligence (SETI).

ثم عمل **ساجان** بعد ذلك فى أغلب مشاريع رحلات الفضاء ، ووصف بأنه **« أحد أعظم العقول فى مجال استكشاف الفضاء»**،وقد لعب دورا هاما فى إنشاء وكالة الفضاء الأمريكيةNASA.

إلى جانب ما ينيف عن ٤٠٠ ورقة علمية وإلى جانب برنامج كوزموس كتب ساجان العديد من الكتب ولقد كتب العديد من النقاد مقالات تلو مقالات مدحا فى كتبه وفى أسلوبه فى تبسيط العلم وفى حبه لموضوعه . ووصفه الناقد المشهور **أيزاك اسيموف**Sssac Asimov**أبأن له لمسة**

د. سمير حنا صادق



جورج بوش

جيمى كارتر

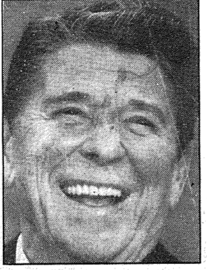
ميداس Touch of Midas (اللمسة التى تحول كل شئ إلى ذهب) ولعل أجمل ما قيل عنه هو قول أحد النقاد «أنه عالم من نوع خاص. فهو المدرس الذى تتمنى لو كان مدرسك»، وقول آخر «أنه يكتب الكتب الت تتمنى لو كان فى مقدورك أن تكتبها» ،وقول ثالث «ليس جميع المفكرين العظماء علماء، وليس جميع العلماء مفكرين . ولكن ساجان مفكر عظيم وعالم عظيم».

حصد ساجان العديد من الجوائز: حصل برنامج كوزموس على جوائز عن أفضل «البرامج التلفزيونية» ، وأفضل «برامج علمية» ، وأفضل سيناريو». وحصل ساجان على جائزة بوليتزر الهامة فى الأدب عن كتابة» تنينات عدن».

ولكن ، رغم علمه الغزير وسعة أفقه وعمق فكره ، فان أهم ما فى ساجان هو عشقه الشديد للإنسان وللحياة ، هذا العشق الذى بلغ ذروته فى كتاباته علي سرير المرض الأخير والذى يظهر فى محاوراته التى لا تهدأ من أجل الحفاظ على البيئة ، وكراهيته الشديدة للعنصرية وللحرب وللدكتاتورية وللظلم، وهجومه الشديد على أجهزة الحكم البغيضة الأمريكية مثل ريجان الذى كان أول همومه هو التخلص من السخانات الشمسية التى وضعها كارتر فى البيت الأبيض حفاظا علي البيئة ، وبوش الذى رفض الامضاء على معاهدة ريو دى جانيرو التى تضع قيودا علي انتاج ثانى أكسيد الكربون والتى تحافظ علي التنوع البيولوجى Biological diversity، وفضحه المستمر والشديد لسياسة الولايات المتحدة نحو البيئة : فسكانها وهم ٥٪ من سكان العالم يستهلكون ٢٥٪ من الوقود الحفرى وهم يستهلكون الاكسجين الذى تصنعه غابات الأمازون فى البرازيل فى أمريكا الجنوبية وينتجون الأمطار الحمضية التى تسقط على كندا.

أصيب ساجان بمرض نادر وقاتل فى نخاع العظم وعلى فراش الموت وفى الفصل الأخير من كتابه «بلايين وبلايين Billions and Billions كتب كارل ساجان: «رأيت وجه الموت ست مرات وحول الموت نظره عنى ست مرات . وسوف يدركنى الموت- كما يدركنا جميعا -ولكن السؤال الهام هو متى؟ وكيف؟ لقد تعلمت الكثير من لقاءاتى مع الموت خصوصا عن جمال وحلاوة الحياة .. وعن المشاعر الراقية الثمينة للأصدقاء والعائلة ،وعن مقدرة الحب على تغيير الإنسان.وفى حقيقة الأمر ، فان لتجربة الموت قيمة ايجابية بناءة ، ولولا

ريجان



ما تحمله من أخطار (؟!) لنصحت كل فرد بممارستها».

إن الجنس البشرى جنس عظيم . فهناك أكثر من ٢ مليون متبرع مستعد لنقل النخاع فى أمريكا ولقد قام الالاف بالصلاة من أجلى فى صلاة عيد القيامة فى كاتدرائية الديس جون في نيويورك ، وقام رجل دين هندوسى بالصلاة من أجلى وسط جميع كبير من الناس على نهر الجانجز Ganges .وأخبرنى امام أمريكا الشمالية بأنه صلى من أجلى وسط المصلين من المسلمين .وقد كتب لى العديد من المسيحيين واليهود والمسلمين بأنهم صلوا من أجلى، وأشعر بجليل الامتنان لكل هؤلاء حتى لو لم يتم شفائى».

وكتبت زوجة كارل ساجان ،آن درويان،تقول: «بكل هذا التفاؤل أمام الغموض المحيط بنا ،كتب كارل نهاية هذا الكتاب الجميل Billions and Billions.

بعد أسابيع ، فى أوائل ديسمبر ،كنا نجلس إلى العشاء ونظر كارل إلى أكلته المفضلة ولم يستطع أن يقر بها.

نظرنا إلى بعض نظرة سريعة . وبدأت أقدم له تفسيرات متعددة فقال لي كارل «جايز».

وتداعت الأمور . وانتهت بعد أسابيع.

كنا أنا وأبناؤه نتناول الهمس فى أذنه ،ونقول له أننا سنخلد ذكراه وأنه رجل شجاع عاش معيشة رائعة .ولقد أحسنت وأجدت .بفخر وسعادة وبدون خوف نتركك تذهب . وداعا إلى الأبد؟».



الطريق الثالث وأزمة الرأسمالية

تتحدث الصحف والاذاعات بعد سقوط الاتحاد السوفيتي عن اختراع طريق ثالث لا هو بالرأسمالية ولا هو بالاشتراكية ، فما هي حكاية هذا الطريق ولماذا يظهر في أوروبا فقط حتى الآن؟.

عزمي ميخائيل عيسى

الظاهر -القاهرة

الطريق الثالث هو نوع من الرد الإصلاحي على سياسات الليبرالية الجديدة والذى لجأت إليه الأحزاب الاشتراكية الديمقراطية في كل من إنجلترا -حزب العمال- وفرنسا تحالف الاشتراكيين والشيوعيين- وألمانيا تحالف الحزب الاجتماعي الديمقراطي مع الخضر لمواجهة الآثار الاجتماعية المدمرة للسوق الحر بلا ضوابط وبرامج الخصخصة والتخلي الحكومي. عن الانفاق على الرعاية الاجتماعية مثل التعليم .. الصحة -الاسكان .. إلخ والسوق الحر بلا ضوابط أو الرأسمالية الطليقة هي مجموعة السياسات حتى منتصف التسعينات **ريجان في أمريكا ، وتاتشر في إنجلترا وهيلموت كول** في المانيا حين سيطرت أحزابهم اليمينية على الحكم في هذه البلدان .. وكانت النتيجة هي زيادة البطالة والفقر والركود الاقتصادي وإن حدث انتعاش في سوق المال ونمو هائل للرأسمالية المالية.

وقد وضع مصطلح الطريق الثالث **أنتوني جونز** المفكر الاقتصادي الاجتماعي لحزب العمال البريطاني والصديق الشخصي «**لتوني بلير**» الذى أصدر كتابا بهذا الاسم اعتبره **توني بلير**» مرشدا «وسوف أقدم عرضا وافيا للكتاب في عدد قادم من اليسار».

ويحاول «**جونز**» في كتابه التوفيق بين أطروحات اليمين حول السوق الحر أو ما يسميه مفكرون اقتصاديون بعبادة السوق، وبين أطروحات اليسار التي تنتصر لتدخل الدولة لحماية الضعفاء وتطوير حياتهم أي التدخل في آليات السوق ، **وحاول جونز الخروج بصيغة لا تنتمي لأي منهما من وجهة نظره في شكل توسيع الملكية الاجتماعية في المؤسسات ، زيادة المشاركة من القاعدة ، المزاوجة بين الديمقراطية السياسية والحقوق الاجتماعية ابتكار مفهوم المحاسب الاجتماعي.. إلخ.**

لكن جدنز لم يقدم حلولا للسيطرة على الأدوار الاخطبوطية للشركات العملاقة والمتعددة الجنسية ، أو فرملة العولمة لصالح الجماهير العريضة مما حدا بمفكرين يساريين إلي وصف خطة «بلير» وراعيها جدنز بأنها مجرد خطة ثقافية أخلاقية لا علاقة لها بالاقتصاد أو بالسياسة.

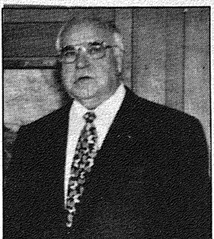
وقد نشأ في بريطانيا حزب باسم «**الطريق الثالث**» دعا إلى توسيع دائرة الملكية الاجتماعية ، واحترام التعدد الثقافي والهوية القومية ، ومكافحة الجريمة والواقعية الخضراء كما يسمونها دفاعا عن البيئة.

وفي ألمانيا ورغم أن «**شرودر**» خاض الانتخابات مقدما نفسه للرأسمالية الالمانية كصديق لرجال الأعمال وعضو مجلس ادارة سابق في شركة «**فولكس فاجن**» العملاقة فإن وزير ماليته ورئيس الحزب الاجتماعي الألماني «أوسكار لافونتين» قد وضع الخطوط العامة لسياسة جديدة تقوم على رفع الأجور لزيادة الطلب في السوق وتنشيط الاستثمار وخفض سعر الفائدة والانفاق المتزايد لتنمية ألمانيا الشرقية وهي خطة لا تمس الادارة الرأسمالية للاقتصاد ولا تنهض على مبدأ توسيع الملكية الاجتماعية وإنما تقوم أساسا على تدخل الدولة وإصدار القوانين التي تحد من السلطات الواسعة للقطاع الخاص كما كان الحال في ظل دولة الرفاهية الاشتراكية الديمقراطية، وقد كتب أوسكار لافونتين الذى

ony Blair. Lionel Jospin.

ماسيموداليما(ايطاليا) جيرهارد شرودر (المانيا) ليونيل جوسبان (فرنسا) توني بلير(بريطانيا)

تطلق عليه أوساط المال والأعمال وصف «الرجل الأحمر» وثيقة الاستراتيجية الأوروبية للعمل فى إطار الاتحاد الأوروبى وتستهدف الوصول إلى ميثاق مشترك للعمالة يحدد ساعات وظروف ومستوى أجور العمل فى كل دول الاتحاد، ويرى منتقدو «**لافونتين**» أن هذا الاجراء سوف يصب تلقائيا فى زيادة نفوذ النقابات والاتحادات العمالية التى تساند بالفعل هذه التوجهات وتجعلها أكثر جذرية، إذ تطالب هذه النقابات فى المانيا **بزيادة الأجور بنسبة ٥ر٦٪ ويؤيد «ليونيل جوسبان» فى فرنسا هذا الاتجاه تأييدا قويا.**



كول

والطريق الثالث هو على الصعيد النظرى أدنى من الاشتراكية الديمقراطية التى نشأت فى ظلها دولة الرفاه وتوسعت معها الملكية الاجتماعية لوسائل الانتاج حيث كان هذا التوسع هو أحد الوجوه التطبيقية لدولة الرفاه وأيضا أحد وجوه الرأسمالية ذات الألف وجه والتى قلمت أظافرها الحركة الجماهيرية الناهضة بعد الحرب العالمية الثانية وإنتصار الاتحاد السوفيتى وتحوله إلى دولة عظمى.

ويرى الباحث د. **وحيد عبد المجيد «أن المجرى العام للتطور الليبرالى صوب هذه الفكرة، الطريق الثالث يقوم على إعادة تكييف فى إتجاه يسار الوسط درجة أو بأخرى من درجاته..**

ويضيف:

«إن تحرك التيار الاشتراكى الديمقراطى خطوتين نحو اليمين هو الأساس الموضوعى للطريق الثالث، أنه تحرك حدث فى الواقع بالفعل قبل أى تنظير ودون أن يكون تطبيقا لأى اتجاه توفيقى، **فليس هناك توفيق بين اشتراكية ورأسمالية، أو بين يسار ويمين، هناك تنظير لواقع التقارب الذى بدأ بين تيارات ليبرالية وأخرى اشتراكية ديمقراطية، وخلق مساحة مشتركة تمتد من يسار الوسط إلى يمين الوسط..».**

ويرى الباحث الاقتصادى د. **الفونس عزيز «أن الطريق الثالث هو طريق رأسمالى** فى ظل ظروف تسارع الأزمات الاقتصادية التى أوشكت أن تدفع بالنظام الرأسمالى إلى أزمة اقتصادية عالمية .قد تفوق آثارها الانكماشية والمدمرة آثار أزمة الكساد الكبير التى أصابت النظام الرأسمالى فى أواخر العشرينات».

لعلك تعرف الآن يا صديق عزمى أن الطريق الثالث هو شكل من أشكال الرأسمالية التى تسعى للتكيف مع الأزمات وتساعدها ديناميكيتها على تجديد نفسها.

أما لماذا ظهرت هذه الفكرة فى أوروبا فربما يكون السبب الرئيسى من وجهة نظرى هو وصول الاحزاب الاشتراكية الديمقراطية إلى السلطة فى كل دول الاتحاد الأوروبى ما عدا أسبانيا، وهذه الأحزاب الاصلاحية كانت تاريخيا أقرب إلى التطلعات الشعبية من أحزاب اليمين الذى أسفر حكمه الممتد فى غالبية هذه البلدان إلى تفاقم الأزمات وزيادة البطالة وتركز الثروة وإتساع قاعدة الفقر.

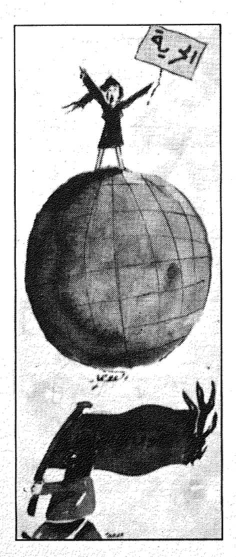
المرأة.. بين تطليق نفسها والنشوز!

هل تطلق المرأة نفسها؟

تحدثت كثيرا يا أستاذة فريدة عن **حق المرأة فى تطليق نفسها**، ولكن مما لا نستطيع إنكاره ان غضب المرأة ينسيها عقلها، وإلا أعطاها الاسلام مطلق الحرية فى التطليق ولكن أنا مع المطالبة بتقليل المدة المفروضة على المرأة فى استمرارها ناشز، ونكون قد أعطيناها حريتها بعد مدة قليلة وفى نفس الوقت حميناها من هدم بيتها لأسباب تافهة، ويجب مراعاة أن حماية عدد من الأطفال أهم من حماية حق المرأة كفرد واحد فى الأسرة.

طالبة فى كلية دار العلوم

لا أعرف يا عزيزتى لماذا لا تذكرين إسمك؟ وربما أستطيع أن أضمن أنك تقرأين «**اليسار**» و«**الأهالى**» التى كتبت أنا فيها



عن حق المرأة فى تطليق نفسها ، ولكن هناك من حولك بعض من يعتبرون قراءة هذه المطبوعات اليسارية «تخريبا» للعقول لأنها تحرض الناس علي التفكير المستقل والفحص الحر والعقلاني لكل شئ ، وأنا اثقة أنك فى مرة قادمة سوف تذكرين إسمك فى الرسالة.

أولا إن حق المرأة فى تطليق نفسها أى الابقاء على العصمة فى يدها هو حق شرعى لا يحرمه الدين ، وقد كانت السيدة خديجة رضى الله عنها تحتفظ بعصمتها فى يدها أى أنه كان بوسعها لو رغبت وشاءت أن تطلق نفسها من الرسول ذاته.

وحق التطليق أو الاحتفاظ بالعصمة هو حق يتأسيس على مبدأ المساواة بين البشر فليست هناك أى أسباب خلقية (بكسر الخاء) تنتقص من إمكانية المرأة أو قدرتها على التفكير وتقرير مصيرها . ولك أن تتصورى كيف يمكن أن تقضى إمرأة جزءا من عمرها -قد يكون الجزء الأكبر فى بعض الحالات- مكرهة ومرغمة على معاشرة رجل لا تحبه ولا تطيق معاشرته ،مع العلم أن الرجل اذا وجد نفسه عاجزا عن الحياة مع زوجته فإن بوسعه أن يطلقها دون أية عقبات.

أما حكاية أن غضب المرأة ينسيها عقلها فإن الغضب بصفة عامة سواء كان غضب المرأة أو غضب الرجل يمكن أن يصادر على التفكير العقلانى -المفترض أن تقرير مصير أسرة يحتاج إلى أعلى درجة من التفكير العقلانى.

كذلك فإن المرأة لأنها فى الغالب هى الطرف الأضعف فى العلاقة الأسرية- خاصة لو كانت فقيرة ولا تعمل ولا مؤهلة لعمل- ومن ثم فهى تتحمل الكثير من المشقة وأحيانا العذاب من أجل إصلاح الأحوال وتسيير شئون الأسرة خاصة لو كان لها من الزوج أطفال، أى أن افتراض أن المرأة يمكن أن تطلق الرجل فى فورة غضب هو افتراض غير منطقى أو واقعى أما مسألة النشوز والمدة التى يجرى عقاب المرأة فيها باعتبارها **ناشز فبصرف النظر عن المسوغات الشرعية فإن الفكرة نفسها معادية لإنسانية المرأة بل وتنتقص منها باعتبارها كائنا لابد من «تأديبه» وعقابه ومصادرة حريته** ولا فرق بين المرأة التى تسمى ناشزا وبين المسجون فما أحوجنا لقوانين جديدة للأسرة تنظم العلاقة بين أطرافها على أساس يحترم إنسانية المرأة ولا يضعها فى مرتبة أدنى ولا يفرض عليها مواصلة العيش مع رجل تعجز عن العيش معه.

وصدقينى إن **الأسرة التى تعيش فيها المرأة مكرهة من أجل الأطفال لن تعطى للمجتمع إلا أطفالا تعساء وقلقين وفاقدى الثقة فى أنفسهم** بسبب علاقات التربص والكراهية بين الزوجين، ومن الأفضل تربويا ونفسيا للأطفال أن يعرفوا الحقيقة حول نهاية العلاقة بين الأب والأم.

إن إرغام المرأة على البقاء فى علاقة إنتهت هو تضحية بالمرأة وبالاطفال وليس حماية للأطفال وفى ظنى أنك تفكرين مثل الغالبية العظمى من النساء اللاتى تربين على فكرة ومبدأ التضحية بالنفس من أجل الآخرين واعتبار تلبية احتياجاتها هى -كامرأة المفروض أن تضحى- عارا وخطيئة وكلها مفاهيم مرتبطة جذريا بدونية المرأة.

المسألة إذن ليست المفاضلة بين عدد من ننقذهم من الأطفال ولو على حساب تعاسة إنسان واحد هو أمهم وأظن أن **علينا أن نفكر فى استقرار وسعادة الجميع** ويبدأ ذلك بالفحص الحر لكل شئ قبل أن تقرر شيئا.

أقول ذلك وأنا أعرف أن آلاف الأسر تعيش فيها المرأة مقهورة ومهضومة الحقوق وكارهة لحياتها بحجة الحفاظ على الأطفال بين أبويهما.

الاسلام والمسلمون

الاسلام هو المسلمون سمعت هذا التعبير كثيرا من كتاب ومفكرين يساريين ولم أستطع استيعاب الفكرة أو تقبلها ، فماذا يعنى هؤلاء بتعبيرهم، وما هو صحيح الاسلام؟

حافظ عبد الموجود
الدرب الأحمر
القاهرة

تستطيع يا صديق حافظ أن تجد ترجمة لهذا التعبير في التباين الشديد لأشكال الحكم والممارسات باسم الاسلام، ففى أفغانستان تحكم منظمة طالبان باسم الاسلام وتحرم تعليم النساء وعملهن وتحطم أجهزة التلفزيون لأنها حرام وهذا تفسير للإسلام، وفى المملكة العربية السعودية أفتى **الشيخ بن باز** بأن عمل المرأة دعارة.. وسجنت السلطات نساء لأنهن تجرأن وقدن السيارات وفى باكستان وبنجلاديش تولت رئاسة الوزراء بينما يرى بعض الفقهاء أن الولاية الكبرى محرمة على المرأة إننا **عندما نأخذ الاسلام فى مجموع التجارب والخبرات وكما يقول المفكر العراقى الراحل «هادى العلوى».**

«فلابد من قبول التعارض فى القيم التى خلفها ، وتجارب الاسلام ليست ما يدعيه كل فريق لنفسه بوصفه الاسلام، وما عداه هو الكفر ، بل هى مجموع ما يدعيه الفرقاء كلهم . ان نبوة محمد اسلام، وخلافة الراشدين إسلام ، ولكن الاسلام أيضا هو الأمويون والعباسيون ،كما هو الفرق التى خرجت عليهم وحاربتهم بالفكر والسلاح ،والاسلام هو التجارة والملكية الخاصة التى قامت عليها دولته منذ البدء، وهو أيضا تلك المبادئ المشاعية التى استمرت من يسوع ثم نضجت وتطورت على أيدى مفكرين كالمعرى وأقطاب الصوفية ، وسياسيين كالقرامطة ، والاسلام هو الفقه الذى توارد على كتابته الفقهاء على اختلاف مذاهبهم واجتهاداتهم ،والذى تتكرس فيه تناقضات الاسلام الاجتماعية وتباين مصادره والتأثيرات الخارجية التى تعاقبت عليه .. » إنتهى الاقتباس.

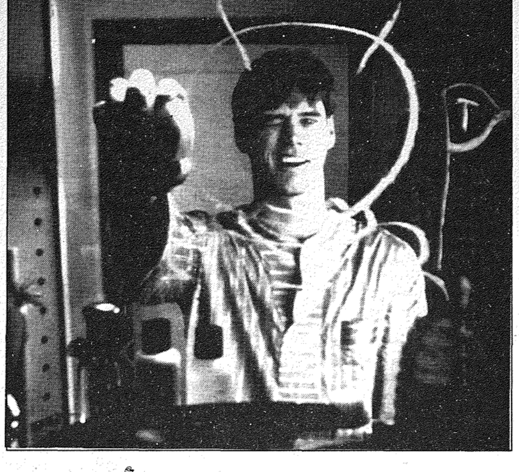
« وبالرغم من استخدام الدين عامة والدين الاسلامى خاصة فى الدعاية المكثفة ضد الاشتراكية والشيوعية فقد **استطاع الشيوعيون فى أندونيسيا المسلمة بناء أكبر حزب شيوعى فى آسيا بعد الحزب الشيوعى الصينى مستخدمين التأويل التقدمى لمقاصد الشريعة**، وكان عدد أعضاء الحزب قد بلغ ثلاثة ملايين عضو حين دبر له الجيش مذبحة مرعبة عام ١٩٦٥ بمساعدة المخابرات الأمريكية وبدعم وتمويل من رابطة العالم الاسلامى ومقرها فى مكة ولها ميزانية ضخمة تصل إلى مليارات الدولارات تمدها بها السعودية ودول النفط..».

ليس هناك إذن ما يمكن أن يسمى صحيح الاسلام فكل إسلام هو صحيح من وجهة نظر من يحولون الأفكار والمبادئ إلى تجارب وخبرات وممارسات وفقا للمصالح التى يدافعون عنها.

والصحيح هو أن على القوى التقدمية والمستنيرة أن تساند وتدعم التأويل المستنير والتجارب التى تنهض على احترام مبادئ المساواة والعدل والحرية والاجتهاد والعقلانية.



فن



تأملات حول فيلم «استعراض ترومان»

سينما تدعو لتحطيم كل الأغلال

من الصعب على المرء أن يصدق أن فيلما مثل« **استعراض ترومان**» قد استطاع أن يفلت من القبضة الحديدية للسينما الهوليودية، خاصة وأنها تشعر خلال الأعوام الأخيرة أنها قد قبضت على مقاليد فن السينما فى العالم كله ،فى ظل ما يسمى «**النظام العالمى الجديد**» ،الذى يعبر فى جوهره عن هيمنة أمريكية غاشمة.لكن إن شئت الحقيقة فإن هذا الأمر أو ذاك لا يعبر عن قوة حقيقية للسينما الهوليودية أو «النظام الأمريكى» على السواء، وإنما يعبر عن حالة من «الفوضى» العارمة التى سادت فى عالمى الثقافة والسياسة فى العديد من بلدان العالم خلال السنوات القليلة الماضية ، وإن لم يكن ذلك هو آخر المطاف أو نهاية التاريخ ، فالحياة لا تتوقف عن التغيير والتشكل، وسرعان ما سوف تعود الثقافات والسياسات فى كل أنحاء العالم إلى الحوار الجدلى الخلاق، وليست تلك «نبوءة» بأى حال من الأحوال ، لكنه منطق التاريخ الإنسانى.

نقول إن فيلم «استعراض ترومان» قد تمرد على الموجة الطاغية التى اجتاحت السينما الأمريكية فى الفترة الأخيرة ، وغلب عليها ما يطلقون عليه أفلام« **الخيال العلمى**» (أو «شبه العلمى» إن أردت الدقة) ، بالاضافة إلى موجة أخرى تدور حول عالم الرعب الغامض. ففى عشرات من هذه الأفلام تهدف السينما الهوليودية إلى أن يعيش المتفرج حالة من القلق العميق والخوف الجارف،سواء من نيزك أو شهاب هائل سوف يرتطم بالأرض فلا يبقى فيها ولايذر ، أو من مجرم قاتل يهدد الآمنين عند كل منعطف ، فلا تترك مثل هذه الأفلام للمتفرج فرصة واحدة للتفكير ، فى طوفانها المتلاحق من اللقطات المبهرة والمؤثرات البصرية والسمعية التى تبتلع المتفرج ابتلاعا ، قبل أن تترك فى وجدانه جرحاً غائراً من الخوف على مصيره .

وإنك إن تأملت هذه الأفلام لأدركت **أن هدفها الأساسى-على المستوى النفسى والسياسى-هو أن يسلم المتفرج قياده لمن يزعمون أنهم يملكون أمره ويسهرون على راحته ، وليست تلك إلا دعوة فاشية تشبه كثيراً ما كانت تفعله الكثير من الأفلام الألمانية فى حقبة ما قبل صعود النازية وخلال سيطرتها على السلطة** ،حيث تبدو الجماهير مجرد أصفار متراصة لا تملك من أمرها شيئا، ولا يبقى أمامها سوى أن تصبح كالحملان

أحمد يوسف

التى تنتظر الراعى الطيب ، الذى سوف ينقذها من الخطر الكونى المحدق بالأرض ، أو من السفاح الذى يخيم بظلاله على المدينة. (وإن جاز لنا أن نمضى بالمقارنة إلى آخر الشوط، فإنه **يمكنك أن تتوقع نهاية «النظام الأمريكى الجديد» فى السينما والسياسة**، مثلما انتهت النازية ، لكن أى ثمن سوف يدفعه البشر هذه المرة؟!).

إنك لا يمكنك أن تفصل بين انتشار نمط فيلمى ما (أو ما يطلق عليه المصطلح السينمائى «جانر»)وبين السياق الذى يزدهر فيه ، فالسينما فى أيدى الواعين بامكاناتها لا تصنع الأفلام لمجرد تسلية الجماهير ودفعهم للهرب من واقعهم (وهو هدف لا يخلو بالطبع من المغزى السياسى) ،وإنما لكى تترك فى وجدانهم وعقولهم تأثيرا نفسيا وذهنيا عميقا يجعل من السهل على صناع القرار أن يقودوهم إلى حيث يريدون. لذلك فإننا نعود إلى القول إن **فيلم «استعراض ترومان» جاء وحده ، ووسط سياق كامل ، ليعبر عن رغبة فنية وسياسية أصيلة ومتفردة ، لتحطيم الأغلال -كل الأغلال -التى تستلب إنسانية الإنسان.**

صراع وحوار المخرج والممثل

لم يكن ذلك كله غريبا على مخرج الفيلم -الاسترالى الأصل- «**بيتروير**» ، وهو صاحب أفلام قليلة لكنها كانت تتمتع دائما بالجدية والعمق .من بينها فيلم«**عام الحياة فى خطر**» (١٩٨٢) عن تلك الفترة العصيبة التى عاشتها اندونيسيا- إبان حكم **سوكارنو**-بسبب تغلغل المخابرات المركزية الأمريكية بدعوى مناهضة الشيوعية . وفيلم «**الشاهد**» (١٩٨٥) الذى يصور عالم طائفة «**الأميش**» أوربية الأصل التى ترفض الذوبان فى قيم وأخلاقيات المجتمع الأمريكى الفردية المعاصرة . وفيلم «**جمعية الشعراء الموتى**» (١٩٨٩) عن قدرة الانسان على الابداع الدائم، والتمرد على التقليد من أجل التجديد. وفيلم «**بلا خوف**» (**١٩٩٣**) عن إنسان جعلته تجربة عصيبة يفقد شعوره بالخوف الانسانى ،مما أفضى به إلى فقدانه حتى الاحساس بطعم الحياة.

إنك إن تأملت هذه الأفلام جميعها لوجدت فيها إنسانا وحيدا يقف على حافة العالم ،فى تجربة وجودية مرعبة لكنها لا تخلو أبدا من ظلال إنسانية ،حيث يثور



أمامك السؤال دائما: «**إلى من أنتمى**»؟! إلى هذا العالم الذى يدفعنى كل يوم إلى أن أفقد جزءا من إنسانيتى وحريتى؟ أم إلى ذاتى الحقيقية التى أسعى إلى تحقيقها ؟ وهل ينتهى هذا الصراع بالامتثال-أو حتى بالموت أو الانتحار- أم أنه ينبغى على المرء أن يعود ليخوض صراعه مع الواقع السائد من أجل تحقيق حياة أكثر جمالا وعدلاً؟ **(ويمكن لك أن تتساءل : كم من الأفلام الهوليودية يسعى -أو يجرؤ-على طرح تلك القضايا الجوهرية؟).**

بل إن الجرأة الفنية بلغت عند«**بيتر وير**» حداً جعله يختار بطلا لفيلمه من لا يمكنك أن تتخيل أبدا أنه قد يصلح لصنع فيلم جاد وهو **جيم كارى** ، ذلك النجم الكوميدى الذى صعدت نجوميته بسرعة خارقة خلال فترة قصيرة ليبلغ فى«بورصة» أجور النجوم رقماً لم يصل إليه أحد من قبل ، وإن كانت هى« البورصة» التى لا تعبر عن أصالة أو موهبة فنية حقيقية، وهو ما يؤكده رصيد **جيم كارى** السابق من أفلام ، التى كانت علي شاكلة «**القناع**» و«**غبى و أغبى**» و «**إيس فينتورا مخبر الحيوانات**» و«**رجل الكيبل**» و «**كذاب يا كذاب**» ،وهى الأفلام التى أثارت فى وقت عرضها عاصفة فى«شباك التذاكر» ، لكنها كانت أيضا من نوع العواصف التى تأخذ الأفلام- بعد «**صرعة**» نجاحها التجارى -لتلقيها إلى جانب مهمل من تاريخ «فن» السينما.

ولعلك تسأل، ما الذى جعل «**بيتروير**» يلجأ إلى«**جيم كارى**» لصناعة هذا الفيلم شديد العمق والجدية «**استعراض ترومان**» ؟!، وسوف تجد الاجابة فى أن العلاقة الابداعية التى يمكن أن تنشأ خلال صناعة الفيلم بين هذا المخرج الخلاق والممثل خفيف الظل «وخفيف الوزن الفنى أيضا» هى ذاتها العلاقة داخل الفيلم بين مخرج شديد الصرامة يدعى «**كريستوف**»، و«ممثل ساذج هو «**ترومان بيربانك**» . **لكن العلاقة بين« وير» و«كارى» جاءت بالتأكيد لمصلحة «وير» (وإن أضافت الكثير لرصيد كارى الفنى الحقيقى ، ربما للمرة الأولى فى حياته)** ، بينما انتهت العلاقة داخل الفيلم بانتصار «الممثل» ترومان على «المخرج» كريستوف»!.

التمرد الإنسانى

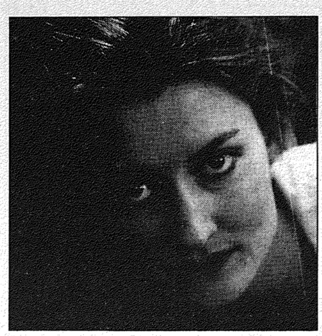
أرجو أن تتأمل قليلا -فى البداية - دلالة أسماء «**ترومان**» و «**كريستوف**» ،وهى التى قد تحمل رمزاً للعلاقة بين الإنسان والقوة الميتافيزيقية المتعالية على البشر والمتحكمة فى مصيرهم . وفى الحقيقة أنه الرمز الذى سبق لأعمال فنية مهمة أن تناولته فى **نفس «التيمة» الدرامية التى يعالجها فيلم «استعراض ترومان»** ، للعلاقة بين الممثل والمخرج ، بدءاً من مسرحيات **بيرانديللو** الشهيرة ،وحتى مسرحية «**عطيل يعود**» «**لكازنتزاكس**» ، لكنها العلاقة التى تتشابك أيضا- دون أن يكون فى ذلك أى تناقض -والعلاقة السياسية بين الإنسان والسلطة الشمولية القمعية . (ألا تلجأ فى الأغلب مثل تلك السلطات إلى نوع من الميتافيزيقا لتبرر وجودها وقمعها ، سواء فى حديثها عن البناء الهرمى للكون والمجتمع ،هذا البناء الذى يكرس وجود الطبقات وتفاوتها «غير الإنسانى» ، أو فى تأكيدها على أن **كل ما فى العالم «أزلى أبدى» ولا سبيل إلى تغييره؟!**.

فلتتأمل أيضا «التيمة» المحورية فى فيلم «**استعراض ترومان**» التى تحكى عن الإنسان العادى ترومان **(جيم كارى)** الذى يعيش حياته فى مدينة يحيطها البحر من كل جانب ،ولأنه عاش تجربة مريرة فى طفولته الأولى عندما فقد أباه الذى مات غرقا فى

رحلة بحرية قصيرة فإنه أصبح يخاف الخروج من «**المدينة -الجزيرة**»، ويرضى ممتثلا بأن يزاول حياته اليومية فى سعادة زوجا للمرأة الجميلة ميريل (**لاورا لين**) ، وابنا لأم حنون (**هولاندتيلور**) ، وصديقا حميما للرجل العاقل مارلون (**نواه إيمريتش**)، وإن سيطرت على وجدانه فكرة تقض مضجعه ،عن حبه الأول للمرأة الرقيقة **سيلفيا (ناتاشا ماكيلهون**) التى اختفت فى ظروف غامضة لسفرها المفاجئ دون أسباب واضحة إلى خارج المدينة ،حتى أنه يظل يحاول أن يستجمع فى ذهنه صورتها من خلال قصاصات لوجوه يجمعها إلى جانب بعضها البعض وكأنه يحاول أن يحل لغزا.

وهكذا **تولد فى عقل ترومان الرغبة فى أن يسافر بحثا عن الحبيبة القديمة ، لكن** كل المحيطين به (الزوجة والأم والصديق) يحيطون تلك الرغبة (**وكأن مهمتهم هى نزع بذرة التمرد بداخله**) ،فيحاصرونه تارة بخوفهم عليه وحبهم لهم واثارة رغبته فى إنجاب طفل ، وتارة أخرى باغراقه في دوامة حياته اليومية ومطالبته بالنجاح فى عمله لتسديد التزاماته وأقساطه ،حتى يبدو فى لحظة خاطفة أنه قد شاهد أباه الميت فى هيئة صعلوك متشرد يسير هائما فى شوارع المدينة ، لتتكشف له الحقيقة المرعبة بأن كل ما حوله زائف، وأن **الناس من حوله -حتى زوجته وأمه وصديقه -كلهم ممثلون فى«استعراض لا يتوقف ولا ينتهى ، هذا هو الاستعراض الذى صنعه كريستوف «إيدهاريس فى أفضل أدواره»**، المخرج التلفزيونى الذى أراد أن يخلق استعراضا مبهرا، بأن يجعل ترومان هو الإنسان الحقيقى الوحيد فى هذه اللعبة، وأن يكون مادته للاثارة والمتعة، بل الاعلان أيضا ، من خلال «استوديو» ضخم، ليست الشمس والقمر والنجوم فيه إلا مصابيح معلقة ، يحركها **كريستوف** كيفما يشاء، حتى يصنع لترومان ليله ونهاره ، ومسارحياته كلها.

وهنا يبدو الوجه الحقيقى للمخرج **كريستوف** ، الذى قرر أن يكون **ترومان هو** لعبته التى يلهو بها ويؤكد براعته الهائلة على خلق هذا الاستعراض المثير ،حتى أنه لا يرضى بأن يتخلى عن تلك اللعبة التى صنعها ،**ليبدأ الصراع المرير بين ترومان الذى يريد أن يهرب من هذا العالم الزائف، وبين كريستوف الذى يحاصره بكل ما لديه من ألاعيب المخرج البارع** ، مثل حرق «موتور» السيارة التى ينوى الهرب بها ، أو حتى التحذير من تسرب نووى يمنع المرور فى طريق الهرب، **لكن ترومان يمضى إلى آخر الشوط فى التمرد**، ويصارع فى مركبه الشراعى الصغير كل أمواج **كريستوف** العاتية حتى يصل إلى الأفق ، فإذا به يكتشف -فى لحظة مرعبة- أن هذا الأفق ليس إلا حائط «الاستوديو» ، لكنه يجد فيه باباً صغيراً يفضى إلى ظلام دامس **غير أنه يقرر أن يعبر هذا الباب ، ويمضى إلى المجهول لأنه لا يرضى أن يقضى بقية حياته فى هذا السجن ،حتى لو كان السجن هو الجنة الجميلة أو الحياة الوادعة التى صنعها له كريستوف.**



سيلفيا محبوبة ترومان

أخطاء ومعجزات

لقد اكتشف **ترومان** أنه لم يكن يرى إلا ما يريد له **كريستوف** أن يراه ، وأن المخرج اختلق تلك الحادثة القديمة عن غرق الأب ليزرع في قلب ترومان الخوف من الموت إذا ما لاحت له يوماً فكرة التمرد والهرب ، وأن الأب نفسه ليس إلا ممثلا انتهى دوره فى« العرض» ليتحول إلى« كومبارس» (**هل كان ذلك الموت عقابا من المخرج تجاه «ممثل الأب» لخطيئة ارتكبها؟!**) ،وأن الحبيبة القديمة المختفية ليست إلا ممثلة كان مخططاً لها أن تقوم بدور زميلته فى دراسته لكى توقعه في هواها (مزيدا فى إحكام خطة ايقاعه فى فخ كريستوف حتى يمضى «الاستعراض» إلى نهايته) ، لكنها فى لحظة حب صادقة قررت أن تتوقف عن «التمثيل» (أو أن تخرج على النص الذى وضعه كريستوف)، لتصارح ترومان بالحقيقة ، فكان عقابها أن يتم اقصاؤها عن العرض بزعم سفرها إلى خارج الجزيرة لعلاجها من مرض نفسى ،**وإن كان الأكثر رعبا هو أن يكتشف ترومان أن الزوجة والأم والصديق بدورهم ليسوا إلا ممثلين فى هذه الخدعة الكبرى التى عاشها.**

لكن الفيلم يقول لك أيضا أن اكتشاف ترومان لهذه الخدعة قد تأخر كثيرا ، فلو أنه التفت متأملا لعشرات التفاصيل العابرة التى عاشها لأدرك حقيقة هذا الوهم الكبير الذى صنعوه له، ففى المشهد الأول من الفيلم يخرج ترومان من منزله فى الصباح ليحيى جيرانه ، فيسقط أمامه فجأة شئ ما من «السماء» ، يقلبه فى دهشة ويجد عليه إسما مكتوبا :«**سايروس**» (أحد نجوم مجموعة الدب القطبى)، لكنه لا يعير الأمر التفاتاً ،خاصة وأن الاذاعة سوف تذكر بعد قليل أن أحد مصابيح طائرة عابرة قد سقط فوق المدينة . **وسوف نكتشف لاحقا أن سقوط المصباح من سقف الاستوديو كان أحد «أخطاء» كريستوف الصغيرة** ، لكنه يستطيع دائما أن يجد لها مبرراً يقنع به ترومان لكى يستمر فى «الاستعراض» ،تماما كما يسقط المطر من سقف الاستوديو على ترومان وحده -قبل أن يتدارك كريستوف خطأه- فيبدو الأمر كما لو كان إحدى معجزات» المخرج ! لكن **الخطأ الأكبر لكريستوف هو أنه يتصور أن البشر-كل البشر- ممثلون لا يستطيعون ولا يجرؤون على الخروج على النص الذى وضعه لهم ، فقد كان تمرد سيلفيا- فى دورها**

كحبيبة قديمة- هو البداية لأن يكتشف ترومان حقيقة اللعبة.

من جانب آخر، تأمل عبقرية **كريستوف** في معالجة خطأه، المهم الآخر في ظهور الأب، الذي تحول إلى «**كومبارس» في دور صعلوك عابر**، بأن يصطنع موقفا ميلودراميا، وسط الضباب والدخان، يقابل فيه «الأب» ابنه **ترومان**، ليحكى له عن غيابه الطويل وفقدانه الذاكرة لاثنين وعشرين عاما ،في إثر حادثة الغرق المزعومة، فكأنها واحدة من مصادفات الحياة القدرية التى تنهمر لها الدموع مدراراً، وتجعل ترومان ينسى مرة أخرى حقيقة حياته الزائفة.

مستويات الدلالة

إن هذا الحصار الذي يعيشه ترومان، ويتجسد علي الشاشة في آلاف الكاميرات المزروعة في كل مكان لتراقبه في كل تصرفاته، هو **يسلب إنسانية الانسان**، (مما يذكرك على نحو ما برواية «**المحاكمة لفرانز كافكا**» أو مسرحية «**الخرتيت» ليونسكو**)، ذلك الاستلاب الذي يمكنك أن تجد مستويات عديدة لتفسيره وفهم دلالته، ولعل المستوى القريب منها هو الحياة الزائفة التي يحياها الإنسان في المجتمع الرأسمالي ،حيث يصبح الإنسان موضوعا تنبع الاثارة فيه من التلاعب بمصيره، **وحيث كل البشر ليسوا إلا سلعا تباع وتشترى في نفس الوقت الذي يصبحون فيه مستهلكين (بفتح اللام وكسرها معاً ،ولتلاحظ كيف يتم استغلال كل لحظات ترومان الحميمة للاعلان عن بضائع)** لكن تلك الحياة في ظل المجتمع الرأسمالي **(الذى يستحق أكثر من غيره وصفه بالشمولية والقمعية، رغم ما يطنطن به أصحاب الحديث عن الحرية في الرأسمالية)** تتحول إلى كابوس حقيقي ،حين يكون على الإنسان أن يصبح ممتثلاً، وإلا كان عليه أن ينظر إليه الجميع- إن حاول أن يبحث عن ذاته الحقيقية -على أنه مريض بالفصام، يرى ويسمع مالا وجود له، أو أنه مصاب بعقدة الاضطهاد والاحساس بالحصار، **إن سعى للانعتاق والهرب (وهذا هو ما كانوا يؤكدونه لترومان دائما)**.

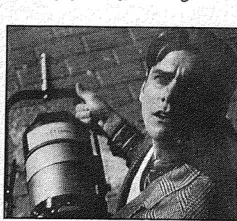
في مستوى آخر، يمكنك أن ترى كيف يمكن للمؤسسات والعلاقات الاجتماعية التقليدية (الزواج، الصداقة، العمل، وحتى الحب والأبوة والأمومة، وتلك المؤسسة العصرية العملاقة التى تتجسد في وسائل الاعلام) أن تقوم في ظل المجتمعات القمعية بدور جوهري في نزع بذرة التمرد من داخل الانسان، ليستسلم لما هو كائن، ويتخلى عن الحلم بما ينبغي أن يكون، وإن لم يصل الفيلم أبدا في هذا المستوى إلى الوقوع في النظرة العدمية تجاه الحياة، بالنفي الكامل والمطلق لدور هذه المؤسسات والعلاقات في الحياة الإنسانية، فإنه يمكن لها أيضا أن تقوم بتحقيق الذات، إن كانت هي ذاتها حقيقية وبعيدة عن التزييف.

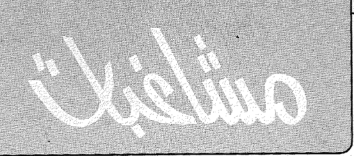
وفي مستوى ثالث يطرح لك الفيلم العديد من التساؤلات -وكأنه يضعك مكان ترومان -حول العالم الذى نعيش فيه، وإذا ما كنا نملك حقا الارادة على أن نصنعه بأنفسنا لا أن نترك الآخرين يصنعونه -أو يزعمون أنهم يصنعونه -لنا، إنه بالأحرى التساؤل حول إذا ما كان العالم القائم هو العالم الممكن الوحيد، أم أن هناك عالماً أكثر جمالا وعدلا وصدقا. (إن كريستوف يقول لمساعديه عندما تصور أنه قد نجح في خداع ترومان: «**ترومان لم يكتشف الحقيقة، لأننا نقبل العالم الذى نعيش فيه كما هو ،كما لو كانت تلك هي حقيقته**» ،كما يقول لترومان نفسه في صراعه المراوغ الأخير معه: «**ليس هناك حقيقي إلا العالم الذى صنعته لك، إنني أعرفك أكثر مما تعرف عن نفسك**».

ويأخذك فيلم «**استعراض ترومان**» هنا وهناك، لتقارنه -ربما دون أن تشعر -بالعديد من الأفلام الأخرى، وإني لأعترف للقارئ بأن الفيلم استدعى إلى ذاكرتي فكرة التمرد في أفلام الفنان السينمائي المصرى **رأفت الميهى**، ذلك التمرد الذى بدأ ناضجا مع فيلم «**للحب قصة أخيرة**»، وإن تحول إلى نزعة عدمية كاملة في أفلامه الأخيرة وقد تقبل من الفنان رؤيته العدمية الذاتية تجاه موضوعه، لكنك تتوقف طويلا أمام اللغة السينمائية، التى قد تحملها العدمية الكاملة إلى نوع من التشتت الذي يؤثر سلبا على هذه الرؤية.

إن هناك وشائج عميقة بين مزيج الاسلوبين الواقعي والتعبيري في كل من فيلم «**استعراض ترومان**» ،والفيلم الألماني «**مقصورة الدكتور كاليجارى**» (١٩١٩) للمخرج «**روبرت فينه**» ،حيث يقوم مدير المصحة الدكتور **كاليجارى** بسجن مريضه النفسي **سيزار** ليكون صنيعته في تنفيذ جرائمه، لكن ترومان ليس مريضا نفسيا كما يحاولون اقناعه، لذلك فانه سوف يرفض أن يكون صنيعه لأي طاغية لكن الأهم هو أن «**استعراض ترومان» يكاد أن يسخر من أفلام الخيال العلمى (أو شبه العلمى) التى تحتشد بها السينما الأمريكية اليوم، والتى تتحدث دائما عن غرباء قادمين من العالم الخارجي ليهددونا**، هؤلاء الغرباء المندسون بيننا الذين سرقوا أجساد أقرب الناس إلينا، فمثل هذه الأفلام تزرع في وجدان المتفرج احساسا مريضا بالبارانويا المتسقة مع المجتمع والثقافة الأمريكيين في ظل «النظام العالمى الجديد»، لكن «**استعراض ترومان**» يفعل العكس تماما، وإن بدا قريبا من الفكرة ذاتها ،حين يؤكد على أن ترومان، أو «**الانسان الحقيقى**»، **هو من يرفض أن يمتثل لمجتمع وعالم صنعه لنا من يريدون قمعنا ،وهنا لا يصبح مصدر الخطر كائنات غريبة قادمة من خارج الأرض، وإنما مصدر الخطر الحقيقى هو نظام يستلب إنسانية الإنسان، ويجعله «فرجة» وسلعة للبيع والشراء**.

يمكنك أن تقول- دون مبالغة - أن فيلم «**استعراض ترومان**» هو أفضل الأفلام الأمريكية في عام ١٩٩٨، سواء على مستوى الشكل والمضمون، لذلك فإنه سوف يكون من بين الأفلام التى سوف تنافس على جوائز الأوسكار، لكن فكرة التمرد الإنسانى التى يؤكد عليها سوف لا تمنحه -كما نتوقع-فرصة كبيرة في هذا المجال، لذلك سوف تذهب معظم الجوائز في الأغلب إلى فيلم «**أمريكى مائة في المائة**» في شكله ومضمونه على السواء، هو فيلم المخرج **ستيفن سبيلبرج» «إنقاذ الجندى رايان»** وإن كان لذلك الفيلم قصة أخرى، تقتضى أن نتوقف عنده بقدر غير قليل من التأمل والتحليل.





لعبة الأمم على الطريقة العربية

مع أن خبر إحالة الصحفى الكويتى« حامد بويابس» إلى النيابة العامة ، لقيامه بزيارة إسرائيل فى شهر ديسمبر الماضى، واجرائه حوارات صحفية مع رئيس الوزراء الاسرائيلى بنيامين نتنياهو، وقيادات اسرائيلية أخرى، كان كفيلا بأن يسعدنى، باعتبارى أحد عتاة الرافضين لتطبيع العلاقات مع اسرائيل، إلا أن تقديمه للمحاكمة بتهمة «التخابر» مع «العدو» الاسرائيلى، والحاق الضرر المباشر على الكيان السياسى لدولة الكويت خليجيا وعربيا ، بدا لى مبالغة تدعو للمسخرة وللمشخرة!.

أما الأسباب فهى كثيرة:

منها- أولا- أن أحدا فى العالم العربى ،على الصعيد الرسمى، لم يعد يقول كلاما كبيرا من هذا النوع، بعد أن أعلن النظام العربى ، أن السلام مع إسرائيل لم يعد فقط الخيار الاستراتيجى للسلطة العربية، بل وأصبح -كذلك - البصل التكتيكى لها..

وبالتالى ،فإن تقديم موطن كويتى للمحاكمة ، بتهمة الاتصال بدولة معادية ، ما تزال فى حالة حرب مع الكويت، أمر لا معنى له ، إلا أن السلطة العربية -بفتح السين واللام -قد أصبحت سلطة بسكر، بعد أن كانت سلطة بخيار استراتيجى!.

ومنها- ثانيا- أن هذه أول مرة ،منذ ثمانى سنوات ، تقول فيها الكويت أنها فى حالة حرب مع إسرائيل، إذ الشائع منذ ذلك الحين، أنها فى حالة حرب مع العراق، وهو ما يعنى أنها قد أصبحت الآن فى حالة حرب مع العراق وإسرائيل معا، مما قد يضطرها لطلب مضاعفة القوات الأمريكية والبريطانية التى تعسكر فى أراضيها، لكى تستطيع الدفاع عنها، ضد العدوين العراقى والاسرائيلى معاً.

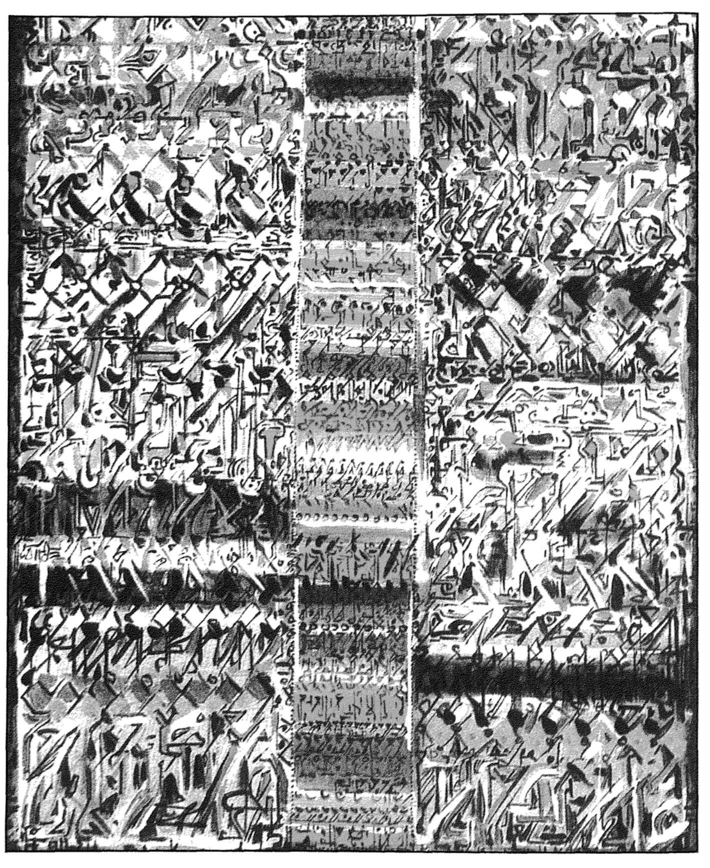
ومنها -ثالثا- أن الصحفى الكويتى قد راح فى الغالب ضحية لعبة الأمم على الطريقة العربية ، التى تقضى قوانينها باستخدام القضايا القومية ، رداء للدفاع عن مصالح قطرية ،فقد زار اسرائيل، خلال فترة الفوران الشعبى التى سبقت وتلت الهجوم الأمريكى البريطانى على العراق ، التى شاع خلالها القول بأنه هجوم يستهدف تحطيم قوته لصالح إسرائيل، وأن الذين لا يطالبون برفع الحصار عنه وإدانة العدوان علينا هم عملاء لاسرائيل ، فضلا عن عمالتهم لأمريكا!.

ومع أن الجميع يعرفون ، أن النظام العراقى ،لم يستخدم قوته فى يوم من الايام ضد إسرائيل ، وأنه أصر دائما على أن يحارب فى الميدان الخطأ ،فقد وجد الكويت نفسه محاطا بايماءات تشير إليه ، باعتباره المقصود بهؤلاء الذين لا يطالبون برفع الحصار عن العراق ، ولا يدينون العدوان عليه ، خدمة لاسرائيل ، فلم يجد الاعلام الكويتى مفراً من التذكير بالدعم المتواصل الذى قدمته بلاده للقضية الفلسطينية ،ومن الفخر بأنه ما يزال يرفض تطبيع العلاقات مع إسرائيل ، وبأن الكويت لم تكن من بين من هرولوا فى أعقاب مؤتمر مدريد لاقامة علاقات مع إسرائيل وشاء حظ المذكور «حامد بويابس» أن يسافر إلى إسرائيل فى هذا الجو السياسى ، الذى كانت الحكومة الكويتية تبحث فيه عن كبش تضحى به على مذبح البرهنة على التزامها القومى ، فاحالته إلى النيابة بتهمة الخيانة العظمى ، ليتغير اسمه من «حامد بويابس» إلى«حامد بوكبش»!.

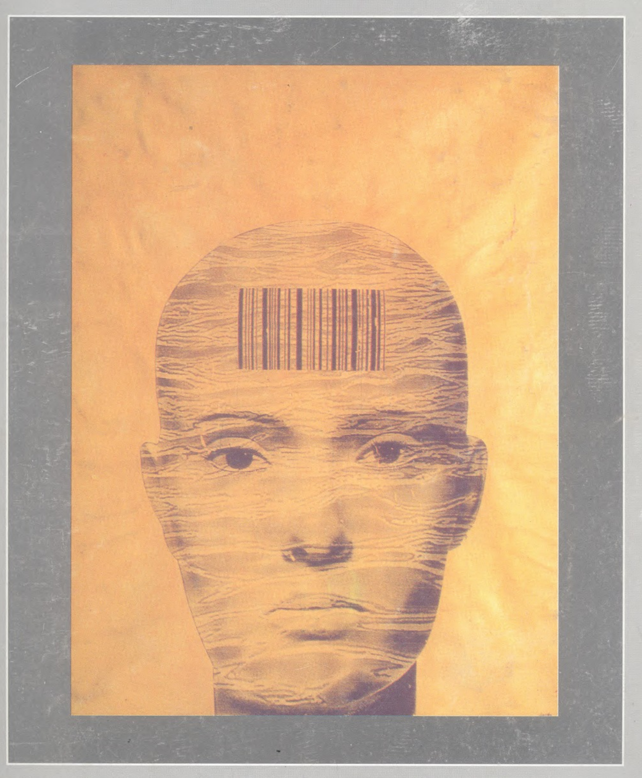
الغريب أن أحدا من عتاة المعارضين لتطبيع العلاقات مع إسرائيل ، لم يلتفت إلى هذا الموقف الكويتى المتشدد ولم يشد به ،لأن الكثيرين منهم ، يتعاطفون مع النظام العراقى، ويرفعون شعار «التطبيع على يد صدام حسين ، خير من المقاطعة على يد حكام الكويت» ،وهكذا ضاعت دماء المذكور «حامد بوكبش» هدراً ،ولم يستفد الكويت من تضحيته به شيئا..

وليس يعنى هذا أن «حامد بو كبش» لم يخطئ ،وليس معناه أن الكويت قد أخطأت، ولكن معناه ان لعبة الأمم على الطريقة العربية ، التى تقضى قوانينها باستخدام المصالح القومية ، رداء لاخفاء المطامع القطرية ، سوف تقودنا دائما إلى هذه المبالغات التى تدعو للمسخرة .. وللمشخرة!.

صلاح عيسى



عمل للفنان (بن بلا المحجوب) - الجزائر - بينالى القاهرة الدولى السابع



عمل للفنان الأسبانى (لويس باريا) - بينالى القاهرة الدولى السابع